

جوستاف لوبون

ميراث الترجمة

روح الاجتماع

ترجمة

أحمد فتحي باشا زغلول



المسرح في مصر
أحمد فتحي باشا زغلول

983



جوستاف لوبون

روح الاجتماع

ينبغي عند البحث في حال من أحوال الاجتماع أن ينظر إليها من جهتين مختلفتين تماما، وحينئذ ينجلي للباحث أن تعاليم النظر المحض تخالف غالبا تعاليم النظر العملى، وليس من النتائج - حتى نتائج الأبحاث - ما يشذ عن هذه القاعدة إلا يسيرا. ويجب الاهتمام بهذه الصور الصورية أكثر من الاهتمام بتلك الصور الحقيقية لأنها هى التى تتراءى أمامنا وهى التى يمكن للرسم أو لآلة التصوير أن تنقلها إلينا، ومن هنا جاز القول بأن الصورى حقيقى أكثر من الحقيقى فى بعض الأحوال. وعلى هذا يجب على الحكيم الذى يبحث فى الأحوال الاجتماعية أن لا يغفل عما لهذه الأحوال من القيمة العملية بجانب قيمتها العلمية، وأن الأولى هى التى لها شأن من الأهمية فى تطور المدنيات. وملاحظة ذلك تقتضى الحيطة والحذر من الوقوف عند ما قد يسوق إليه الاستنتاج المنطقى.

روح الاجتماع

تأليف : جوستاف لوبون

ترجمة : أحمد فتحي زغلول باشا



المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر: طلعت الشايب

- العدد : ٩٨٣

- روح الاجتماع

- جوستاف لوبون

- أحمد فتحى زغلول باشا

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

روح الاجتماع

تأليف

الدكتور جوستاف لوبون

ترجمة من اللغة الفرنسية

أحمد فتحى زغلول باشا

حقوق الترجمة والنشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

روح الاجتماع

بشألف

الدكتور جوستاف لوبون

ترجمته من اللغة الفرنسية إلى العربية

أحمد بن علي باشا

وكيل نظارة الحفافية

محققو الطبعة محفوظة الحقوق

خليل صادق

صاحب مجلة مسارات الشعب

مطبعة الشعب في بيروت

سنة ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م

روح الاجتماع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله
قرأت مؤلفاً جديداً للعالم الفرنسي المعروف الدكتور
جوستاف لوبون صاحب كتاب (تمدن العرب) وضعه في
بيان أحوال الجماعات وما يعرض للفرد مجتمعاً من تغير
المشاعر واختلاف النظر وتبدل حكمه فيما يحيط به وسماه
(روح الاجتماع) ورأيت في نقله الى العربية فائدة لأهلها
فاستأذنت المؤلف في ذلك فتنفصل بالأجازه

طلب مني ان أضع مقدمة تشرح بعض الشرح موضوع
الكتاب وتبين طرفاً مما اشتمل عليه فترددت كثيراً ثم
رأيت أن أترك الشرح والبيان للقراء أنفسهم وإذا كنت
نقلت الكتاب الى العربية نقلاً صادقاً صحيحاً فإن معانيه
تنساب في نفس قارئه من دون احتياج الى شرح ولا رجوع
الى بيان ؟

احمد فني

زغلول

القاهرة في أكتوبر سنة ١٩٠٩

اهداء الكتاب من المؤلف

الى تيوفيل ريبو مدير المجلة الفلسفية واستاذ علم النفس
في المدرسة الفرنسية
علامة مودة

جوستاف لوبون

مقدمة المؤلف

خصصنا كتابنا السابق للكلام على الحالة النفسية للشعوب
والآن نبحت في الحالة النفسية للجماعات

تتكون روح كل شعب من مجموع صفات وخلال تتولد في
افراده بالتوارث لكن اذا اجتمع عدد من هؤلاء الافراد
للقيام بعمل من الاعمال تولدت عن اجتماعهم هذا أحوال
نفسية جديدة ترتكز على أحوال الشعب وقد تختلف عنها في
كثير من الاوقات اختلافاً كبيراً

كان للجماعات المنظمة على الدوام تأثير كبير في حياة الامم
الآن هذا التأثير لم يبلغ في زمن من الازمان مبلغه في الزمن
الحاضر فقد حلّ في ايامنا هذه تأثير الجماعات على غير قصد
منها محل تأثير الافراد المقصود لاربابه بالطبيعة واصبح من
أخص صفات الحياة الحاضرة

وانى أحاول البحث فى موضوع الجماعات على صعوبته
 بالوسائل العلمية المحضة أعنى اننى أريد ان اتبع فيه نسقاً
 مؤسساً على قواعد العلم غير ملتفت الى الآراء والنظريات
 والمذاهب الجارية مجرى الامور المسلم بها لأننى أرى أن ذلك
 هو الوسيلة الوحيدة لاقتناص بعض شوارد الحقيقة
 ولا سيما اذا كان الموضوع مما يشغل الافكار مثل موضوعنا
 فالعالم الذى يرمى ببحثه الى تقرير أمر من الامور لا يهتم بما
 عسى أن يصطدم مع هذا التقرير من المنافع والمصالح - قال
 عنى أحد كبار المفكرين وهو موسيو (جويليه دالفيالا) فى
 كتاب نشرناه حديثاً انى كثيراً ما خالفت فى نتائجى
 ما اتفق عليه الباحثون من ارباب المذاهب العصرية لأنى
 لست تابعاً لواحد منها وانى لأرجو ان يكون حظ كتابى
 هذا من تلك الملاحظة حظ سابقه اذ الانضمام الى مذهب
 يقتضى التحيز اليه والتمزام ما فيه من الأوهام

على انى أرى من الواجب ان أوضح للقراء السبب فى اننى
 استخلص من بحثى نتائج تخالف التى يظهر بادىء بدء انها
 نتائج اللازمة كتقريرى مثلاً انحطاط القوة المفكرة عند

الجماعات حتى التى تتألف من نوابغ أهل الفضل وذهابى مع ذلك الى انه من الخطر المساس بها أو العبث بنظامها ذلك لأن اطلالة التأمل فى حوادث التاريخ دلتى دائماً ان المجتمعات الانسانية عويصة التركيب كالأفراد سواء بسواء فليس فى يدنا ان نحولها فجأة من حال الى حال نعم يتفق ان تحدث الطبيعة تغييراً كلياً فجائياً إلا ان ذلك لا يكون تابعاً لارادتنا أبداً لذلك كان حب بعضهم للإصلاحات الكلية من اسوأ المؤثرات فى الامم مهما دلّ النظر على حسنها لانها لا تكون مفيدة إلا اذا كان فى الامكان تغيير روح الامة تغييراً فجائياً والزمان وحده هو صاحب هذا السلطان والذى يحكم الناس مجتمعين انما هى الافكار والمشاعر والعادات وكلها أمور موجودة فينا وحينئذ ليست القوانين والنظمات الا صورة من صور النفس العامة التى لنا ومثلة حاجتها واذا كانت القوانين والنظمات صادرة عن النفس فهى لن تستطيع تغييرها.

واعلم انه لا يجوز فصل البحث فى الأحوال الاجتماعية عن البحث فى الامم التى ظهرت تلك الأحوال فيها لأنه ان

صح نظراً ان لهذه الأحوال قيمة مطلقة فمن المحقق ان قيمتها عملاً نسبية دائماً

لذلك ينبغي عند البحث في حال من أحوال الاجتماع ان ينظر اليها من جهتين مختلفتين تماماً وحينئذ ينجلي للباحث ان تعاليم النظر المحض تخالف غالباً تعاليم النظر العملي وایس من النتائج حتى نتائج الابحاث الطبيعية ما يشذ عن هذه القاعدة الأيسيراً انظر الى مكمت او دائرة تجدها من حيث الحقيقة المطلقة صوراً حسائية ثابتة لها صيغ تضبطها ضبطاً دقيقاً لكنها قد تحضر امام العين بصور مختلفة فقد ترى المكعب هرمماً او مربعاً وقد ترى الدائرة قطعاً ناقصاً أو خطأ مستقيماً ويجب الاهتمام بهذه الصور الصورية اكثر من الاهتمام بتلك الصور الحقيقية لانها هي التي تترأى امامنا وهي التي يمكن للرسم أو لآلة التصوير ان تنقلها لنا ومن هنا جاز القول بأن الصوري حقيقى اكثر من الحقيقى فى بعض الاحوال لان تشخيص الاشكال الهندسية بصورها الحسائية المنضبطة عبارة عن تشويه طبيعتها وجعلها تخفى على الناظرين فلو فرضنا عالماً لا يسمهم الا رسم الاشياء او نقلها بآلة التصوير من دون

ان يتمكنوا من لمسها لتعسر عليهم استحضار صورتها الحقيقية
 في أذهانهم على ان معرفة تلك الصورة الحقيقية من العدد
 لـليل أعنى العلماء لا يفيد إلا فائدة صغيرة جداً

اذن وجب على الحكيم الذى يبحث فى الاحوال الاجتماعية
 ان لا يفعل عما لهذه الاحوال من القيمة العملية بجانب قيمتها
 العلمية وان الاولى هى التى لها شئ من الاهمية فى تطور
 المدنات وملاحظة ذلك تقتضى الحيطه والحذر من الوقوف
 عند ما قد يسوق اليه الاستنتاج المنطقى بادىء بدء

وهناك أسباب اخرى تدعو الى هذا الحذر منها ان الاحوال
 الاجتماعية عويصة مشبكة تعذر على الباحث ان يحيط بها
 كلها وأن يعرف ما لها من التأثير وما بينها من التفاعل
 ومنها أن وراء الحوادث الظاهرة مؤثرات خافية كثيرة جداً
 اذ يظهر ان الأولى ليست الا نتيجة عمل عظيم يقع على غير
 علم منا وهو فى الغالب فوق بحثنا فمثل الحوادث الظاهرة
 مثل الأمواج المتلاطمة التى تترجم فوق سطح البحر عما هو
 واقع فى جوفه من الاضطرابات التى خفيت عنا ونحن اذا
 نظرنا الى الجماعات نراها تأتى من الاعمال بما يدل على انحطاط

مداركها انحطاطاً كلياً غير ان لها أعمالاً أخرى يظهر انها
منفاعة فيها بقوة خفية سماها الاقدمون قدراً او طبيعة او يداً
ممدانية وسماها أهل هذا الزمان (صوت من في القبور)

وعلى كل حال لا يسعنا ان ننكر ما لها من القوة وان جهلنا
كنها وكثيراً ما يظهر ان في باطن الاعم قوى كامنة ترشدها
وتهديها انك لا تجد شيئاً اكثر تعقيداً ولا أدق ترتيباً واجل
خلقاً من اللغة وما مصدر هذا الشيء الغريب في نظامه
العجيب في أسلوبه الا روح الجماعات تلك الروح الاشاعرة
وأعلم الجامع العلمية وأرق النحويين انما يجهدون النفس في
تدوين قواعد اللغات وهم لا شبك عاجزون عن خلقها كذلك
لسنا على يقين من ان الافكار السامية التي يحدثها النابغون من
فطاحل القوم انما هي عملهم خاصة نعم هم الذين أوجدوها
ولكن لا ينبغي أن ننسى ان ذرات التراب التي تراكت
فصارت مبتأ تلك الافكار انما كونتها روح الجماعات التي
وجد اولئك النابغون فيها

تتجرد الجماعات دائماً عن الشعور بعملها وقد يكون هذا هو
السِر في قوتها على انا نشاهد في الطبيعة ان الذوات الخاضعة

لجرد الالهام تأتي بأعمال دقيقة يحار الانسان في معرفة خليل
صنعها ذلك ان العقل جديد في الوجود الانساني وفيه
نقص كبير فلا قدرة لنا به على معرفة قوانين الافعال
الاشعورية. فما بالك ان حاولنا وضع غيرها في مكانها. ان
نصيب الاشعور في جميع أعمال الانسان عظيم وافر ونصيب
العقل فيها صغير للغاية والأول يعمل ويؤثر كقوة لا تزال
معرفة غائبة عنا

وعليه اذا أردنا أن نقف عند الحدود الضيقة المأمونة في معرفة
الاشياء من طريق العقل ولا نهيم في أودية التخمينات المبهمة
والفرضيات العقيمة لزمنا أن تقتصر على تقرير الحوادث التي
تقع تحت حواسنا وكل استنتاج مبني على هذه المشاهدات
بعد ذلك يكون تسرعاً في غالب الاحيان لانه يوجد خلف
الحوادث التي نراها جيداً حوادث لا نراها الا رؤيا ناقصة
وقد يكون وراء هذه غيرها مما لا نراه أصلاً



تمهيد

﴿ زمن الجموع ﴾

تطور أهل الوقت الحالى - فى ان تغييرات المدنية العظيمة نتيجة أفكار الأمم - اعتقاد أهل هذا العصر بقوة الجماعات - فى ان هذا الاعتقاد يحول الدول عن سياستها التقليدية - كيف آتت سلطة طبقات الأمة وكيف تجرى تلك السلطة - النتيجة اللارادة لسلطة الجماعات - فى أن الجماعات لا تستطيع الا الهدم - فى انها هى التى تجهز على المدنية التى وهن بناؤها - فى الجهل العام بأحوال الجماعات النفسية - أهمية الوقوف على تلك الأحوال عند الشارع والسياسى

يخال الناظر فى احوال هذا الكون ان الانقلابات العظيمة التى تتقدم تطور المدنية فى الأمم مثل سقوط الدولة الرومانية وقيام الدولة العربية ناشئة عن تطور سياسى عظيم كإغارة الأمم بعضها على بعض أو سقوط الأسر الحاكمة وهكذا لكن بعد انعام النظر فى هذه الحوادث يتبين ان وراء

اسبابها الظاهرة في الغالب سبباً حقيقياً هو التغير الكلى
 فى افكار تلك الأمم فليست التغيرات السياسية الحقيقية
 الكبرى هى التى تدهش الباحثين بعظمها وعنفا وانما
 الانقلاب الصحيح الجدير بالاعتبار الذى يؤدى الى
 تغير حال الأمم المدنية يحصل فى الافكار والتصورات
 والمعتقدات والحوادث العظيمة الخالدة فى بطون التواريخ
 ليست الا آثاراً ظاهرة لتغير خفى فى افكار الناس واذا كانت
 تلك الانقلابات العظيمة نادرة الحدوث فذلك راجع الى ان
 اشد اخلاق الأمم رسوخاً عندها هو التراث الفكرى الذى
 ورثته عن آيائها

واخرج الأزمان فى تطور الفكر الانسانى زماننا هذا
 ولهذا التطور عاملان اصليان

الاول تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التى
 تتكون منها عناصر المدنية الحاضرة

والثانى قيام احوال جديدة ونشوء افكار جديدة فى الحياة
 تولدت كلها من الاكتشافات العصرية العلمية والصناعية
 ولما كان تهدم الافكار القديمة لم يتم فلم تزل قوتها وكانت

الافكار التى سجل محلها في دور تكونها كان الزمن الحاضر
زمن قبول وفوضى

وهن المتعسر ان تنكهن بما قد يتولد يوماً من الايام من هذا
الوقت المشوش كما اننا لا نعرف حتى الآن على أى الافكار
الاساسية والمبادئ الاولى يقوم بناء الالم التى تخلفنا ولكن
الذى نراه منذ الساعة انه سيكون امام تلك الالم قوة عظيمة
لا بد لها من الاعتداد بها لانها اكبر قوة وجدت أريد بها
قوة الجماعات تلك القوة التى قامت حتى الآن وحدها على
أطلال الافكار البالية التى كان الناس يعتقدونها حقائق وماتت
وعاشت بعد ان حطمت الثورات المختلفة كل سلطة كانت
تتحكم فى الناس وهى القوة التى يظهر لنا أن مصيرها ابتلاع
ما عداها فى القريب العاجل ألا ترى ان معتقداتنا القديمة
أخذت تهتز من وهن أساسها وان اساطير المجتمعات القديمة
تنداعى وتتحطم وان سلطة الجماعات هى وحدها التى لا يهددها
طارئ بل هى تعظم وتنمو وعليه فالدور الذى نحن قادمون
عليه هو دور الجماعات لا محالة

كان المؤثر فى الحوادث التاريخية منذ قرن واحد هو الياسة

التقليدية للدول ومنازعات ملوكها ولم يكن لرأى الجموع وزن يذكر بل لم يكن له قيمة أصلاً في الغالب - أما الآن فالسياسة التقليدية هي التي أصبحت لا وزن لها ولا أثر للمنازعات الشخصية بين الملوك بل صارت الغلبة لصوت الجماعات فهو الذي يرسم للملوك خططهم وهو الذي يجتهد الملوك في الإصغاء إليه وأمسى مصير الأمم راجعاً إلى ما تحمله روح تلك الجماعات لا إلى ما يراه أصحاب مشورة الأمراء

فخلوس طبقات الأمم على عرش السياسة أغنى تطور تلك الطبقات حتى صارت قادة لدولها هو من أخص مميزات زمن التحول الذي نحن فيه وليس حق الانتخاب العام هو الدليل الصحيح على هذا التطور لأن هذا الحق بقى ضعيف الأثر زمناً طويلاً وكان في مبدأ أمره سهل القياد وإنما تولدت سلطة الجماعات رويداً رويداً بانتشار بعض الأفكار التي رسخت في الأذهان أولاً وتدرج الأفراد في تكوين الجماعات للوصول إلى تحقيق تلك النظريات ثانياً فالاجتماع هو الذي ولد في الجماعات قوة إدراك منافعها ومع كونه ليس إدراكاً تاماً فهو ثابت متين والاجتماع هو الذي جعلها أكثر

بما لها من القوة والسلطان وهذا أصل تأسيس الجمعيات (السنديكات) التي تخضع لهما السلطات واحدة بعد الأخرى وغرف التجارة (البورصات) التي تطمح إلى السيطرة على العمل وأجور العمال وإن خالفت في حكمها قواعد الاقتصاد وأصول تدبير الثروة العامة

والجماعات هي التي تبعث اليوم إلى المجالس النيابية لدى الحكومة بوكلاء تجردهم من كل حركة شخصية وكل استقلال فلا يكون لهم من الرأي إلا ما رأيته الأجان التي انتخبهم أخذت طلبات الجماعات الآن تترقى في مراتب الوضوح وهي لا ترمى إلى أقل من قلب الهيئة الاجتماعية الحاضرة رأساً على عقب لترجع بها إلى حالة الاشتراك الأولى التي كانت عليها العشائر قبل بزوغ شمس المدنية - تطلب الجماعات تحديد ساعات العمل ونزع ملكية المعادن والسكك الحديدية والمعامل والمصانع والاطيان وتطلب توزيع الثروات بين جميع الناس على السواء وإحلال الطبقات الوضيعة محل الطبقات الرفيعة وغير ذلك

الجماعات أقدر على العمل منها على التفكير وقد أصبحت

بنظامها الحاضر ذات قوة كبرى، وعما قرب يكون للمذاهب
التي نراها اليوم في دور التكون من السلطان العظيم على
الافكار ما للمذاهب التي رسخت أصولها في الاعتقادات
أعنى سلطاناً مستبداً لا تأثير فوق تأثيره فلا تعود تحمل
البحث أو الجدل وحينئذ يقوم حق الجماعات المقدس مقام
حق الملوك الاقدسين

ولقد استولى الهلع على قلوب الكتاب الذين لهم منزلة
لدى الطبقات الوسطى في الامم وهم الذين يمثلون اكثر من
غيرهم افكارها الضيقة ونظرها القصير وبأسها غير المبنى على
التأمل الصحيح وحب الذات البالغ غايته فخشوا عاقبة ذلك
السلطان الجديد الذي اخذ ينمو ويعظم ومالوا الى مقاومة
ما استحوذ على الافكار من الاضطراب فولوا وجوههم قبل
الكنيسة مستصرخين بسلطانها الادبي وتأثيرها الروحي بعد
ان بالنوا في احتقارها وغالوا في اهمال جانبها ونادوا
بافلاس العلم في طريق تهذيب النفوس فهم يرجعون من روما
تائبين منيبين يدعوننا الى الرجوع للتمسك بحقائق الوحي
والتزليل وغات اولئك المتدينين من جديد ان الوقت قد

فات — واذا صبح ان الفيض الالهى اخذ من نفوسهم
فانه لن ينال من نفوس جماعات لا نمتد كثيراً بما يقلق ضمائر
اولئك الزهاد فلم تعد ترغب فى الأرباب التى رغبوا هم عنها
بالامس وكان لهم نصيب فى تحطيمها وليس فى طاقة البشر
ولا مما تتعلق به القدرة الالهية جعل مياه الانهار تصب فى
ينابيعها

ما أفلس العلم ولا ذنب له فى فوضى الافكار التى انتشرت
فى هذا الزمان ولا فى سلطة الجماعات التى تنمو وسط تلك
الفوضى انما العلم وعدنا كشف الحقيقة او على الاقل بيان النسب
التي تربط الامور بعضها ببعض مما تقدر على ادراكه لكنه
ما وعدنا السلام ولا السعادة ابداً والعلم جماد بالنسبة لمشاعرنا
واصم لا يصل اليه صراخنا وانما نحن الذين يجب عليهم ان
يحملوا انفسهم على الاتفاق معه اذ لا شئ يقدر ان يعيد لنا
تلك الاوهام التى فرّت امام نوره

توجد علامات عامة ظاهرة فى جميع الامم تدل على سرعة
نمو سلطان الجماعات نمواً لا رجاء فى وقوفه آجلاً ونحن
خاضعون لحكمه حاملون كل ما أنتج بالتهر عناً فكل قول

فيه باطل لا فائدة منه ومن الجائز ان تولى الجماعات قياد
الامم يكون خاتمة ادوار مدنية الغرب فيرجع الى الانغماس في
اودية القوضى التي يخال انه لا بد لكل امة من اجتيازها
قبل الوصول الى دور الحضارة والرقى ولكن اين السبيل
الى منع ما هو كائن

ينحصر الاثر الواضح لعمل الجماعات حتى الآن في هدم
صروح المدنية فالتاريخ يدلنا على انه كلما وهنت القوى الادبية
التي يقوم عليها بناء تقدم امة من الامم كانت خاتمة الانحلال
على يد تلك الجماعات الوحشية اللاشعورية التي سميت بحق
متبررة اما الذين أقاموا صروح المدنية وشيدوا أركان الحضارة
فهم نفر امتازوا بسمو المدارك وبعد النظر ولكننا لم نر حتى
الآن للجماعات أثراً مثل هذا فهي انما تقدر على الهدم والتحطيم
وزمان حكمها زمان بربرية على الدوام لان المدنية لا تقوم الا
على مبادئ مقررّة ونظام ثابت وانتقال من العمل بمقتضى
الغريزة الى الاهتداء بنور العقل والبصر بالمستقبل ومرتبة
راقية من العلم والتهديب وتلك وسائل برهنت الجماعات على
انها غير اهل لتحقيقها اذا تركت وشأنها - ومثل الجماعات في

قوتها الهادمة مثل المكروبات التي تجعل بالتحلل الاجسام
الضعيفة وتساعد على تحلل الاجساد الينة فاذا نخرت عظام
مدينة تولت الجماعات تقض بنائها هنالك يظهر شأنها
الأول ويخيل لنا بادئ بدىء أن العامل في حوادث التاريخ
هو كثرة العدد

انا لنخشى ان يكون هذا أيضاً مصير مدينتنا لكن ذلك
الذى لا نعرف منه شيئاً حتى الآن

وكيفما كان الحال فلا مندوحة لنا عن الخضوع لحكم
الجماعات لأن ايدياً طائشة أزلت بالتدريج جميع الحواجز التي
كانت تمنع من طغيانها

كثر الكلام على الجماعات ونحن لا نعرف من حالها إلا
يسيراً لأن المشتغلين بعلوم النفس عاشوا بمنزل عنها فجهلوا
أمرها على الدوام وانما اشتغلوا بها في الأيام الاخيرة من جهة
مناقد ترتكب من الجرائم والآثام نعم توجد جماعات شريرة
إلا أن هناك أيضاً جماعات فاضلة وجماعات ذات شجاعة وهكذا
فالنظر اليها من حيث الشر وحده نظر للشيء من جهة واحدة
ولا يتوصل الباحث لمعرفة ادراك الجماعات ببحته في الجرائم

التي قد تصدر عنها كما انه لا يتوصل الى معرفة ادراك الفرد
بالبحث في عيوبه خاصة

ومع ذلك فان الذين سادوا على العالم وناسوا الأمم
والممالك ممن شرعوا الاديان واسسوا الدول ورسل المذاهب
كلها واقطاب السياسة حتى رؤساء العشائر الصغيرة كانوا
دائمًا من علماء النفس وهم لا يشعرون فكانوا يعرفون روح
الجماعات معرفة فطرية وكانت تلك المعرفة صادقة في اغلب
الاحايين ومعرفتهم لذلك جيداً هي التي مكنتهم من السيادة
عليها كان نابليون وسع الخبرة باحوال الجماعات النفسية في
البلاد التي انبسطت يده عليها ولكنه جهل غالباً روح الجماعات
في شعوب اخر كذلك كان شأن اكبر مستشاريه فانهم
ايضاً لم يفقهوا حقيقة حال الجماعات الاجنبية عن امتهم فقد
كتب له (تاليران) ان اسبانيا تلاقى جيوشه لقاء المنجدين
فلما زحفت اليهم استقبلتهم كما تستقبل الوحوش الكاسرة ولو
انه كان على شيء من العلم بما ورثت تلك الأمة من الأميال
لسهل عليه معرفة هذا الاستقبال . ذلك هو السبب في ان
نابليون قام في بلاد الاسبان وفي بلاد روسيا على الاخص

بحروب كانت عاقبتها التعجيل بسقوطه

معرفة روح الجماعات اصبحت اليوم اخر ملجأ يأوى اليه
السياسى العظيم لا لاجل ان يحكمها فقد صار ذلك الآن
صعباً كثيراً بل ليخفف عنه شدة تأثيرها

واذا اردنا ان نعرف ضعف تأثير القوانين والنظامات في
الجماعات فانما السبيل الى ذلك تدقيق البحث لمعرفة روحها
والوقوف على احوالها النفسية وبذلك نفقه ايضاً انه لا قدرة
لها على تكوين رأى او التفكير فى شئ خارج عن الدائرة
التي رسمت لها وانها لاتقاد بقواعد العدل النظرية بل بالبحث
عما من شأنه التأثير فيها واختلاها فلو اراد وازع فرض ضريبة
جديدة وجب عليه ان لا يختار التي هي اقرب للعدل من حيث
قواعد الاقتصاد فى ذاتها فربما كان أبعداها عن العدل اكثرها
قبولا بالفعل عند الناس فان كانت هذه الاخيرة ايضاً اقل وضوحاً
وأخف حملا فى الظاهر كان ذلك ادعى الى قبولها لهذا كانت
الضريبة المقررة مقبولة لدى الجمهور كينما كانت باهظة لانهم
يؤدونها تدريجاً على اقسام صغيرة عند شراء حاجاتهم اليومية
فهى لاتضيق عليهم فيما القوه ولا تؤثر فيهم لذلك تأثيراً غير

محمود فاذا بدلت هذه الضريبة بضريبة الايراد او الاجور بحيث يدفعونها مرة واحدة علت اصوات الشكوى من كل جانب ولو كانت هذه الضريبة اخف من تلك عشر مرات ذلك لان مبلغاً ذاقيمة ظاهرة حل محل فلس يدفع بالتدريج يوماً بعد يوم ووجب ادائه دفعة واحدة وفي ذلك من موجبات الضرر ما لا يخفى ولو انهم اقتصدوه درهما الى درهم لبان لهم ضعفه وما شعروا بثقله لكن هذه وسيلة اقتصادية تقتضى شيئاً من التبصر وذلك ما لا تقدر الجماعات عليه

المثال الذي قدمناه من اسهل الامثال ومعرفة صحته ميسورة للكافة وهو لم يغيب عن متفكر مثل نابليون لكن المشرعين الذين جهلوا حياة الجماعات لا يدركونه لان التجارب لما تعلمهم ان الناس لا يسرون ابداً على مقتضى قواعد العقل وحده

ومن السهل الاكثار من الامثلة التي ينطبق عليها علم روح الاجتماع فمعرفة ذلك العلم توضح وضوحاً تاماً عدداً كبيراً من الحوادث التاريخية والاجتماعية يستحيل ادراك حقيقتها بدونه وسأبين في حينه ان السبب في كون اكبر

مؤرخى الأعصر الحاضرة واتفق به الميسو (تاين) لم يفقه تماماً بعض حوادث الثورة الفرنسية انما هو لأنه لم يشتغل بالبحث فى روح الجماعات بل استرشد فى الكلام على هذا القسم الموبص من التاريخ بطريقة الطبيعيين التى هى تصوير الحوادث ووضعها غير ان القوى الادبية ليست مندرجة فيما يبحث فيه الطبيعيون الا شذوذاً مع ان تلك القوى هى التى تقوم عليها دعائم التاريخ

معرفة احوال الجماعات النفسية ضرورية سواء اردنا من ذلك جانبها العلى او الرغبة فى مجرد الوقوف على ماهو كائن فمن المفيد استكناه اسباب الافعال التى تصدر عن الانسان كما انه من المفيد معرفة حقيقة المعدن او الفراس

سيكون كلامنا فى روح الاجتماع موجزاً بمعنى انه سيكون تلخيصاً لمباحثنا فلا يطلب القارئ منه الا بعض افكار ترشد الى غيرها ولنغيرنا ان يوغل فى الموضوع اما نحن فانما نخططه على ارض لا تزال عذراء^(١)

(١) قالت ان القليل من العلماء الذين بحثوا فى علم روح الجماعات

قصروا بحثهم على الجهة الجنائية منها اما انا فلم اخصص لهذه الجهة الا

افلا صغيراً من هذا الكتاب لذلك ارجع القراء الى مباحث موسيو (تارد) ورسالة موسيو (سيجيل) التي سماها (الجماعات الجارمة) ونشتمل تلك الرسالة بجانب مباحث مؤلفها الخاصة به على ذكر مشاهدات جميعها من مؤلفات غيره مما تفيد مطالعته علماء روح الاجتماع على ان استخلاصه أفا من حيث قوى الجماعات العقلية وقابليتها للشر والجرمة تخالف ما ذهب اليه هذان العالمان على خط مستقيم

وسأشرع اقرب كتاباً أتكلم فيه على روح الاشتراكية وهناك تبين اهمية الكثير من قواعد روح الجماعات على ان تلك القواعد تنطبق على موضوعات اخر تخالف الموضوع الذى نحن بصدده

ومن تلك التطبيقات مشاهدته موسيو (جيفيرت) مدير المتحف الموسيقى بمدينة بروكسل فى رسالة كتبها على الموسيقى وسماها اسماً جديراً باسماء وهو (فن الجماعات) وبعث الى بنسخة منها مع كتاب يقول فيه — ان كتابك هما اللذان ساعدانى على مسألة كنت أرى قبل الآن حلها مستحيلاً وهى قابلية الجماعات قابلية عجيبة لذوق قطعة موسيقية اذا قام جميعها منفردون يقودهم رئيس ذو حساسة قوية سواء كانت تلك القطعة جديدة او قديمة وطنية او اجنبية بسيطة او مركبة وقد ذكر موسيو جيفيرت فى رسالته ان القطعة الموسيقية قد لا ينموها اشهر الموسيقيين الذين يطالعونها بسكينة فى كسر بينهم ويدركها لاول وهلة سامعون ليس لهم أدنى الملم بقواعد الفن واصبولة



الباب الأول

روح الجماعات

الفصل الأول

المميزات العمومية للجماعات وقانون وحدتها الفكرية النفساني
 ما الجماعة عند علماء النفس - في ان مجرد اجتماع عدد كبير
 من الافراد لا يكفي لتكوين جماعة - في اتحاد وجهة افكار الافراد
 الذين تتألف الجماعة منهم ومشاعرهم وانعدام شخصياتهم - في ان الجماعة
 خاضعة دائماً لحكم الانفعور - ازواء الحياة الشعورية وظهور الحياة
 اللاشعورية - انحطاط القوة العاقلة وتغير الاحساس تغيراً كلياً - في
 ان ذلك الاحساس المتغير يكون أحسن او اربداً منه في الاشخاص
 الذين تتألف الجماعة منهم - سهولة اندفاع الجماعة الى الشجاعة
 والى الشر

الجماعات بالمعنى المتعارف اللفيف من القوم مطلقاً وان
 اختلفوا جنساً وحرقة ذكوراً كانوا او اناثاً وعلى اى نحو اجتمعوا
 اما فى علم النفس فلها معنى آخر فى بعض الظروف يتولد فى
 الجمع من الناس صفات تخالف كثيراً صفات الافراد المؤلف
 هو منها حيث تختفى الذات الشاعرة وتتوجه مشاعر جميع
 الافراد نحو صوب واحد فتولد من ذلك روح عامة وقتية
 بالضرورة الا انها ذات صفات مميزة واضحة تمام الوضوح
 وحينئذ يصير ذلك الجمع لفيفاً مخصوصاً لم اجد لتسميته كلمة اليق
 من لفظ الجماعة المنظمة او الجماعة النفسية فكان ذلك اللفيف
 ذات واحدة وبذلك يصير خاضعاً لناموس الوحدة الفكرية
 الذى تخضع الجماعات لحكمه

وضح مما تقدم ان مجرد اجتماع افراد كثيرين اتفاقاً
 لا يكسبهم صفة الجماعة المنظمة وان الف نفس اجتمعوا عرضاً
 فى رحبة واسعة لغير قصد معين لا يكونون جماعة عند علماء
 النفس بل لا بد فى توفر صفات الجماعة من تأثير مؤثرات
 مخصوصة سنوضحها فيما بعد

ثم ان اختفاء الذات الشاعرة واتجاه المشاعر والافكار نحو

غرض واحد وهما الصفتان الأولى للجماعة إبان انتظامها لا تستلزمان دائماً وجود اشخاص عديدين في مكان واحد بل قد تتوفر صفة الجماعة النفسية لآلاف من الناس وهم متفرقون اذا تأثرت نفوسهم تأثراً شديداً بحادث جازٍ كفاجعة عامة في الأمة فان اجتمعوا اتفاقاً وهم تحت ذلك التأثير لبست اعمالهم ثوب اعمال الجماعات لساعتها وقد تتألف الجماعة من بضعة عشر فرداً وقد لا تتوفر هذه الصفة لمئات اجتمعوا اتفاقاً وقد تصير الأمة كلها جماعة من دون ان يكون هناك اجتماع ظاهر اذا وقع عليها كلها أثر واحد

ومتى تكونت الجماعة النفسية عرض لها صفات عامة مؤقتة لكنها ظاهرة يمكن تحديدها ويقوم بجانب تلك الصفات العامة صفات خاصة تختلف باختلاف العناصر التي تتألف منها الجماعة وربما أثرت هذه الصفات فيما لها من القوة المدركة وعلى هذا يمكن تقسيم الجماعات النفسية الى انواع وسنوضح عند الكلام على هذا التقسيم انه يوجد للجماعات التي تتألف من عناصر مختلفة والجماعة التي تتألف من عناصر متشابهة (كالعشيرة والطبقة والطائفة) صفات عامة جامعة وان لكل

قسم مميزات خاصة به

وقبل الكلام على أنواع الجماعات ينبغي ان نأتى على بيان الصفات العامة لتكون حذونا وحذو الطبيعيين الذين يذكرون اولاً الخواص التى تصدق على جميع افراد كل فصيلة قبل ان يشرحوا الخواص التى تمتاز بها الاجناس والانواع المدرجة فى تلك الفصيلة

ليس من السهل شرح حقيقة روح الجماعات شرحاً دقيقاً لان نظامها يختلف اولاً باختلاف الشعب وتركيب الجمعيات وثانياً باختلاف طبيعة المؤثرات التى تقع على الجمعيات المذكورة غير ان هذه الصعوبة حاصلة عند البحث فى نفس الفرد الواحد لان الفرد لا يحى حياة واحدة لا تتغير الا فى القصص والروايات وغاية ما فى الأمر ان وحدة البيئة تحدث وحدة الخلق فى الظاهر ليس الا وقد بينت فى غير هذا المكان ان فى جميع القوى المدركة استعداداً لتوليد اخلاق جديدة تظهر اذا تغيرت البيئة تغيراً فجائياً هكذا رأينا بين رجال الثورة الفرنسية افراداً كانوا كالوحوش الضارية وقد كانوا فى زمن السلم قضاة من ذوى الفضل او موثقين اولى سكينة

هاتين فلما سكنت الماصفة عادوا الى سكنتهم وكان لنا بوليون
منهم اعوان مخلصون

ولما كان لا يتيسر لنا ان نشرح هنا نظام الجماعات على
اختلاف درجاته وجب ان يكون بحثنا في التي كمل نظامها
فنعرف حينئذ ما قد يؤول اليه امر الجماعات لا ما هي عليه دائماً
خصوصاً اذا لوحظ ان الجماعة التي وصل نظامها الى حد
الكمال الممكن هي التي تحدث لها صفات خاصة جديدة
ترتكز على مافي مجموعها من الصفات الثابتة التي لعامة الشعب
وهي التي تتحد فيها الارادات وتتجه المشاعر نحو مقصد
واحد وهي التي يظهر فيها ذلك الناموس الذي سميت فيما تقدم
ناموس الوحدة الفكرية للجماعات

ومن الصفات النفسية ما تشترك فيه الجماعة مع الافراد
ومنها ما هو خاص بها دون الفرد وسنبذء بالكلام على هذه
الصفات الخاصة لئين مالها من الاهمية

اهم ما تمتاز به الجماعة وجود روح عامة تجعل جميع افرادها
يشعرون ويفكرون ويعملون بكيفية تحالف تمام المخالفة الكيفية
التي يشعرون ويفكرون ويعملون بها كل واحد منهم على انفراده وذلك

كيفما كان أولئك الافراد وكيفما تباينوا او اتفقوا في احوال
 معيشتهم وفي اعمالهم اليومية وفي اخلاقهم ومداركهم وعادة
 ذلك مجرد انضمامهم الى بعضهم وصيرورتهم جماعة واحدة
 ومن الافكار والمشاغل مالا يتولد او يتحول فيخرج من عالم
 القوة الى عالم الفعل الا عند الفرد في الجماعة فالجماعة ذات
 عارضة (مؤقتة) متألفة من عناصر مختلفة اتصل بعضها ببعض
 الى أجل كخلايا الجسم الحى التى ولدت باتصالها ذاتاً أخرى
 لها صفات غير صفات كل خلية منها ورغم أن عما ذهب اليه
 هربرت سبنسر ذلك العالم الحكيم المدقق مما ندهش له نقول
 انه لا يوجد بين العناصر التى تتكون منها الجماعة حد وسط وانما
 الذى يوجد هو مزيج وتولد صفات جديدة كما يحدث ذلك
 فى الجواهر الكيماوية الا ترى انك اذا جمعت جوهريين مثل
 القواعد والاحماض تولد عن اجتماعهما جسم جديد ذو خواص
 تخالف تماماً خواص كل واحد من الجوهريين

لذلك كان من السهل معرفة الفرق بين الفرد فى الجماعة وبين
 الفرد وحيداً غير انه يصعب الوقوف على السبب فى ذلك
 ولكن يقربنا البحث من معرفة هذه الاسباب

على وجه ما ينبغي ان لا تنقل عن القاعدة الآتية التي شاهدها علماء النفس في العصر الحاضر وهي ان للحوادث اللاشعورية في حركة الادراك الشأن الأول كما انها كذلك في الحياة الجنسية وان حياة النفس الشاعرة ليست الا شيئاً يسيراً بجانب حياتها اللاشعورية حتى ان ادق الباحثين تأملوا وابتعد المحققين نظراً لايحه ان يقف الا على قليل من البواعث اللاشعورية التي تدفعه الى الحركة بل ان حركاتنا المقصودة لنا او الشعورية مسببة عن مجموع اسباب لاشعوري متولد على الأخص من تأثير الوراثة فينا وهذا المجموع يشتمل على بقايا الالباء والجدود التي لا يحصيها العد ومنها تألف روح الشعب او الامة التي نحن منها فورا أسباب اعمالنا التي تقصدها أسباب خفية لا ارادة لنا فيها ووراء هذه اسباب كثيرة اخر اشد خفاء وأكثر غموضاً بدليل اننا لا نفقه شيئاً منها وجلّ افعالنا اليومية صادر عن اسباب خفية تفوتنا معرفتها

يتشابه افراد الشعب بالعناصر اللاشعورية التي تكون روحه العامة وهم انما يفترون بالخواص الشعورية التي هي نتيجة التربية وبالأخص نتيجة وراثة استثنائية واشد الناس

اتقارفا من حيث مداركهم يتشابهون بالوجدانات والشهوات
والمشاعر واعظام الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الامور التي
مرجعها الشعور كالدين والسياسة والآداب والميل والنفور
وهكذا الا نادراً فقد يكون بين الرياضي الكبير وبين صانع
حذائه بعد ما بين السماء والارض من حيث العقل والذكاء
ولكن الفرق بينهما في الطباع معدوم في الغالب او هو
ضعيف للغاية

هذه الصفات العامة في الطباع المحكومة باللاشعورية
الموجودة في جميع أفراد كل أمة بدرجة واحدة تقريباً هي التي
لها المقام الاول في حركة الجماعات فتحتي مقدرة الافراد العقلية
في روح الجماعة وتنزوي بذلك شخصيتهم وبعبارة أخرى
تبتلع الخواص المتشابهة تلك الخواص المتغايرة وتسود الصفات
اللاشعورية

ولكون الجماعات انما تعمل متأثرة بتلك الصفات الاعتيادية
يتبين لنا السر في عدم قدرتها ابداً على الاتيان بأعمال تقتضي
فكراً عالياً ومقلا رجيحاً حتى انك لا تجد فرقاً كبيراً فيما
يقرره جمع من نخبة الرجال ذوي الكفآت المختلفة وما يقرره

جمع كله من البداء في موضوع المنفعة العامة لانهم لا يمكنهم ان يشتركوا في هذا العمل الا بالصفات العادية التي هي لكل الناس فالذي يغيب في الجماعات انما هي البلاهة لا الفطنة وما كل الناس بأعقل من (فولتير) كما يقولون غالباً بل الواقع ان فولتير أعقل من كل الناس اذا أردنا بكل الناس الجماعات.

لكن لو كان كل فرد في الجماعات لا يأتي لها الا بما اشترك فيه من الصفات مع غيره لكانت النتيجة حدًا وسطاً فقط وما تولدت خصال جديدة كما قدمنا فمن أين اذن تأتي تلك الخصال . هذا الذي نبحث فيه الآن

الاسباب التي تولد هذه الصفات الخاصة في الجماعات دون الافراد كثيرة

الأول ان الفرد يكتسب من وجوده وسط الجمع قوة كبيرة تشجعه على الاسترسال في امياله مما كان يحجم عنه منفرداً بالضرورة ثم هو لا يكبح جماح نفسه لأن الجماعة لا تسأل عن أفعالها اشيوعها بين جميع الافراد فلا يشعر الواحد منهم بما قد يجره العمل عليه من التبعة وهذا الشعور

هو الزاجر للنفوس عما لا ينبغي

السبب الثانى من الاسباب التى تولد فى الجماعات صفات جديدة وتوحد وجهتها هو العدوى والعدوى من الظواهر التى يسهل بيانها ولكنها ليست مما يتيسر تعليله وهى من فصيلة الحوادث المغناطيسية التى سيأتى الكلام عليها وكل شعور فى الجماعة وكل عمل يصدر عنها فهو معد إلى حد أن الفرد يضحي بمصلحته الذاتية لمصلحة الجماعة وهذه قابلية مخالفة جداً لطبيعة الإنسان فهو لا يقدر عليها خارج الجماعة إلا نادراً

السبب الثالث وهو أهمها مما يولد فى افراد الجماعة صفات خاصة مبيانة تمام المبيانة لصفات كل واحد منهم على انفراده هو قابليته التأثر التى هى أصل فى العدوى السابق الكلام عليها ولسهولة ادراك هذه الظاهرة يلزمنا ان نذكر هنا بعض اكتشافات جديدة دلّ عليها علم وظائف الاعضاء منها انه اصبح من الواضح امكان وضع الشخص بطرق شتى فى حالة يفقد فيها ذاته الشاعرة تماماً فينقاد الى جميع ما يشير به عليه ذلك الذى أذهبها عنه ويرتكب أشد الافعال مبيانة لخلقها

وعادته وقد دلّ النظر الدقيق في احوال الجماعات ان الفرد متى أمضى زمناً بين جماعة تعمل لا يلبث ان يصير في حالة خاصة تقرب كثيراً من حالة الشخص النائم نوماً مغناطيسياً بين يدي النوم وذلك بتأثير السيالات التي تصل اليه من الجماعة او باسباب أخر مما لم نقف عليه بعد وحالة الشخص النائم هي تعطيل وظيفة المخ وصيرورته هو مسخراً لحركات مجموعته العصبية اللاشعورية التي يسيرها النوم كيف يشاء هنالك تنطفئ الذات الشاعرة تماماً وتفقد الابداءة ويفيب التمييز وتتجه جميع المشاعر والافكار نحو الغرض الذي رسمه النوم تلك ايضاً على التقرب حال الفرد في الجماعة فانه فيها لا يبقى ذا شعور بافعاله وبينما هو يعدم بعض ملكاته تشتد فيه قوة البعض الأخر اشتداداً كبيراً كما هو الحال بالنسبة للشخص النائم فتراه عند الاشارة يندفع الى الفعل المشار اليه اندفاعاً لا قبل له بمقاومته وهذا الاندفاع هو عند الفرد من الجماعة اشد بكثير منه عند الشخص النائم لان التأثير حاصل للجميع فيشتد بالتفاعل بينهم والذين قوت شخصيتهم فاستعصوا على الانفعال وسط الجماعة قليلون ولا طاقة لهم

بمصادمة تيار الجميع بل الذي يقدرون عليه هو تحويل الاندفاع الى
 غرض آخر كما وقع احياناً من ان لفظاً سعيداً او خيالياً يمثل في
 الوقت المناسب امام الجماعة يصدها عن ارتكاب افطع الاعمال
 والخلاصة ان انكماش الذات الشاعرة وتسلب الذات
 الاشاعرة واتجاه المشاعر والافكار بعامل التأثير والعدوى
 نحو غرض واحد والاهبة الى الانتقال فوراً من الافكار التي
 اشير بها الى الفعل هي الاخلاق الخاصة التي يتخلق بها الفرد
 في الجماعة فهو لم يعد هو بل صار آلة لا تحكمها ارادته

ومن اجل ذلك يهبط المرء بمجرد انضمامه الى الجماعة عدة
 درجات من سلم المدنية ولعله في نفسه كان رجلاً مثقف العقل
 مهذب الاخلاق ولكنه في الجماعة ساذج تابع للفرزة فيه
 اندفاع الرجل الفطري وشدة وفيه عنفه وقسوته وفيه حماسه
 وشجاعته وفيه منه سهولة التأثير بالانماط والصور مما لم يكن
 يتأثر به وهو خارج الجماعة ثم فيه الاتقياد بذلك الى فعل
 ما يخالف منفعه البديهية وناقض طباعه التي اشتهرت عنه
 وبالجمل فان الانسان في الجماعة اشبه بحبة من رمال تشيرها
 الريح ما هبت

ذلك هو السرفى أن جماعة المحلفين تصدر قرارات يردّها كل من أفرادها إذا عرضت عليه وحده وفى ان المجالس النيابية تسن من القوانين وتقرر من الاعمال ما يرفضه كل عضو من اعضائها بمفرده . كل واحد من رجال الثورة (كوفانسيون) الفرنسياء به كان فرداً متنوراً ذا طباع سليمة فلما صاروا جماعة لم يحجموا عن تقرير افطع الاعمال حتى اسلموا للاعدام اظهر الناس براة من الآثام ثم خالفوا منافعهم فتنازلوا عن حق احترام الناس فى ذواتهم وحصدوا بذلك بعضهم بعضاً ليس هذا هو كل ما يفترق به الفرد فى الجماعة عن نفسه مسرداً اقتراقاً كلياً بل انه قبل ان يفقد استقلاله الذاتى تتغير افكاره ومشاعره تغيراً كلياً فيصير البخل مسرفاً والمتردد سريع الاعتقاد والتقى شريراً والجبان شجاعاً هكذا قرر الشرفاء لما تحمسوا ليلة ٤ اغسطس سنة ١٧٨٩ الشهيرة التنازل عن امتيازاتهم ومن المحقق انه لو طلب ذلك من كل واحد منهم على انفراد لرفضه رفضاً باتاً

نستنتج مما تقدم ان الجماعة دائماً دون الفرد ادراكاً لكونها من جهة المشاعر والاعمال الناتجة عنها قد تكون خيراً منه

او اردأ على حسب الاحوال والأمر في ذلك راجع إلى
الكيفية التي تستفز بها وهذا هو الذي اهمله الكتاب الذين
قصر وابعثهم في الجماعات على جهة الشرمها فاذا صح ان الجماعة
شريرة في كثير من الاوقات فمن الصحيح ايضاً انها شجاعة
في اوقات كثيرة اخر تلك حال الجماعات التي يستفزها
قوادها إلى القتال في نصره الدين او تأييد المذهب
او يستحثونها للعمل في سبيل المجد والفخر فيقودونها بلا تعب
وبغير سلاح لتخليص حزب الله من يد الكافرين كما في
حروب الصليبيين او للدود عن حومة الوطن كما وقع في سنة
١٧٩٣ نعم ذلك الشجاع لا يقر بشجاعته ولكنها هي مادة
التاريخ فأننا لو اقتصرنا على تعداد الاعمال العظيمة التي فعلتها
الأمم وهي هادئة مطمئنة بما وجدنا من ذلك الا يسيراً



الفصل الثاني

مشاعر الجماعات واخلاقها

—

(١) قابلية الجماعة للاندفاع والتقلب والغضب — الجماعة العوبة
في يد المبهجات الخارجية وهي تمثل تقلباتها المستمرة — البواعث
التي تدفع الجماعة الى الفعل قوية جداً تتمحى امامها المنفعة الخاصة —
لاشئ من افعال الجماعة يصدر عن قصد وروية — تأثير الاخلاق
القومية في الجماعة

(٢) قابلية الجماعة للتأثر ولانصديق — طاعة الجماعة للمؤثرات
في انها تأخذ الخيالات التي تمثل لها حقائق ثابتة — علة اجماع
افراد الجماعة على النظر الى تلك الخيالات بكيفية واحدة في التساوى
بين العالم والبلد في الجماعة — بعض امثلة للخيالات التي يتأثر بها
افراد الجماعة كلهم — في استحالة الاعتقاد بصحة قول الجماعة —

في ان اتفاز العدد العديد من الشهادات من اردل الأدلة على اثبات امر معين — ضعف قيمة الكتب التاريخية

(٣) في غلو مشاعر الجماعة وبساطتها — الجماعة لاتعرف الشك ولا التردد وتذهب دائماً الى لتطرف — في ان مشاعر الجماعة زائدة على الحد دائماً

(٤) في ان الجماعة قليلة المساواة ميالة الى التساطو والأمر والمحافظة على القديم — في علة تلك الصفات — في خنوع الجماعة امام السلطة القوية — في ان نزوع الجماعة الى الثورة وقتا من الاوقات لا يمنع من كونها محافظة للغاية — في ان مشاعر الجماعة تضاد الثقبات والترقي (٥) في اخلاق الجماعة — قد تكون اخلاق الجماعة احط كثيراً من اخلاق افرادها وقد تكون ارقى منها كثيراً تبعاً للمؤثرات التي تتأثر بها — علة ذلك وامثله — قلما تكون المنفعة باعث العمل عند الجماعة مع انها هي الداعي الوحيد للفرد في عمله — شأن الجماعة في تهذيب الاخلاق

—

بعد ان اجملنا القول في اهم خواص الجماعات ينبغي ان نأتي عليها بالتفصيل

كثير من الصفات الخاصة بالجماعة كقابلية الاندفاع والغضب وعدم القدرة على التعقل وفقدان الادراك

وملكة النقد والتطرف في المشاعر وغير ذلك يشاهد أيضاً
في الافراد الذين لم يكمل تكوينهم كالمرأة والمتوحش والطفل
ولكنني لا اذكر هذه المشابهة الا عرضاً اذ الدليل عليها
يخرج عن دائرة هذا الكتاب على ان ذلك غير محتاج اليه
لدى من عرف احوال النفس عند الاقوام الذين لا يزالون على
فطرتهم الأولى ثم هو لا يقنع من لا المام له بتلك الاحوال
أقناعاً تاماً

ولنشرع في شرح كل صفة من الصفات التي توجد في اغلب
الجماعات

١

قابلية الجماعة للاندفاع والتقلب والغضب

قدمنا عند الكلام في صفات الجماعة الأولية انها منقادة
عادة الى العمل من دون ان تشعر بالدافع اليه فتأثير المجموع
العصبي في افعاله اكبر جداً من تأثير المنح وهي بذلك تشبه
كثيراً الرجل الفطري وقد تكون الافعال التي تصدر عنها

كاملة من حيث التنفيذ إلا أن العقل لم يكن رائدها فيها بل
 أن الفرد في الجماعة يعمل طوعاً للمؤثرات التي تدفعه إلى الفعل
 فالجماعة العوبة في يد المييزات الخارجية وهي تمثل تقلباتها
 المستمرة وحينئذ هي مسخرة للمؤثرات التي تقع عليها نعم قد
 يقع الرجل منفرداً تحت تلك المؤثرات عينها لكن عقله
 يرشده إلى مضارها فلا ينقاد لحكمها وذلك ما قد يعبر عنه
 علماء وظائف الأعضاء بأن في الرجل وحده قدرة يتمكن بها
 من ضبط أعصابه دون الجماعة إذ ليس لها شيء من ذلك

تتبع الدوافع المختلفة التي تبعث الجماعة إلى الفعل طبيعة
 المؤثرات التي ترجع إليها فتكون رحيمة أو قاسية عليها مسحة
 الأقدام أو الخمول لكنها تكون على الدوام شديدة فلا تثنيها
 المنافع الدائية حتى منفعة حفظ الذات نفسها

ولما كانت أنواع المؤثرات في الجماعة مختلفة جداً وكانت
 الجماعة تخضع لها دائماً لزم أن تكون الجماعة متقلبة كذلك
 وهذا هو السبب في أنها تنتقل فجأة من افطع الأعمال إلى
 أكبرها راحة وكرماً فما أسهل ما تصير الجماعة جلادة ولكن
 ما أبسر ما تكون ضحية أيضاً وما سالت الدماء التي اقتضاها

تأييداً لكل عقيدة في الوجود إلا من بطون الجماعات ولسنا في حاجة الى ان نذهب بعيداً في التاريخ لنعلم ما تقدر عليه الجماعات، في هذه السبيل فما ساومت على حياتها في ثورة ومثد اعوام قليلة ذاعت شهرة أحد القواد جأة في الناس ولو انه اراد لو يجد مائة الف نفس مستعدة لملاقاة الموت انتصاراً له^(١) وعلى ذلك لا يوجد من افعال الجماعة ما هو صادر عن قصد وروية فهي تنتقل من شعور الى شعور وهي على الدوام خاضعة لتأثير الشعور المستحوذ عليها وقت الفعل مثلها في ذلك مثل اوراق الشجر تحملها العاصفة وتبددها شذر مذر ثم تسكن فتهدئ وسأتي بأمثلة على تقلبات الجماعة عند الكلام على بعض الجماعات الثورية

وشدة قلب الجماعة تجعل قيادها صعباً على من يزاوله

(١) يشير المؤنف الى الجنرال بولنجيه أحد رؤساء الجنود الفرنسية في العقد التاسع من القرن الماضي حيث أصبح كالنار على علم شهرة وقولا والتفت حوله القلوب التفاقاً دعاه الى الحرب من جميع الاحتفالات العمومية خيفة الهرج والافتتان به ولولا انه عاجته المنية لجدد زمان نابوليون وأتى الفرنسيون تحت أمرته مالم يكن في الحسبان

خصوصاً اذا وقع في يدها قسط من السلطة العامة ولولا ان مقتضيات الحياة اليومية تفعل في الامور كمنظم خفي لتعبر جداً البقاء على الديمقراطية (الحكومات النيابية) الا انه بقدر ما تطرف الجماعة في ارادة الشيء تسرع بالعدول عن تلك الارادة فانها لاقدره لها على الارادة المستمرة كما انها لاتعذر على اطالة النظر والتفكير

ليست قابلية الاندفاع والتقلب كل ما تمتاز به الجماعة بل هي مع ذلك كالمجى لا تطبق وجود حال بينها وما تريد والذي يساعدها على ان لاتعقل الحيلولة ان الكثرة تحدث فيها شعوراً بقوة لاحد لها فتصور المستحيل بعيد عن الفرد في الجماعة . يشعر الرجل منفرداً بمعجزه عن احراق قصر او سلب حانوت فان دفعه دافع قاوم وامتنع فاذا دخل الجماعة أحس بقوة لم تكن له من قبل وتشجع بكثرة العدد وكفى ان يشار اليه بقتل أو سلب لينساب انسياً لا يثنيه عنه شيء فان كان في طريقه عقبة اقتحمها بعنف وشدة ولو احتمل تركيب الانسان دوام الغضب لقلنا ان الحالة الطبيعية للجماعة التي خولفت في مقصدها هي الغضب الدائم

وليلاحظ ان خد مال الشعب الأساسية منضمة دائماً الى صفات الجماعات الخاصة من قابلية الغضب والاندفاع والتقلب وجميع المشاعر القومية التي سنأتى عليها فالأولى هي الأساس الذى ترتكز عليه الثانية وليبان ذلك نقول ان كل جماعة قابلة للغضب والاندفاع لكنها تتفاوت في ذلك كثيراً فالفرق جلى بين جماعة لاتينية وجماعة انكليزية سكسونية واقرب الحوادث في تاريخنا يوضح ذلك باجلى بيان فقد كفى منذ خمس وعشرين حجة تلاوة بناء برقى عن اهانة فرض وقوعها لسفيرنا حتى هاجت الأمة وثارت تأثرها وتولد من ذلك لساعته حرب ما كان اشد هولها وبعد ذلك بضع سنين ورد نبأ آخر بانكسار ثاغه لجيوشنا في (لانجسون) فقامت القيامة وسقطت الحكومة في الحال وفي ذلك الزمن عينه انكسرت الحملة الانكليزية امام الخرطوم انكساراً اكبر من هذا بكثير فلم ينزعج له رأى العام الانكليزى الا قليلا ولم تترشح من اجل ذلك وزارة عن مركزها . كل الجماعات في كل الأمم كائنساء واشدها شها بها الجماعات اللاتينية فمن اعتمد عليها جاز ان يرقى الى الذرى في وقت قصير لكنه يكون على الدوام

منذ الصخرة زيبان^(١) وموقنا انه سيتدهور يوماً من الأيام

٢

قابلية الجماعة للتأثر والتصديق

قلنا في تعريف الجماعات ان من اخص صفاتها قابليتها
الشديدة للتأثير وبينا كيف ان التأثر معد في كل مجتمع انساني
وفي ذلك ايضاح لسرعة توجه المشاعر كلها نحو غرض
محدود

وكيف ظهرت على الجماعات اشارات الهدوء والسكون فانها
على الدوام في حالة انتظار واستعداد يجعل التأثير فيها سهلاً
فأول مؤثر يبدو تراه يخضعها لحينه بامتداد عدواه الى رؤوس
الكل وفي الحال يحصل اتجاد الجميع نحو الغرض المقصود
وسواء كان ذلك الغرض احراق قصر او اتيان عمل كريم
فانها تندفع نحوه بسهولة واحدة والأمر انما يتوقف على طبيعة
المحرك لاعلى ما يرجحه العقل من وجوب امضاء الفعل

(١) هي صخرة عالية كان يرمى ببعض الجناة من حلقها

او لاجتماعه كما في الافراد

ولما كانت الجماعات على الدوام محلقة في حدود الاشعور
تتأثر بالسهولة من جميع المؤثرات وذات احساس قوى
كاحساس الاشخاص الذين لا تمكنهم الاستعانة بالعقل ومجردة
من ملكة النقد والتمييز كان من شأنها ان تكون سريعة التصديق
سهلة الاعتقاد فهي لا تعرف الامير المعقول فليذكر ذلك القراء
ليفقهوا السر في سرعة انتشار الاقاصيص التي تخرج عن حد
المعقول ^(١)

ثم ان سرعة تصديق الجماعة ليس هو السبب الوحيد في
اختراع الاقاصيص التي تنتشر بسرعة بين الناس بل لذلك
سبب اخر وهو التشويه الذي يعتور الحوادث في مخيلة
المجتمعين اذ تكون الواقعة بسيطة للغاية فتتقلب صورتها في

(١) الذين شهدوا حصار مدينة باريس يعرفون أمثلة كثيرة

من سرعة تصديق الجماعات بما لا يتصوره العقل من ذلك انهم كانوا
يرون في مصباح أوقد في نافذة إحدى المنازل إشارة معطاة للعدو
مع ان أقل الثقات كان يكفي للاقتناع باستحالة رؤية العدو لضوء ذلك
المصباح وهو بعيد عنه بعدة أميال

خيال الجماعة بلا ابطاء لان الجماعة تفكر بواسطة التخيلات وكل تخيل يجبر الى تخيلات ليس بينها وبينه اذى علاقة معقولة وانا لنذكر هذه الحال اذا ذكرنا ماقد يتوارد علينا من الافكار الغريبة لمجرد تخيلنا واقعة من الوقائع والفرق بيننا وبين الجماعة ان العقل يرشدنا الى ما بين هذه التخيلات وبعضها من التنافر والتباين وانه ليس في قدرتها ان تصل الى مثل هذا التميز وان كل ما احده خيالها من التشويش تضيفه الى اصل الحادثة فهي لا تفرق بين الشئ وما يرمى اليه بل هي تقبل جميع الخيالات التي تعرض لها ولا نسبة في الغالب بين تلك الخيالات وما وقع تحت الحس اولاً

ولقد كان يجب تعدد صور التشويش التي تدخلها الجماعة على حادثة شاهدها وتنوع تلك الصور لان امزجة الافراد الذين تتكون هي منهم مختلفة متباينة بالضرورة لكن المشاهد غير ذلك والتشويش واحد عند الكل بعامل العدوى لان اول تشويش تخيله واحد من الجماعة يكون كالخبرة التي تنتشر منها العدوى الى البقية فقبل ان يرى جمع الصليبيين القديس جورج فوق اسوار بيت المقدس كان بالطبع قد تخيله احدثهم

اولاً^(١) فما لبث التأثر والعدوى اذ مثلاه للبقية جسداً مرثياً
هكذا وقعت جميع التخيلات الاجماعية الكثيرة التي
رواها التاريخ وعليها كاهن مسحة الحقيقة لمشاهدتها من
الألوف المؤلفة من الناس

ولا ينبغي في رد ما تقدم الاحتجاج بمن كان بين تلك
الجماعات من اهل العقل الراجح والذكاء الوافر لانه لا تأثير
لتلك الصفة في موضوعنا اذ العالم والجاهل سواء في عدم
القدرة على النظر والتمييز ماداموا في الجماعة ورب معترض
يقول ان تلك سفسطة لأن الواقع غير ذلك الا ان بيانه يستلزم
سرد عدد عظيم من الحوادث التاريخية ولا يكفي لهذا العمل
عدة مجلدات غير اني لا أريد ان اترك القارئ امام قضايا
لا دليل عليها ولذلك سأتي ببعض الحوادث انقلها بلا انتقاء
من بين الوف الحوادث التي يمكن سردها

وابداً برواية واقعة من اظهر الأدلة في موضوعنا لانها
واقعة خيال اعتقدته جماعة ضمت الى صفوفها من الافراد

(١) والواقعة مجرد خيال لكنها جرت مجرى الحقيقة لاجماع

صنوفاً وأنواعاً ما بين جاهل غبي وعالم المعنى رواها عرضاً ربان
السفينة جوليان فيليكس في كتابه الذى ألفه فى مجارى مياه
البحر وسبق نشرها فى (المجلة العلمية) قال

كانت المدرعة (لايل پول) تبحث فى البحر على الباقرة
(بيرسو) حيث كانت قد انفصلت عنها بعاصفة شديدة وكان
النهار والشمس صافية وبينما هى سائرة اذا بالرائد يشير الى
زورق يساوره الفرق فشخص رجال السفينة الى الجهة التى
أشير اليها ورأوا جميعاً من عساكر وضباط جلياً زورقاً
مشحوناً بالقوم تجره سفن تحقق عليها أعلام اليأس والشدة
كل ذلك كان خيالاً فقد انفذ الربان زورقاً صار ينهب البحر
انجداً للبائسين فلما اقترب منهم رأى من فيه من العساكر
والضباط أكداً من الناس يعوجون ويمدون ايديهم وسمعوا
ضجيجاً مبهماً يخرج من أفواه عدة حتى اذا وصلوا المرئى
وجدوه اغصان اشجار مغطاة بأوراق قطعت من الشاطئ
القرب واذ تجلت الحقيقة غاب الخيال

هذا المثال يوضح لنا عمل الخيال الذى يتولد فى الجماعة
بحال لا تحتل الشك ولا الابهام كما قررناه من قبل فهنا

جماعة في حالة الانتظار والاستعداد وهناك رائد يشير الى وجود مركب حفها الخطر وسط الماء مؤثر سرت عدواه فتلقاه كل من في الباخرة عساكر وضباطاً

ليس من الضروري ان تتألف الجماعة من عدد كبير حتى تنعدم فيها حاسة ابصار الاشياء على حقيقتها وتبدل الحقائق بخيالات لا ارتباط بينها وبينها بل متى اجتمع بعض افراد تألفت منهم جماعة لها مالكل الجماعات من الصفات وان كانوا من اكابر العلماء ولبست هذه الصفات كل واحد منهم فيما هو بعيد عن اختصاصه العلمى وفي الحال تنزوى ملكة التميز وتنطفئ روح النقد في كل واحد منهم ومن الامثلة الغربية على ذلك مارواه لنا موسيو (دافى) وهو احد علماء النفس المحققين وقد نشرته حديثاً مجلة (اعصر العلوم النفسية) ويحسن بنا ايراده . دعا اليه موسيو (دافى) عدداً من كبار اهل النظر وفيهم عالم من اشهر علماء انكلتريه هو المستر (ولاس) وقدم لهم اشياء لمسوها بأيديهم ووضعوا عليها ختوماً كما شاؤا ثم اجرى امامهم جميع ظواهر فن استخدام الأرواح من تجسيم الأرواح والكتابة على

(الأردواز) وهكذا وكتبوا له شهادات قالوا فيها ان المشاهدات التي وقعت امامهم لاتنال الا بقوة فوق قوة البشر فلما صارت الشهادات في يده اعرب لهم ان ما كان اننا هو شعوذة ما بسطها قال راوى الحادثة : والذي يوجب الدهش والاستغراب في بحث موسيو (دافى) ليس ابداعه ومهارته في الحركات التي قام بها بل ضعف الشهادات التي كتبها اولئك الشهود الذين كانوا يحملونها وان الشهود قد يذكرون روايات كثيرة واقعية كلها خطأ وانه لو صح وصفهم الحوادث التي يروونها لتعذر تفسيرها بالشعوذة على ان الطريقة التي استنبطها موسيو (دافى) بسيطة يندهش الانسان لبساطتها من جرأته على استعمالها ولقد كان له من التأثير في افكار جماعته ما جعلها ترى ما لم تكن ترى

ذلك هو تأثير النوم في النوم دائماً واذا تبين ان هذا التأثير جائز في عقول سامية بعد ان أُنذرت فكيف يكون من السهل التأثير في عقول الجماعة العادية

والأمثلة التي من هذا القبيل لا تحصى . انا اكتب هذه المستور والجرائد ملأى بذكر غرق ابنتين صغيرتين

وانتشالهما من نهر (السين)

عرضت الجثمان فعرفها بضعة عشر شخصاً معرفة أكيدة.
واتفقت اقوالهم اتفاقاً لم يبق معه شك في ذهن قاضي
التحقيق فرخص بدفنها وبينما الناس يتهاون لذلك ساقى
القدر البتين اللتين عرفهما او تلك الشهود بالاجماع وبأن انهما
باقيتان ولم يكن بينهما وبين الفقيدين الا شبه بعيد جداً
والذى وقع هنا هو بذاته ما وقع في الامثلة التي سردناها .
تحيل الشاهد الأول ان الفريقين هما فلانة وفلانة فقال ذلك
واكد فسرت عدوى التأثير الى البقية

وأول مراتب التأثير في هذه الحوادث وامثالها هو على
الدوام ما يتولد من الخيال عند احدهم بسبب حضور بعض
مشابهات المهمة في ذاكرته ثم يتدرج من ذلك الى القول
بما تحيل فتنشأ عدوى التأثير بذلك الخيال الأول فإذا كان
أول من يقع الحادث تحت حواسه سريع التأثير يكفي ان
يكون في الجثة التي تعرض عليه علامة او أثر خاص كالذى
قد يكون في الجسم الذى سبقت له معرفته ليتخيل انها هي
ولو لم يكن بينهما ادنى شبه حقيقى في الخلقة اذ ذاك يصير

الخيال الأول اشبه بنواة ذات تبلور تحتل ساحة الإدراك
وتمثل ملكة التمييز تماماً . وحيث لا يرى الانسان الشيء
الذى امامه نفسه بل الصورة التى خيلت اليه . ومن هنا نفهم
السرفى خطأ الامهات اللاتى يخيل اليهن انهن يعرفن جثث
اولادهن كما وقع فى الحادثة الآتية وهى وان تكن قديمة العهد
لكن الجرائد ذكرت اخيراً ومنها يدرك القارئ درجة التأثير
الذى يينا كيفيته . عرف غلام جثة غلام وكان مخطئاً وترتب
على ذلك ان اشخاصاً كثيرين عرفوا الجثة كما عرفها الأول .
وحدث على اثر هذه المعرفة المتكررة امر من الغرابة بمكان
اذ جاءت امرأة فى اليوم الثانى وهى تصيح : ربى انه ولدى .
فلما دخلت عليه اخذت تقلب ثيابه فرأت جرحاً فى الجبهة
فقالت نعم هذا ولدى فقدته منذ شهر يوليه الماضى ولقد
سرقوه منى ثم قتلوه . وكانت هذه المرأة حارسة باب أحد
النازل واسمها (شافاندرت) ثم جرى بزواج اختها فواقع
نظره على الجثة الآ وقال هذا فيليب . كذلك عرفه كثير
من سكان حارته كما عرفه معلم المدرسة اذ رأى فى عنقه تيمة
من الذهب كانت لدية حجة دامنة على انه هو ابن تلك السيدة .

اجل كل أولئك الناس كانوا مخطئين وبأن بعد ستة أسابيع
ان الجنة جثة ولد من اهل مدينة (بورديو) قتل هناك وحملته
شركة النقل الى باريس^(١)

والذي يجب ملاحظته هو ان هذه المعرفة تقع غالباً من
النساء أو الصبيان أغنى من الأشخاص شديدي التأثير أكثر
من غيرهم . وذلك يدلنا على . تدار قيمة مثل هذه الشهادات
امام القضاء . فالواجب ان لا يلتفت الى قول الصبي بحال من
الأحوال . يقول القضاء مجمعين ان الانسان في هذا السن
لا يكذب . ويزعم انهم ارتقوا في معرفة أحوال النفس درجة
لعلوا انه فيه يكذب على الدوام . نعم انهم غير آثمين فيما
يكذبون ولكنهم على كل حال يكذبون والأل كان الأولى
أن تبني العقوبات على أحد وجبي الدينار (طره ولا ياز) من
ان تبني على شهادة صبي

ونرجع الى مشاهدات الجماعة فنقول انها أكثر المشاهدات
خطأ وانها في الغالب عبارة عن خيال فرد واحد سرت عدواه
الى الجميع . وقد لا تفرغ من سرد الامثلة التي توجب علينا

الحذر والحيلة في الاخذ بشهادة الجماعة . فقد حضر الوف من الناس منذ خمس وعشرين سنة حملة الفرسان في واقعة (وائرلو) ومع ذلك يستحيل معرفة القائد الحقيقي لهذه الحملة نظراً لتناقض اقوال من شهدوها . واثبت الجنرال (ولسلي) الانكليزي في كتاب نشره اخيراً أن الرواة اخطأوا خطأ فاحشاً حتى الآن في سرد اهم الوقائع في حرب (سندام) وهي التي اجمع المئات من الناس على صحتها ^(١)

(١) اني اشك كثيراً في اتا نعرف حقيقة سير حرب واحدة والذي نعرفه انما هو الغالب والمغلوب واطن انا لا نعرف غير ذلك والذي رواه الدوق (داركور) عن حرب (سولفيرينو) يصدق على جمع الحرب قال : يكتب القواد تقاريرهم بناء على قول المئات من العساكر فيتناولها الضباط المكلفون بتبليغ الاوامر ويعملون فيها ويحررون النسخة النهائية فيخالنهم رئيس أركان الحرب ويعيد تحريرها من جديد على حسب معلوماته ثم يعرضونها على القائد العام . فيصبح بل أنهم مخطئون ويحل محلها غيرها فلا يبق من الاصل الا سير وانما حكى موسيو (داركور) هذه الحكاية ليبرهن على ان الوصول الى معرفة حقيقة اشهر الحوادث حتى التي ضبطت لساعتها يكاد يكون مستحيلاً

هذه الحوادث تدلنا على قيمة شهادة الجماعات . نعم ان كتب المنطق تعد اجماع الممد الكثير على الشهادة من أقطع الادلة التي يمكن اقامتها لاثبات أمر من الامور ولكن الذي نعرفه من علم أحوال النفس يرشدنا الى انه يجب ان تؤلف كتب المنطق في هذا الموضوع من جديد فالشك كل الشك في الوقائع التي رواها الجلم الفقير والقول بأن الامر شوهده في الزمن الواحد من الوف من الشهود هو في الغالب قول بأن الواقع يخالف كثيراً ما اتفق اولئك الشهود عليه نتج من هذا انه ينبغي النظر الى كتب التاريخ كأنها كتب أملاها الخيال لاحتوائها على روايات وهمية لحوادث اصطحب بالشك وقوعها تحت الحواس وادفت بشروح متأخرة عنها وعليه فان عمل أى عمل كيفما كان رديئاً أولى من قتل الوقت في وضع مثل تلك التأليف

ومن سوء الحظ انه لاثبات للاقاصيص وان سجلت في بطون كتب التاريخ لان خيال الجماعات لا ينفك بغيرها ويحرقها مدى الزمن بدليل ما نعرفه الآن من الفرق العظيم بين يهوذا ذلك الوحش الكاسر الذي جاء ذكره في الانجيل

ويهوذا آتاه الحب الذى ذكره القديس (تيريز) . وبديل
 ان (بوذا) الذى يعبد الصين لم يبق بينه وبين (بوذا)
 المعبود فى اليابان وجه شبه ما

بل انه لا يلزم أن تتعاقب الاجيال لتغير صور عظماء الرجال
 فى خيال الجماعات فان هذا الانقلاب قد يحصل فى بضع
 سنين . اناشهدنا قصة اعظم رجال التاريخ تقلبت عدة مرات
 فى أقل من خمسين عاما . فى عهد آل (بوربون) كان نابليون
 رجلا يحب الانسانية حر الافكار صديقا للضعفاء ولو صدق
 الشعراء لبقى ذكره فى اكوأخهم (الفقراء) زمنا
 مديدا . وبعد ثلاثين سنة صار البطل الكريم مستبدا سفاكا
 استلب الحكم والحرية واهلك ثلاثة آلاف الف من النفوس فى
 سبيل اطمانه . واليوم نحن نشهد صورة جديدة لنابليون .
 فاذا اتقضى عليه بضع عشرات من القرون داخل الريب علماء
 ذاك الزمان امام هذه الروايات المتناقضة فى وجود هذا
 البطل كما يشك بعضهم الآن فى وجود بوذا وقد لا يرون فيه
 الا خرافة او صورة مكبرة من صورة (هرقل) اليونانى .
 غير انه سيكون لهم من معرفة روح الاجتماع ما يسرى

الحزن عنهم لقاء هذا الشك وخفاء الحقيقة اذ يعلمون ان التاريخ انما يخلد الخرافة والاقاصيص

٣

غلو مشاعر الجماعة وبساطتها

كيفما كانت مشاعر الجماعة اى سواء كانت طيبة او رديئة فان لها صفتين . بساطة للغاية . وغلواً للنهاية . ومن هذه الجبة يقل الفرق بين الفرد مجتمعاً والرجل الفطرى كما يحصل ذلك أيضاً في أحوال أخرى . فهو يفقد ملكة التمييز الدقيق . ويرى الاشياء في جملتها ولا يعرف ضرورة الانتقال من طور الى آخر . ومما يزيد في غلو مشاعر الجماعة ان كل احساس يبدو فسرعان ما ينتشر بعامل التأثير والعدوى . واجماع الكل على قبوله يزيد في قوته زيادة كبيرة

غلو مشاعر الجماعة وبساطتها يجعلانها لا تعرف الشك ولا التردد . فهي كالنساء تذهب فوراً الى اشد الاقصى . فالشبهة متى بدت تنقلب الى بديهي لا يقبل البحث . والرجل منفرد

قد لا يقر على أمر أو ينفر منه نفوراً لا يتعدى مجرد الرغبة عنه وأما الرجل في الجماعة فانه متى نقر انقلب نفوره حقداً شديداً

وتزداد شدة المشاعر غلواً على الاخص في الجماعة المؤلفة من أفراد غير متشابهين لفقدان تبعة الاعمال من بينهم . فيتولد عندها من المشاعر وتأثي من الاعمال ما يستحيل صدوره عن الفرد الواحد . لتحقيق كل من عدم وقوعه في العقاب . وكلما كان العدد كبيراً قوى فيه هذا الاعتقاد وشعر بقوة حاضرة عظيمة . هنالك ينسى الجبان والجاهل والحسود درجة انحطاطهم وضعفهم ويحل محلها خيال قوة وحشية وقتية لكنها هائلة

ومن نكده الطالع ان غلو مشاعر الجماعات يظهر غالباً في الشر . وتلك بقية مما ورث أهل هذا الزمان عن آبائهم الأولين . وهي مشاعر يرد جماحها الرجل المنفرد المسؤول عن عمئه مسوقاً بعامل الخوف من العقاب . وهذا هو السبب في سهولة قيادة الجماعة الى اقبح درجات التطرف ومع ذلك ليست الجماعات غير قابلة للقيام باكرم الاعمال

والاخلاص وأرفع الفضائل اذا حسن التأثير فيها . بل هي
أشد قبولاً لذلك من الرجل المنفرد . وسنعود الى هذا الموضوع
عند الكلام في أخلاق الجماعات

وكما ان الجماعة تعالى في مشاعرها فلا يؤثر فيها الا المشاعر
المعالى فيها . فاخطيب الذي يريد اجتذاب قلوبها يلزمه
الكثارة من التوكيدات الحادة . لان المبالغة والتوكيد والتكرار
وعدم التعرض ابداً الى اقامة البرهان على أى قضية
كلها وسائل خطائية يعرفها خطباء الجماعات العمومية حق
معرفة

تطلب الجماعة من ابطالها الغلو ايضاً في مشاعرهم فما ينبغي
لهم من أجلها ان يفخموا في ألقابهم ويمظموا من فضائلهم
الصورية . وقد شوهد ان الجماعة تطلب من ابطال الروايات
في مراسع الملاحى شجاعة وإخلافاً وفضائل ليست لأحد في
الوجود الحقيقي .

والكثير ينسب هذا الميل لاحوال الملاحى الخاصة التي
تولد في نفوس المتفرجين هذا الشعور . نعم لتنسيق المراسع
على نحو مخصوص فن ذو قواعد غير انها قواعد لا تنطق غالباً

على ما يقتضيه الذوق السليم والأحوال المنطقية . والواقع ان فن الخطابة في الجماهير ذو درجة منحطة . الا أنه يقتضى صفات مخصوصة وكثيراً ما يحار الانسان عند تلاوة رواية في معرفة السبب في نجاحها . حتى ان ما يرى الملاحى انفسهم عند ما تقدم اليهم تلك الروايات يشكون في نجاحها لأنهم لا يقدرُونَ على الحكم عليها الا اذا لبسوا ثوب جماعة متفرجين^(١) . ولو انه أتيح لنا التوسع في هذا البحث لينا

(١) وبما تقدم ندرك السبب في ان الرواية الواحدة رفضها مديرو الملاحى كلهم ثم تمنح فرصة فتشخص فتال نجاحا دونه كل نجاح ونجاح رواية موسيو (كويه) المسماة من (أجل التاج) معروف ومشهور بعد ان رفضها مديرو الملاحى الشهيرة كلها مدى عشر سنين مع علوكعب المؤلف ومزكته الادبية الكبرى . كذلك رواية لامارن دى شارلى . أبت الملاحى كلها تشخيصها فانفق أحد المسيرة المال لازم لتمثيلها فمئات مائتى مرة في فرنسا واكثر من ألف مرة في بلاد الانجليز ولولا ما قدمناه من استحالة نظر مديري الملاحى في الروايات نظر جماعة المتفرجين ما فهم كيف جز ان يصدر عنهم مثل تلك الاحكام او يصدر عنهم مثل ذلك الخطأ الجسيم وهم من كبار الادباء بين أهل الفن ولهم في تمثيل الروايات منافع

رجحان تأثير الاخلاق القومية في هذا المقام . لأن الرواية
التي تخب العقول في بلد قد لا يلتفت اليها في بلاد غيرها الا
بقدر ما تقضى به المجاملة والاصطلاح لانها لا تحرك في غير
بلدها شجون سامعيها وهو شرط نجاحها

لست في حاجة الى القول بان مغالاة الجماعات تكون على
الدوام في مشاعرها ولا تعتمد الى قوتها العاقلة ابداً . فقد
سبق لى بيان ان مدارك الرجل في الجماعة تنحط سريعاً
انحطاطاً عظيماً ذلك هو ما شاهده ايضاً أحد أفاضل القضاة
موسيو (شارد) في مباحثه عن جرائم الجماعات وعليه فالجماعة
انما ترتقى او تنحط في دائرة المشاعر



عدم مسالة الجماعات وميلها الى التسلط
والأمرة والمحافظة على القديم

قلنا ان الجماعات لا تعرف من المشاعر الا ما كان متطرفاً

كبيرة من شأنها ان تبعدهم عن الوقوع فيما وقعوا فيه . هذا موضوع
لا يسعني الاسهاب فيه . وهو جدير بان يشجذه قلم رجل يجمع بين
فن الملامى والبراعة في علم النفس مثل موسيو سربى

بسيطاً وهي لذلك تقبل ما يلقى إليها من الآراء والافكار
 والمعتقدات بجملتها او ترفضها كذلك فتأخذها حقائق مطلقة
 أو ترغب عنها بأبطل مطلقه على ان هذا هو الشأن في المعتقدات
 التي تحصل من طريق التلق لا التي تتصل بالانسان من
 طريق النظر والتعقل وكل يعرف ما للمعتقدات الدينية من
 التأثير في عدم احتمال المخالف ومن السلطان على النفوس
 ولما كان باب الشك غير مفتوح امام الجماعة في كل ما اعتقدت
 انه حق أو باطل وكانت تشعر شعوراً تاماً بقوتها كانت أمرتها
 مساوية لعدم احتمالها . يطبق الفرد المناظرة والخلف . اما
 الجماعة فلا تطبق ذلك أبداً وأقل خلف يأتي به الخطيب الذي
 يتكلم في المجتمعات العمومية يتلقاه السامعون بأصوات الغضب
 والسباب الشديد فان أصر فنصيبه الاهانة والطرده بلا امهال
 ولولا الرهبة من رجال الشرطة الحاضرين لقتلوه أحياناً
 عدم الاحتمال والأمره شائمان في الجماعات كلها غير انهما
 يختلفان في كل واحدة منها وهنا ايضاً يظهر لنا أثر الاخلاق
 القومية المتسلط على جميع مشاعر الناس وافكارهم . فاقصى
 درجات عدم الاحتمال والأمره توجد في الجماعات اللاتينية

اذ بلغت عندها الى حد انها اقامت في الفرد روح الاستقلال
التي هي اشد اخلاق الانكليزي السكوني قلاتهم الجماعات
اللاتينية الا باستقلال المجموع الذي هي منه . واخص
مميزات هذا النوع من الاستقلال شدة الميل الى التعجيل
باخضاع المخالف في الرأي لمعتقد الجماعة عنوة وقسراً ذلك
هو نوع الحرية الذي عرفه المتطرفون في كل عصر ولم يكن
في قدرتهم ان يعرفوا سواه

الأمره وعدم الاحتمال حاستان من الحواس التي تجيد الجماعات
معرفتها فهي تدركها بسهولة وتتلقاها بسهولة وتعمل على
مقتضاها بسهولة عند الطلب وهي تحترم القوة وتخنع لها ولا
تتأثر بالحسنى الا قليلا لانها في نظرها صورة من صور الضعف
ليس الا لذلك لم تمل الى رؤسائها الذين عرفوا بالرفق واللين بل
الى الطغاة المستبدين الذين سحقوها . لمثل هؤلاء تقيم الجماعة
التمثيل في كل عصر وأوان واذا تخطت بالاقدام فوق غشوم
سقط من عليائه فذلك لأنه فقد سلطانه واندرج في عداد
الضعفاء الذين يحقرون لكونهم لا يخشون . فأعز الابطال لدى
نفوس الجماعة من كان شبيها بقيصر يخلبهم جلبابه ويرهبهم

سلطانه ويخيفهم صولجانه

الجماعة في استعداد دائم للاتفاض على السلطان اذا ضعف
وهي تحي الرأس امام الوازع المنيع فان تناوبه الضعف والقوة
عاملته بمقتضى مشاعرها المتطرفة وانتقلت من الخنوع الى
الفوضى وثابت من الثورة الى الخنوع

ولقد يخطئ في ادراك حقيقة الاجتماع من يظن ان
الروح السائدة على الجماعات دائماً هي الثورة والذي يوجب
الشبهة في ذلك انما هو تعسفها وقسوتها والحقيقة ان انفجار
بركان الثورة منها وصدور اعمال التخريب عنها نزعة عرضية
تخمد سريعاً لان خضوعها لقواصل الوراثة شديد بقوة تأثير
الفرائز الفطرية فهي ميالة كل الميل الى المحافظة على الحال التي
هي فيها ومتى تركت وشأنها مات الفوضى وسارت بفطرتها
الى الاستكانة والاستعباد هكذا كان اشد القوم تهليلاً وترحياً
بالقائد بونابرت هم اشد رجال الثورة تفطرساً وتطرفاً لما اجم
جميع الحريات واثقل بيده التي من حديد

ومن الصعب ان نفهم التاريخ لا سيما تاريخ ثورة الامم اذ
لم نكن على علم تام بتأصل ميل الجماعات الى المحافظة . تبني

الجماعات استبدال اسماء نظاماتها وقد تشور الثورة العنيفة
 للوصول الى ذلك التغير لكن لب هذه النظامات من
 حاجات الامة التي تلقمها عن الآباء والاجداد فهي ترجع اليه
 على الدوام . اما تقلبها المستمرة فلا تتعلق الا بالمسائل العرضية
 والحاصل ان عاطفة المحافظة في الجماعات قوية كما هي عند أهل
 النشأة الاولى . يبلغ احترامها للتقاليد حد العبادة وتبغض
 أشد البغض بفطرتها كل جديد من شأنه تغيير أحوال معيشتها
 الحقيقية ولو ان سلطة الديمقراطية بلغت أيام اختراع الصنائع
 الميخانيكية واكتشاف البخار والسكك الحديدية ما بلغت
 الآن لاستحالة تحقيق هذه المخترعات أو لكان ثمنها كثيراً
 من الثورات وقتل الآلاف من النفوس . فمن حسن حظ
 الحضارة أن سلطة الجماعات ما بدأت في الظهور إلا بعد ان
 تم تحقيق الاكتشافات العظيمة العلمية والصناعية



اخلاق الجماعات

اذا أردنا من كلمة الاخلاق دوام الاحتفاظ بما اصطلح

العموم على مراعاته ويقع النفس عن الاسترسال مع نزعات حب الذات فليست الجماعة أهلاً لشيء من ذلك لشدة نزقها وعدم ثباتها لكن إذا أدخلنا ضمن معنى هذا اللفظ التخلق مؤقتاً ببعض الصفات كاهمال الذات والاخلاص والتزهد عن الغاية وتضحية النفس والميل الى الانصاف جاز لنا ان نقول بان الجماعات أهل للتجمل باخلاق عالية

أما السبب الذي حدا بالقليل من علماء النفس الذين بحثوا في أحوال الجماعات الى الحكم عليها بأنحطاط الاخلاق فهو كونهم قصرُوا بحثهم على جهة الشر فيها فلاحظوا ان اعمالها من هذه الجهة كثيرة .

نعم هذا هو الغالب في الجماعات وعلته ان المصور الماضية تركت من شرها وخشونتها بقية اطمانت في قلب كل واحد منا والفرد لا يجرأ على الاسترسال مع هذه البقية حذر الوبال الذي تجره عليه . أما الجماعة فغير مسؤولة عن اعمالها فاذا هو انخرط فيها امن العقاب ونشط من عقاله فاتبع هواه . الا ترى انه لما لم يجرأ على الشر مع امثاله مال به الى الحيوان فواصله بالاذى . فشهوة الايذاء عند الجماعة من طبيعة شهوة

الصيد عند المفترس به فهي تفترس الرجل اذا غضبت فلا تأخذها شفقة ولا يثنيها خنان وهم يجتمعون زمراً زمراً يشهدوا بقاوب قاسية كلابهم تمزق بانيابها الوعل الضعيف والكل في نظر الحكيم وحش مفترس.

بقى ان الجماعة كما انها اهل لارتكاب القتل والتدمير بالنار وكل انواع الجرائم هي اهل للاخلاص في العمل ولتضحية المنافع الذاتية والنزاهة بدرجة أرق مما يقدر الفرد بل هي أقرب منه الى تلبية من يناديها باسم الشرف والفخر او باسم الدين والوطن الى حد المخاطرة بالأرواح وامثلة الصليبيين ومتطوعي سنة ٩٣ كثيرة يخططها العد في التاريخ فالجماعة دون الفرد اهل لمعظم الأعمال في باب النزاهة والاخلاص وهم من جماعة تقدمت الى الموت في سبيل معتقدات وافكار وكلمات كانت تكاد لا تفقه شيئاً من معانيها حتى ان الجماعة التي تقوم بالاعتصاب انما تعتصب لصدور الاشارة بذلك اليها اكثر من ميلها لنيل الزيادة في الأجر الزهيد الذي اقتضت به من قبل لأن المصلحة الذاتية فلما تكون سبباً قوياً لحركات الجموع وهي على التقرب السبب الوحيد في عمل الفرد فليست

هي التي سافت الجلم الفقير من الجموع الى الحروب من دون
ان يدرك السبب فيها ولا الغرض منها ولا هي التي جعلتهم
يتساقطون على عجل بين يدي الموت كالقبرة يسحرها الصياد
بمرآته فتدنو اليه

حتى الأوغاد كثيراً ما يكون انضمامهم الى الجماعة علة في
ارتقاء الملكات الفاضلة في نفوسهم وقتاً ما كما لاحظته (تاين)
في قتلة شهر سبتمبر الذين كانوا يلتقطون كل ما وجدوه من
الأموال ونفيس المتاع ويقدمونه للجنة مع انه كان من
السهل عليهم اخفاؤه كذلك الجماعة التي وجهت على قصر
(التويلرى) في ثورة سنة ١٨٤٨ لم يتناول فرد منها شيئاً من
تلك النفائس التي بهرتها وقد كان يكفيه قوت عدة ايام مع
كونها كانت شديدة الغضب عنيفة الصخب مرزولة الاثر
نعم تهذيب الجماعة للفرد ليس هو القاعدة المطردة ولكنه
كثير الوقوع حتى في احوال أقل شدة من التي تقدم ذكرها
وقد سبق لنا القول بان جماعة المتفرجين يطلبون من الشخصين
أفضل الاخلاق وارفع الفضائل ومن السذاجة ان تقول بأن
الجماعة وان تكونت من افراد منحطى الاخلاق تظهر غالباً

عظير الكمال هكذا المنغمس في الموبقات والديون والوغد
يزجرون ذئاباً اذا رأوا منظراً منافياً للآداب او سمعوا هذراً
يعد تافهاً بجانب حديثهم الذى تمودوه في ندواتهم

ثبت مما تقدم ان الجماعة كما انها تميل الى الدنيا هي اهل
للتحلي بأخلاق عالية واذا صح ان يكون التنزه في العمل والجلد
والاخلاص المطلق ابداً وهي او صحيح من الفضائل الادبية
جاز القول بأن للجماعة في الغالب من ذلك ما ليس لأعقل
الحكماء الا قليلاً حقاً هي تراول تلك الفضائل لا عن قصد
ولكن ماضراً من هذا ونحن لا ينبغي لنا ان نشكو كثيراً
من الافعال التي تصدر عن الجماعات بمحض غريزتها الا
النادر لأنها لو تعقلت احياناً ورجعت الى منافعها القربة منها
ما قام على وجه البسيطة ركن من اركان الحضارة ولا كان
للانسانية تاريخ يتلى

الفصل الثالث

افكار الجماعات وتعقلها وتخيلاتها

—

(١) افكار الجماعات - الافكار الاساسية والافكار التبعية - في اجتمع الافكار المتناقضة - تغير الافكار العالية حتى تصل الجماعات الى ادراكها - اثر الافكار في الهيئة الاجتماعية بمعزل عما تشتمل عليه من الحقيقة

(٢) تعقل الجماعات - عدم قابلية الجماعات للتأثر بالمعقول - درجة تعقل الجماعة منحطة دائماً - لا تشابه ولا تلازم بين الافكار التي تجمع الجماعات بينها الا في الظاهر

(٣) تخيل الجماعات - شدة تخيل الجماعة - انما تخيل الجماعات بواسطة الصور وهي تتوارد عليها من غير جامعة بينها اصلاً - انما يشتد تأثر الجماعات من الاشياء بالجهة الخلابة فيها - خلابة الاشياء وما فيها من الاقاصيص هما اساس المدينة الحقيقية - تخيل الجماعات كان على الدوام قوة رجال السياسة في الامم - كيف تبدو الحوادث التي لها قوة التأثير في تخيل الجماعات



افكار الجماعات

بحشنا في كتابنا السابق عن تأثير الافكار في تطور الامم وبيننا ان كل مدينة تقوم على افكار اساسية محدودة قلما تتجدد وشرحنا كيف تتمكن تلك الافكار من نفوس الجماعات وكيف انها لا تدخل عليها الا بالصعوبة وما هي القوة التي تذكر لها متى احتلتها ثم اوضحنا كيف ان التقلبات السياسية الكبرى تحدث غالباً مما يطرأ على هذه الافكار الاساسية من التغير وذلك كله بالاسباب والشرح الوافي وعليه لا نعود الى بسط الكلام في هذا الموضوع مرة اخرى وانما نوجز القول في الافكار التي هي من مقدور الجماعات والصورة التي تناولها عليها.

تنقسم هذه الافكار الى قسمين الأول الافكار العرضية الوقتية التي تولدها بعض الحوادث لساعتها كولو ع بفرد من الافراد او مذهب من المذاهب والثاني الافكار الاساسية التي تكتسب من البيئة والوراثة والرأي ثباتاً مثال ذلك

العقائد الدينية في الماضي والافكار الديمقراطية والاجتماعية
في الزمن الحالي

فالافكار الاساسية اشبه بالماء الذي يجري الهويناء في النهر.
والافكار العرضية تشبه الامواج الصغيرة المتغيرة على الدوام
التي تضرب وجه ذلك الماء وهي مع قلة اهميتها اظهر امام
العين من سير النهر نفسه

وقد اخذت الآن الافكار الاساسية التي عاش بها آباؤنا
في الاضمحلال شيئاً فشيئاً ففقدت ما كان لها من المتانة
والرسوخ وترعزعت من اجل ذلك النظامات التي كانت
تقوم عليها وفي كل يوم تظهر افكار وقتية كثيرة مما ذكرنا الا
ان القليل منها هو الذي ينمو وهو الذي يكون له في المستقبل
تأثير كبير

وكيفما كانت الافكار التي تلتقي في نفوس الجماعات فانها
لا تسود ولا تتمكن الا اذا وضعت في شكل قواعد مطلقة
بسيطة لتبدو لها في هيئة صورة تحسنها وهو الشرط اللازم لأن
تحل من نفوسها محلاً كبيراً وليس بين هذه الافكار المصورة
اقل رابطة عقلية من التشابه او التلازم فيجوز ان يحل بعضها

محل بعض كالزجاجات البحرية التي يستخرجها العامل واحدة فواحدة من صندوقها ذلك هو السبب في قيام الافكار المتناقضة بجانب بعضها عند الجماعات وعلى حسب الاحوال تكون الجماعة تحت تأثير أحد هذه الافكار التي اجتمعت في مدرستها فتأثي بأشد الاعمال تناقضاً وتضارباً

هذه حال ليست خاصة بالجماعات وحدها بل هي تشاهد أيضاً في الافراد لا فرق في ذلك بين من لا يزال على الفطرة ومن أشبههم بناحية من نواحي العقل كالذين غلت ثورة الدين في رؤوسهم بل اني شاهدت ذلك بدرجة توجب الاستغراب عند بعض مستنيري الهندستان الذين تربوا في مدارسنا الاوروبية ونالوا جميع شهاداتها فرأيت انه ارتكز على مجموع معتقداتهم الدينية المستديم أو افكارهم الاجتماعية الوراثية مجموع افكار غربية لاعلاقة بينها وبين الاولى وذلك من دون أن تؤثر فيها وكانت هذه او تلك تظهر في الخارج طبقاً لمقتضى الحال بجميع مشخصاتها من أعمال وأقوال فيبدو الفرد منهم مناقضاً لنفسه كل التناقض على انه تناقض في الواقع ظاهر أكثر مما هو حقيق لان الافكار الموروثة هي

التي لها في الفرد قوة تصدر عنها أفعاله وانما تكون أفعال المرء متناقضة حقيقة إذا تجاذبته قوتان ورائتان جاءتا من اختلاط المصاهرة بين عنصرين مختلفين ولا أطيل الكلام هنا على هذه المشاهدات، وان كانت أهميتها في علم النفس كبيرة جداً فاني أحسب أنه يجب لاداركها عشر سنين يقضيها الباحث سائحاً بين الأمم

ولما كانت الجماعات لا تقبل الافكار الا اذا صارت بسيطة جداً لزم عليه ان هذه الافكار لا تنتشر ولا تصير عمومية الا اذا تغيرت في الغالب تغيراً تاماً واكثر ما يشاهد ذلك في الافكار الفلسفية او العلمية الراقية فانه لا بد من تغير عظيم فيها حتى تهبط من طبقة الى طبقة الى مستوى الجماعات . ويختلف التغير باختلاف الجماعات والامم التي هي منها وهو على كل حال صيورتها صغيرة بسيطة فاذا نظرنا الى الجهة الاجتماعية نرى ان ليس من الافكار ما هو راق ومنها ما هو وضع اذ كيفما كان الفكر جليلاً راقياً فانه بوصوله الى الجماعات وتأثيره فيها يتجرد عن رقيه وجلاله

على ان منزلة الفكر لا اهمية لها من الوجهة الاجتماعية اذ

الممول عليه انما هو الأثر الذي ينتج عنه ألا ترى ان الأفكار الدينية في القرون الوسطى والأفكار الديمقراطية في القرن الماضي والاجتماعية في زماننا هذا ليست رفيعة بمقدار ما قد يظهر فان الفلسفة لا تعتبرها إلا أغاليط صغيرة ومع ذلك فانه لا حد لأثرها فيما مضى وستكون ولا حده فيما يأتي ستبقى هي العوامل الأساسية في حياة الدول والممالك زماناً طويلاً

ثم ان الفكر وان تغير حتى صار تناوله في مقدور الجماعات لا يظهر أثره إلا اذا دخل في عداد الفرائض وامتزج بالنفس فصار من المشاعر وهو ما يقتضى زماناً طويلاً ولذلك وسائل سنأتى على بيانها في موضع آخر

فلا يتوهم القارئ ان أثر الفكر يظهر متى تبينت صحته حتى عند ذوى العقول النيرة . يتضح ذلك لمن عرف ضعف تأثير صحة الفكر في السواد الأعظم من الناس بعد ظهورها جلياً . نعم اذا تم الوضع جاز الاعتراف من السامعين ان كانوا من المستنيرين غير انهم لقرب عهدهم بالايمان لا يلبثون ان ترجعهم فطرتهم الى معتقدتهم القديم فاذا لاقيتهم

بعد قليل من الايام رايتهم يسوقون اليك حججهم الأولى في
 نياها الأولى بلا تغيير لانهم خاضعون لسلطان افكار اصبحت
 بحكم الزمان ملكات فطرية وهي وحدها الفعالة في موجبات
 اعمالنا واقوالنا والجماعات لا تشذ عن هذه القاعدة

لكن متى توفرت الوسائل العديدة وتمكن بها الفكر
 من نفس جماعة كان له قوة لا تعارضها قوة وانتج آثاراً متعددة
 لا بد من الرضوخ لحكمها . قطعت الافكار الفلسفية التي
 ادت الى الثورة الفرنسية في سيرها نحو نفوس الجماعات
 ما يقرب من مائة عام وكل يعلم مقدار قوتها الجارفة بعد ان
 تمكنت منها . هبت امة بتامياً لنيل المساواة الاجتماعية وتحقيق
 الحقوق المنقولة واقامة صرح الحريات التي تنتهي اليها الآمال
 فزعزعت التيجان وجعلت على الغرب سافله اذ تساجلت
 الامم بالحروب عشرين عاما وشهدت القارة الاوروبية من
 سفك الدماء وقتل النفوس ما ينخلع له قلب تيمورلنك
 وجنكيزخان مشهد لم ير البشر قبله الى اى حد يصل هول
 الفكر اذا انبثق

وكما ان وصول الافكار الى نفوس الجماعات يقتضى زمناً

طويلاً كذلك خروجها منها لهذا كانت الجماعات دائماً متأخرة في افكارها عدة اجيال عن الفلاسفة والعلماء وكل رجال السياسة يعلمون اليوم ما في الافكار الاساسية المتقدم ذكرها من الخطأ ولكنهم يعلمون ان سلطانها لا يزال متمكناً لذلك هم مضطرون في قيادة الأمم الى مراعاة مقتضياتها ولما يعتقدوا بشئ من صحتها

٢

تعقل الجماعات

لا يمكن القول مطلقاً بأن الجماعات لا تتعقل ولا تتأثر بالمعقول غير ان طبقة الأدلة التي تقيمها هي تأييداً لأمر من الأمور أو التي تؤثر عليها منحة جداً من الجهة المنطقية فلا يصدق عليها اسم الدليل إلا من باب التشبيه وتلك الأدلة المنحة مبنية على قاعدة القياس كالأدلة الراقية إلا ان رابطة الافكار التي تقرنها الجماعات ببعضها

من حيث المشابهة او التلازم الظاهرية لا حقيقية فهي تتسلسل عندها كما تتسلسل الأدلة في ذهن الرجل الاسكيماوى الذى عرف بالتجربة ان الثلج وهو جسم شفاف يذوب فى الفم فاستنتج من ذلك ان الزجاج وهو شفاف ايضاً يجب ان يذوب فى الفم وكالمتموحش الذى يتصور ان اكل قلب العدو الشجاع ينقل شجاعته الى الآكل او كالأجير الذى هضم المعلم حقه فقال بأن جميع المعلمين هضامون للحقوق

والحاصل ان تعقل الجماعات عبارة عن الجمع بين اشياء متخالفة لا رابطة بينها الا فى الظاهر والانتقال الفجائى من الجزئى الى الكلى ومن التخصيص الى التعميم بلاترو ووالادلة التى يندمها اليها اولئك الذين عرفوا كيف يهودونها كلها من هذا الطراز لانها هى الادلة التى تؤثر فيها بخلاف سلسلة من الادلة المنطقية فانها لا تدركها بحال لذلك صح القول بأنها لا تتعقل او هى تعقل خطأ وانها لا تتأثر بالمعقول وكثيراً ما يعجب الانسان عند مطالعة بعض الخطب من التأثير العظيم الذى احدثته فى سامعينا على ما بها من الضعف والركاكة وكأني بالمتعجب وقد نسي ان تلك الخطب انما صيغت لتؤثر فى الجموع لا ليقراها

العلماء . فالخطيب الخبير بأحوال جماعته يعرف طريقة استحضار الصور التي تجذبها فإذا نجح فذلك ما أراد ولو أقيمت خطبة في عشرين مجلداً بعد ذلك ما كان لها من التأثير ما أحدثته تلك الكلمات التي دخلت في الرؤوس المراد اقناعها

وغنى عن البيان ان عدم قدرة الجماعات على التعقل الصحيح يذهب منها بملكة النقد اى يجعلها غير قادرة على تمييز الخطأ من الصواب وان لا تحكم حكماً صحيحاً في امر ما . اما الافكار انى تقبلها هي فهمى التي تلقى اليها لا التي يناقش فيها والذين لا فرق بينهم وبين الجماعات في هذا الباب كثيرون وسهولة انتشار بعض الافكار وصيرورتها عامة آتية على الاخص من عدم قدرة السواد الاعظم على اكتساب الراى من طريق النظر الذاتى

٣

تخيل الجماعات

—

الجماعات كالدوات التي لا تتعقل في حدة التخيل وفعله

الدائم وفي قابليتها للتأثر الشديد فالصورة التي تحضرها من
 انسان او واقعة او رزء تكاد تؤثر فيها كما لو كانت الحقيقة
 بعينها. وحال الجماعات اشبه بحال النوم الذي تقف فيه حركة
 العقل هنيئة فتحضر في ذهنه صور مؤثرة جداً لكنها تزول
 بمجرد التأمل فيها ولما كانت الجماعات لا تعرف التعقل ولا
 التأمل كانت كذلك لا تعرف ان شيئاً ما غير معقول وغير
 المعقول هو الاشد فصلاً في النفس غالباً

لهذا كانت الجهة الغربية والقصصية مما يقع تحت حواس
 الجماعة اكبر مؤثر فيها واذا دققنا النظر في حضارة ما وجدناها
 انما تقوم على الغرب والقصص كذلك التاريخ للظاهر فيه شأن
 اكبر من الواقع والوهي سائد على الحقيقى
 لا تتعل الجماعات الا بالتخيل ولا تتأثر الا به فالصور

هى التى تفرعها وهى التى تجتذبها وتكون سبباً لافعالها
 لذلك كان التشخيص فى الملامى من اكبر المؤثرات فى
 الجماعات دائماً لأنه يمثل لها الأشياء فى أجلى صورها فكانت
 عامة الرومانين ترى السعادة كل السعادة فى العيش والملهى
 ولا تبتنى بعد ذلك شيئاً وقد مرت القرون وتعاقت الدهور

ولم يتغير هذا الخيال الا قليلا ولا يزال التمثيل أكبر مؤثر
 في الجماعات من كل الطبقات لجميع الحاضرين يتأثرون بمؤثر
 واحد وان كانوا لا ينتقلون على الفوز من الشعور الى العقل
 فذلك لان الفرد منهم وان بلغ منه عدم الالتفات للواقع ما بلغ
 لا ينسى انه في عالم الخيال وانه انما ضحك أو بكى متأثرا
 بحوادث تصويرية على انه قد يقع ان الصورة تفعل في النفس
 فعل المؤثرات الحقيقية فتدفعها الى العمل اذ كثيراً ما سماعنا عن
 ملهى كان يكثر من تمثيل الروايات المحزنة فكان الحرس يحيط
 دائماً بممثل الخائن الأثيم عند خروجه خوفاً عليه من هياج
 المتفرجين الذين ثارت نفوسهم للانتقام منه لانه ارتكب
 تلك الجرائم الوهمية وهذا فيما أرى من أكبر الأدلة على حالة
 الجماعات العقلية وبالاخص على سهولة التأثير فيها فالوهمي
 عليها من ذلك ما للحققي تقريباً وهي ميالة ميلاً ظاهراً الى
 عدم التمييز بينهما

يقوم سلطان الفاتحين وتبني قوة الممالك على تخيل الامم ولا
 تنجر الجماعات الا بالتأثير في ذلك التخيل وكل حوادث
 التاريخ العظيمة كإيجاد البوذية وتشييد اركان المسيحية والاسلام

وقيام البروتستانتية والثورة فيما مضى وكم اغارة الافكار
الاشتراكية المزعجة في هذه الايام انما هي نتائج قريبة أو
بعيدة لتأثرات شديدة في تخيل الجماعات

ذلك هو العلة في ان جميع اقطاب السياسة في كل عصر
وفي كل أمة حتى اشداهم استبداداً اعتبروا تخيل أممهم أساساً
تقوم عليها قوتهم وما فكروا يوماً في أن يحكموا الناس بدونه
قال نابليون في مجلس شورى الحكومة (اننى اتعمت حرب
الفندينين لما تكشكت واستوليت على مصر اذ اسلمت
وتوجت بالظفر في حرب ايطاليا لاني قلت بعصمة البابا ولو
كنت احكم شعباً يهوديا لاعدت معبد سليمان) ويظهر لى
انه لم يقم منذ الاسكندر الاكبر وقيصرين عظماء الرجال من
عرف كيف يكون التأثير في تخيل الجماعات مثل نابليون فقد
كان ذلك التأثير همه الدائم مانسيه في انتصاراته وخطبه واحاديثه
ولا في عمل من اعماله وكان يفكر فيه وهو على سرير موته
فاما كيفية التأثير في تخيل الجماعات فنذكرها وانما
نكتفي هنا بالاشارة الى ان ذلك لا يكون ابداً بمخاطبة
الادراك والعقل اعنى بطريقة البحث والتقرير بدليل ان

(انطوان) لم يهيج نفوس الامة على قاتل فينصر بقوة البديع
وعلم البيان بل اثارها لما قرأ وصية المقتول و اشار بالقوم الى
جسته

الذى يؤثر في خيال الجماعات و ما يمثل لها في صورة
اخاذه جليلة مجردة عن الشرح والذبول غير مصحوبة إلا بما
فيه غرابة او سر مكنون كانتصار باهر او معجزة بالغة او جرم
فظيع او امل دونه الامل فينبغي ان ترمى الاشياء جملة على
علائقها وان لا يوضح انفسها ابداً لان مائة جرم صغير او مائة رزء
صغير لا تؤثر اقل تأثير في تصور الجماعات لكن جرماً واحداً
كبيراً او رزءاً كبيراً واحداً يؤثر فيها أثراً شديداً وان قل
ضرره كثيراً عن ضرر مائة الرزء كلها وبرهانه ان القوم
كادوا لا يشعرون بضرر النزلة الوافدة التي اخنت على باريس
منذ بضع سنين فامات من سكانها خمسة آلاف نسمة في
بضعة اسابيع لان هذه المقتلة لم تبد امام الجمهور في صورة
يئنة بل علموها من الاحصاءات اليومية التي كانت تنشر
في حينها ولو ان حادثاً واحداً قتل بسببه خمسمائة بدل تلك
الآلاف الخسة وكان ذلك في يوم واحد وفي الطريق العام

كما لو سقط برج ايفل لتأثروا منه تأثراً عظيماً
 انقطعت أخبار إحدى بواخر الاطلاق فظن أنها
 غرقت وكان لذلك في خيال الجماعات تأثير كبير دام ثمانية
 أيام ودلّ الإحصاء الرسمي على غرق ٨٥٠ مركب شراعى
 و٢٠٣ مركب تجارى في سنة ١٨٩٤ وحدها ضاع معها من
 الأرواح والأرزاق مالا تقدر قيمته وما هو اكبر من قيمة
 تلك الباخرة بما فيها لو فقدت ومع ذلك لم يشتغل الناس
 بهذه الخسارة لحظة واحدة

نتج من هذا ان الحوادث ليست هى التى تؤثر بذاتها فى
 تخيل الجماعات بل التأثير هو كيفية وقوعها وكيفية تمثيلها اعنى
 أنه يجب ان يكون من مجموعها صورة أخاذة تملأ الفكر وتضيق
 عليه ومن عرف كيف يؤثر فى تخيل الجماعات عرف كيف
 يقودها .



لفصل الرابع

الصبغة الدينية التي تتكيف بها اعتقادات

الجماعات

ما هو الشعور الدينى — الشعور الدينى مستقل عن عبادة
الالهية — مميزات الشعور الدينى — قوة المعتقدات التى لها صبغة
دينية — امثلة شتى — فى أن آلهة العمة لم تزل — فى الصور الجديدة التى
تظهر بها تلك الآلهة — الشكل الدينى للحاد — اهمية هذه المبادئ،
من الجهة التاريخية — فى ان الاصلاح او قيام البروتستانتية وواقعة
صانت بارتملى وزمن (الهول) وجميع الحوادث المماثلة هى اثر
مشاعر الجماعات الدينية لا أثر ارادة فرد واحد

—

ينبأ ان الجماعات لا تتمتعق وانها تقبل الافكار او ترفضها
جملة وانها لا تطبق المعارضة ولا تحتل المناظرة وان المؤثرات

التي نفعل فيها تحتل منها دائرة الإدراك كلها وسرعان ما تنتقل
من التأثير إلى الفعل وانها اذا حسن التأثير فيها تضحي نفوسها
فداء للمقصد التي وجهت اليه وكذلك عرفنا ان مشاعرها
شديدة متطرفة فالميل عندها لا يلبث ان ينقلب عبادة والنفور
لا يكاد يدخل عليها حتى يصير بخيمة وتلك البيانات العامة
تسهر بكنه اعتقادها

اذا دققنا النظر في اعتقاد الجماعات ايام سيادة الأديان او
في أزمنة الثورات السياسية الكبرى كالتى حصلت في القرن
الماضى رأينا انها تتصبغ دائماً بصبغة مخصوصة لا يسغى التعبير
عنها بأحسن من تسميتها بالشعور الدينى

ولهذا الشعور مميزات بسيطة للغاية كعبادة ذات يتوهم انها
فوق الذوات والخوف من القوة الخفية التي تظن لها والخضوع
الاعمى لأوامره واستحالة البحث فى تعاليمه والرغبة فى
نشرها والنزوع الى معاداة من لا يقول بها ومتى تكيف
الشعور بهذه الصفة فهو من طبيعة الشعور الدينى سواء كان
مجهلهاً لا يرى او معبوداً من الحجر او من الشجر او بطلا
من الشجعان او رأياً سياسياً فكله شعور تدخل فيه المعجزات

و-خوارق العادات والجماعات ترى ان في كل ما جلب لها
واسترعى قلبها قوة دونها قوة البشر

وليس المتدين هو الذى يعبد الها بل متى اسلم الانسان
عقله وارادته وما فيه من حماسة وتعصب لخدمة مبدأ او ذات
جعلها غاية مقصوده ومرمى افكاره وأقواله فهو دائن بما
توجه اليه

ومن المعلوم ان التعصب وعدم الاحتمال يصاحبان على
الدوام كل شعور ديني ويلازمان كل من اعتقد به ملك
ناصية السعادة في الحياة الدنيا او في الآخرة وهاتان الصفتان
توجدان في كل جماعة تحرك بأحد المعتقدات فقد كان
اليعاقبة زمن (الهول) متدينين كما كان أهل الاضطهاد
متدينين ومنبع حماسة الفريقين في القسوة واحد

كذلك تظهر معتقدات الجماعات بالخضوع الاعمى والتعصب
الوحشى والاكرام في الدعوة وكلها صفات من لوازم الشعور
الدينى وما البطل الذى تهلل الجماعة له الا اله في نظرها .
هكذا كان نابوليون مدى خمسة عشر عاماً ولم يكن يعبود
سواه عباد أشد اخلاصاً من الذين عبده ولم يسبل على معبود

قيادة النفوس الى حتفها اكثر منه وما كان لآلهة الوثنية
والنصرانية سلطان على القلوب أعز من سلطانه

ان جميع موجدى الديانات ومؤسسى المذاهب السياسية
لم يقيموها إلا لاهم تمكنوا من احداث التعصب الذى يجعل
الانسان يرى سعادته فى العبادة والطاعة ويهينه لأن يهيب
حياته لمعبوده . هكذا كان الحال فى كل وقت وزمان ولقد
أصاب موسيو (فوستان دى كولنج) حيث قال فى كتابه
على بلاد الغلوا الرومانية ان الدولة الرومانية لم تدم بالقهر
والقوة ولكن بما وجد فى النفوس من الاعجاب بها اعجاباً
دينياً قال (ولم يرو لنا التاريخ ان دولة مكروهة من شعوبها
دامت خمسة قرون والأ لتعذر ان نفهم كيف ان ثلاثين كوكبة
من جند الامبراطورية تمكنوا من قهر مائة مليون على
الطاعة) انما اطاع القوم لان الامبراطور الذى كان يمثل
عظمة الرومان كان يعبد عبادة الآلهة باتفاق فكان له فى كل
قرية حتى الحقيرة محراب . وقد سرى فى المملكة من أولها
الى آخرها دين جديد مناسكه عبادة القياصرة . وقبل ظهور
المسيحية يوضع سنين أقامت بلاد الغلوا كلها وكانت ستين

مدينة هيكلًا للإمبراطور (أوغسطس) بالقرب من مدينة
(ليون) وكان لقبس هذا الهيكل المقام الأول في نفوس
سكان تلك البلاد ومحال أن يكون الباعث على ذلك كله
الخوف أو الخنوع فإن الخنوع لا يوجد في أمة بتمامها ثم هو
لا يدوم ثلاثة قرون وما كانت البطانة هي التي تعبد الأمير
وحدها بل رومًا جميعها بل الغلوا كلها بل بلاد الاندلس واليونان
وآسيا.

ليس لفاتحي النفوس في هذا الزمان معابد وهياكل لكن
لهم صور وتمائيل والعبادة التي يعبدون بها لا تخالف كثيرًا
ما كانوا به يعبدون ومعرفة فلسفة التاريخ تتوقف على اجادة
معرفة هذا البحث في علم روح الجماعات . من لم يكن الهأ هنا
فليس شيئًا مذكورًا

لا يقولن قائل تلك أو هام كانت في العصر الماضية فبدها
العقل في هذه الايام لان العقل لم يكن لينتصر في محاربة
الشعور ابدًا نعم لم تعد الجماعات تطبق اسم الالهية والدين
الذي دانت لحكمه ذلك الزمن المديد ولكن معبوداتها لم
تكثر كثيرتها منذ مائة عام وهي لم تقم للالهة السابقين من

التمثيل والحارب مقدار ما أقامت لآلهة هذه الايام والذين
 تقبوا عن الحركة العمومية المسماة (بولنجية) التي حصلت في
 السنين الاخيرة يعلم سهولة ظهور الشعور الديني في الجماعات
 فلم يكن من فندق أو قهوة في قرية إلا وفيها صورة البطل
 وكانوا ينسبون اليه القدرة على رد المظالم كلها ومداواة الآلام
 كلها وكان الالف من الناس على استعداد لتضحية حياتهم
 من أجله ولو كان في اخلاقه مقوم لشهرته ولو قليلا لنال
 المكان الأرفع في التاريخ

لذلك نرى من الفضلة تكرار انه لا بد للجماعات من
 دين مادامت جميع المعتقدات السياسية او الالهية او الاجتماعية
 لا تطمئن عندها إلا اذا لبثت ثوب الدين الذي يحميها من
 الجدل ويجعلها فوق بحث الباحثين بل لو أمكن اذخال عدم
 الاعتقاد في الجماعات لاشتد تعصبهم فيه كأنه معتقد ديني
 ولصار في الخارج ديناً يتعبد به الناس ومن الامثلة الغريبة على
 ما تقول ما كان من امر تلك الفئة القليلة صاحبة مذهب
 الوضعيين فقد وقع لها ما وقع الرجل العدمي (نهيلىست)
 الذي روى لنا العلامة (رستوفسكى) قصته قال اشرق ذات

يُهم نور العقل على ذلك العدمي فعمد الى صور الآلهة
والقدسيين التي كانت تزين احد المعابد وحطمها واطفأ
الشموع ووضع مكان الصور مؤلفات بعض الفلاسفة الذين
لا يعتقدون مثل (بوخر) و (موليشوت) ثم تولاه التقى
ناو قد الشموع حول هاتيك الكتب فحل اعتقاده الديني
كان قد تبدل ولكن مشاعره الدينية ما تبدلت ابداً

وعليه لا يدرك الباحث أهم الحوادث التاريخية تمام الادراك
الآ اذا وقف على الصبغة الدينية التي ينتهى حتما إليها اعتقاد
الجماعات . ومن الحوادث الاجتماعية ما ينبغي البحث فيه على
طريقة علماء النفس لا على طريقة الطبيعيين فان مؤرخنا العظيم
(تاين) لم ينظر في الثورة الفرنسية الا نظراً طبيعياً لذلك
فاته حقيقة الحوادث غالباً نعم لم تفته من الوقائع فائتة ولكنه
غفل عن البحث في روح الاجتماع فلم يصل الى علل ما اثبت
منها وقد هالته الوقائع بما اشتملت عليه من الدماء والتوحش
والقسوة فلم ير في ابطال ذلك الزمن الكبير الا قطعاً
من المتبررين السفاحين انطلقوا وراء شهواتهم ولم يجدوا ما انما
يصددهم عما كانوا يشتهون .

على انه لا سبيل لادراك حقيقة ما كان في الثورة الفرنسية
من القسوة وسفك الدماء والحاجة الى نشر الدعوة واطلاق
الحرب على جميع الملوك الا اذا فطن الباحث انها اى الثورة
أثر معتقد ديني جديد خلّ في نفوس الجماعات ومثل ذلك
أيضاً كانت قيامة الاصلاح (البروتستانتية) ومقتلة صانت
بارتلمى و (الاضطهاد) و (الهول) فكلمها فظائع ارتكبتها
الجماعات المتحمسة بشعور من شأنه ان يدفع الذي حلّ في
قلبه الى استعمال النار والحديد لاستئصال كل ما يعترض قيام
المعتقد الجديد من دون ان تأخذه رحمة ولا حنان لذلك كانت
وسائل الاضطهاد هى وسائل جميع المعتقدين الحقيقيين ولو
انهم استعملوا غيرها ما كانوا من الموقنين
ولا تظهر في الوجود امثال الانقلابات التى مرّ ذكرها الا
اذا قذفت من جوف الجماعة وليس فى استطاعة اكبر المستبدين
اثارتها والمؤرخون الذين رووا ان الملك هو السبب فى
واقعة صانت بارتلمى كانوا يجهلون روح الجماعات وروح الملوك
معاً لان مثل هذه المظاهرات لا تخرج الا من قلب الجماعات
ولا يقدر اكبر الملوك واشد استبداداً على اكثر من

تعجيلها أو تأجيلها فليس الملوك هم الذين أحدثوا واقعة صانت
 بارتلمى ولا حروب الدين كما أن (روبسبير) و (دانتون)
 و (صانت جوست) ليسوا هم الذين أحدثوا (الهول) بل
 نجد على الدوام وراء هذه الحوادث روح الجماعات لا سلطة
 الملوك .



الباب الثاني

افكار الجماعات ومعتقداتها

—

فصل الأول

العوامل البعيدة في معتقدات الجماعات وافكارها

—

العوامل التحضيرية لمعتقدات الجماعات - في ان ظهور معتقدات الجماعة نتيجة اختبار سابق - البحث عن العوامل المختلفة في تلك المعتقدات

- (١) الشعب وما له من التأثير الاول - في انه مستودع مترك الآباء
- (٢) التقاليد وكونها خلاصة روح الشعب - اهمية

انتقاليد من الـجهة الاجتماعية - في انها تصير مضره بعد ان كانت لازمة - في أن الجماعات اشد احتفاظاً للأفكار التقليدية (٣) انزمن وكونه يهيء استقرار المعتقدات ثم زوالها - في انه

هو الذى يولد النظام من الفوضى

(٤) المنظمات السياسية والاجتماعية - في اخطأ في تقدير تأثيرها - في ان تأثيرها ضعيف جداً - في انها آثار لا مؤثرات - في انه لا يتيسر للاسم ان تختار منها ما نظنه الاحسن - في ان المنظمات عناوين يندرج تحت الواحد منها أمور متخالفة بامارة - كيف توجد المنظمات - في انه لا بد لبعض الامم من بعض نظمات رديئة نظرياً كجمع السلطة وتوحيدها

(٥) التعليم والتربية - خطاء الناس في أفكارهم الحالية من حيث تأثير التعليم في الجماعات - بعض ايضاحات من الاحصاءات - التربية اللاتينية تضعف الاخلاق - في التأثير الذى يمكن ان يكون للتعليم - امثلة عن امم مختلفة

فرغنا من البحث في تركيب القوة المدركة عند الجماعات وعرفنا كيف تشمر وكيف تفكر وتتعلل ونريد الآن أن نبحت في كيفية تولد آرائها واعتقاداتها وكيفية حلول هذه الآراء والمعتقدات واستقرارها في نفوسها

العوامل التي تولد الآراء والاعتقادات في الجماعات قسماً
بعيدة وقرية

فاما العوامل البعيدة فهي التي تهيب الجماعات لقبول بعض
المعتقدات دون بعض اعني انها تعد التربية التي تنبت فيها
افكار جديدة ذات قوة واثر مدهشين وظهور تلك الافكار
يكون فجأة فقد تشبه في ابتدائها والعمل بها انقضاء
الصاعقة الا ان الواقع انها نتيجة عمل سابق طويل ينبني
البحث عنه

واما العوامل القريبة فهي التي تأتي بعد هذا العمل الطويل
ولا اثر لها بدونه ووظيفتها تكوين الاعتقاد الداعي الى الفعل
اعني انها تقوم الفكر وتقذف به الى الخارج مع جميع ما يحتمل
من النتائج فهي التي تدفع الجماعات فجأة الى القيام بما يمكن
من نفسها من الاعمال وهي علة القلاقل والاعتصابات والتفاف
الجم الغفير حول رجل يرتفع بذلك الى الأفج او ضد حكومة
تهبط الى الدرك الاسفل

تتعاقب هذه العوامل بقسميها في جميع حوادث التاريخ
العظيمة ففي الثورة الفرنسية وهي اكبر مثال لتلك الحوادث

كانت العوامل البعيدة هي كتب الفلاسفة وعسف الشرفاء
وتقدم العلم وهي التي هيأت روح الجماعات ثم جاءت العوامل
القريبة مثل خطب الخطباء ومعارضة الملك في اجراء اصلاحات
لا تعد شيئاً كبيراً وهي التي أثارت الجماعات بالسهولة
ومن العوامل البعيدة ما هو عام بمعنى انه يؤثر في معتقدات
كل جماعة وفي آرائها وهي الشعب والتقاليد والزمن والنظمات
والترية

وسنبحث في شأن كل واحد من هذه العوامل



الشعب

بدأنا به لأن له المقام الأول بين العوامل فله وحده من
الآثر ما يربو على آثارها كلها وقد وفينا البحث فيه حقه في
كتابنا (النواميس النفسية لتطور الأمم) حتى لم يعد من
المفيد أن ترجع اليه هنا اذ بينا هناك ما هو الشعب من حيث
التاريخ وكيف انه متى كملت مميزاته يصير بمقتضى الوراثة
نفسها ذا قوة عظمى وتكون له روح ترجع اليها اعتقاداته

ونظاماته وفنونه وجميع عناصر مدينته كذلك بينا ان قوة الشعب تبلغ حداً يتعذر معه انتقال أحد هذه العناصر من أمة الى أخرى بدون أن يتغير تغيراً عاماً وخصصنا اربعة فصول منه لشرح هذه القضية لكونها حديثة العهد ولأنه يصعب فهم التاريخ بدونها هناك يرى القارىء انه رغم ظواهر الحال التي قد توجب اللبس يستحيل ان تنتقل اللغة أو الدين أو الفنون أو أى عنصر من عناصر المدنية من أمة الى أخرى الا اذا أصابها التغير والتحول. نعم ان البيئة والاحوال والحوادث تشخص مقتضيات الزمن الذى هى فيه وقد يكون لها تأثير كبير لكنه تأثير عرضى على الدوام اذا تضارب مع مقتضيات الشعب اعنى مع سلسلة تلك المؤثرات الوارثية

على انا سنعود الى ذكر شأن الشعب فى كثير من فصول هذا الكتاب ونوضح انه لقوته يسود على غيره من مميزات روح الجماعات وان ذلك هو السبب فى اختلاف جماعات كل بلد مع جماعات البلد الآخر من جهة المعتقدات وخطة العمل اختلافاً كبيراً وكذا للمؤثرات التي تتأثر بها

٢ التقاليد

التقاليد عبارة عن ماضى الامة فى افكارها وحاجاتها
ومشاعرها فهى تشخص روح الشعب ولها فى القوم تأثير
عظيم

تقدم علم تركيب الاجسام من يوم ان بين علم التكوين
مقدار تأثير الماضى فى تطور الكائنات وسيتقدم علم التاريخ
ايضاً حينما ينتشر هذا الاكتشاف لان انتشاره لم يعم بدليل
ان كثيراً من اقطاب السياسة لا يزالون على افكار اهل
القرن الماضى ممن كانوا يتخيلون انه يتيسر للأمة ان تنخلع
عن ماضيها وتنشئ نفسها من جديد غير مستهدية فى ذلك
الا بنور العقل وحده وقاتبهم ان الأمة جسم منظم اوجده
الماضى فهى كغيرها من الاجسام لا تستطيع الانتقال من
طور الى طور الا بتراكم اثار الوراثة فيها على مهل

والذى يقود الناس ولا سيما اذا اجتمعوا انما هى
التقاليد وهم لا يسهل عليهم ان يغيروا منها سوى الاسماء والاشكال

وليس هذا مما يوجب الأسف اذ لولا التقاليد ما كان هناك شيء يقال له روح قومية ولا حضارة ممكنة الا ترى ان هم الناس منذ وجدوا ان يكون لهم شنشنة تقاليد فاذا زال نفعها اجتهدوا في هدمها والحاصل انه لا مدنية الا بالتقاليد ثم الرقي موقوف على هدمها . والصعوبة في إيجاد التوازن بين القلب والبقاء الا انها صعوبة كبرى فاذا تأصلت في الأمة عادات وتمكنت منها اخلاق عدة اجيال تعذر عليها الانتقال واصبحت كالأمة الصينية غير قادرة على التحسن . ولا تؤثر فيها الثورات العنيفة لانها لا تأتي الا باحدى نتيجتين فاما ان الحلقات التي تقطعت من السلسلة تنضم وتلتحم ببعضها فيعود الماضي الى التربع في سيادته بدون تغيير ما . واما ان تبقى تلك الحلقات منثورة فهي الفوضى وخليفتها التقهر والانحطاط

لذلك كان اكبر النعم التي يجب ان تصبو اليها الامة هي المحافظة على النظمات التي ورثتها وان تسير في الانتقال بها من طور الى اكمل منه على مهل وبلا اهتزاز ذلك مطلب عزيز المنال ولم يفز به الا دولة الرومان في الازمان الخالية

وأمة الانكليز في الازمان الحاضرة

وأشد الناس محافظة على الافكار التقليدية واصعبهم مراساً في معارضة من يحاول تبديلها هي الجماعات خصوصاً الجماعات التي تتكون منها فئات معينة وقد سبق لى ان افضت الكلام على تمسك الجماعات بالماضى وبينت ان اشد الثورات عنفاً لا تؤدي الا الى تغيير في الالفاظ ومن شهد في آخر القرن الماضى هدم الكنائس وطرد القسوس واعدامهم والاضطهاد العام الذى كان واقعاً على اهل الكشكة كان يظن ان السلطة الدينية قد بادت ولم يبق لها أثر لكن لم يمض الا بضع سنوات حتى قام الناس ينشدون معابدهم فاضطرت الدولة الى اعادة الدين الذى طلمست بالامس معالمة . ومما يوضح ذلك بأجلى بيان ما ذكره (فوركروا) أحد رجال الثورة في تقريره اذ ذاك وتقله عنه (تاين) قال « ان ما هو مشاهد في كل مكان من اقامة صلاة يوم الاحد والتردد على الكنائس يدل على ان مجموع الفرنسيين يطلب الرجوع الى عادته الاولى ولم يعد في الامكان مقاومة هذا الميل في الأمة لان السواد الاعظم في حاجة الى الدين والى العبادة والى القسوس

ومن خطأ بعض فلاسفة العصر الحاضر - وهو خطأ وقعت
 أنا فيه أيضاً - القول بإمكان إيجاد تعليم عام يكفي لازالة الاوهام
 الدينية ووجه الخطأ ان في الدين سلوكاً للقسم الاكبر من
 الميائين ومن أجل ذلك يجب ان تترك للامة قسوسها
 ومعابدها وعبادتها»

هكذا اختفت التقاليد برهة ثم استردت سلطانها وهو
 مثل ليس كمثله مثل يبين سلطان التقاليد على النفوس وليست
 الاشباح التي لا يستهان بها هي التي تسكن المعابد ولا في
 القصور يقيم عتاة المستبدن اولئك يبادون في طرفة عين انما
 الذي لا قبل لنا به هم اولئك الارباب الذين تمكنوا في النفوس
 فتحكموا في الارواح فلا يزول ملكهم الا بفعل الزمان
 رويداً رويداً وجيلاً بعد جيل



الزمان

أهم العوامل في المسائل التي يبحث عنها علم الاجتماع
 هو الزمان كما انه كذلك في المسائل التي يبحث عنها علم

الاجسام المنظمة . وهو الوجود الحقيقي الوحيد وهو الهادم
القوى الوحيد . هو الذى كون الجبال من حبيبات الرمال
ورفع الخلية الحفيرة التى اشتملت على أصل الوجود النوعي
الى مقام الانسان وكل ظاهرة وكل حادثة لا تتغير ولا تتحول
الآ بالزمان ولقد أصاب من قال ان النملة اذا امتد أمامها الزمن
وسمها أن تجعل الجبل الرفيع مهاداً ولو ان موجودا تمكن من
تصريف الزمان كما يشاء لكان صاحب القوة التى يعترف بها
المؤمنون للواحد الديان

ببحثنا هذا قاصر على تأثير الزمان فى اراء الجماعات
ومعتقداتها وهو فيها له كذلك الأثر العظيم فهو القاهر فوق
أكبر المؤثرات الاخرى من التى لا تكون بدونه كالشعب
وغيره وهو الذى يولد المعتقدات فينميتها ثم يمتها ومنه تستمد
قوتها وبفعله يتولاها الضعف والانحلال

والزمان هو بالاختصاص محضر اراء الجماعات ومعتقداتها
أو هو مهيئ التربة التى تنبت فيها ولذلك صح وجود بعض
الافكار فى زمن وامتنع وجودها فى زمن آخر وهو الذى
يركز المعتقدات بعضها فوق بعض وكذا الافكار فيهيئ

بذلك قيام الآراء والمذاهب في العصور المتتابعة لانها لا تثبت
صدقة ولا توجد اتفاقا بل ان لكل واحد منها جذورا تمتد
في زمن بعيد فاذا انبثقت قائما الزمان هو الذي هيا تفتح
أزهارها واذا اردت ان تعرف كنهها فارجع الى ماضيها .
هي بنات الماضي وهي أمهات المستقبل وهي اماء الزمان على
الدوام

نتج من هذا ان الزمان هو صاحب السيادة الحقيقة
فينا وما علينا الا ان نتركه يعمل لئلا كل شيء يتحول
ويتبدل . نحن الآن في فزع شديد من مقاصد الجماعات التي
تهددنا ومما تنبئنا به من تقويض اركان الهيئة الحاضرة ومن
الاتقلاب المنتظر فيها . ولكن الزمان سيتكفل وحده بإعادة
التوازن بيننا . قال موسيو (لافيس) : ما من نظام يقوم في
يوم واحد بل لا بد في تقرير النظم السياسية والاجتماعية
من مرور الاعصر والاجيال فقد بقي نظام حكم الشرفاء
مضطربا غير واضح عدة قرون حتى تبين وتأصلت له قواعد
يعرفها الناس كذلك قطعت الملكية المطلقة قرونا قبل ان
تهتدي الى الاصول المنظمة التي تدير بها حكومة البلاد وم

من اضطراب وقع في ادوار هذا الانتقال »



النظمات السياسية والاجتماعية

لا يزال الناس يذهبون الى ان النظمات تقوم معوج الهيئة الاجتماعية وان تقدم الامم أثر من آثار اتقان تلك النظمات واصلاح الحكومات وانه يمكن احداث الانقلابات الاجتماعية بواسطة الاوامر والقوانين . كان هذا مذهب انثورة الفرنسية في بدايتها واليه يذهب الان ايضا من اتخذوا مجرد الخوض في الاجتماعات مذهبا

ذاك وهم تأصل في الافكار لما تبدده التجارب على تكرارها وقد ضاعت فيه متاعب الفلاسفة والمؤرخين الذين تصدوا لبيان فسادهم لكنهم لم يلاقوا صعوبة في اقامة الدليل على ان النظمات نبات الافكار والمشاعر والاخلاق وان الافكار والمشاعر والاخلاق لا تتغير بتغير القوانين وان الامم لا تختار نظماتها كما تشتهي كما انها لا تملك اختيار لون اعينها وشعر رؤوسها بل ان النظمات والحكومات ثمرة الشعب الذي

هى فيه فليست هى التى تخلق زمنها ولا تنكها هى التى اوجدتها
 زمانها . وليست الازم محكمة كما يشاء لها الهوى أنى تشاء
 بل كما تشاء اخلاقها وطباعها وكما ان كل نظام لم يستقر الا
 بعد قرون عدة كذلك انبغى لتغييره قرون عدة . وليس
 للنظامات قيمة نوعية فى ذاتها فلا هى حسنة لذاتها ولا هى
 رديئة لذاتها وان ما صلح منها لامة فى زمان يجوز ان يكون
 مضرآ فى امة اخرى

لهذا كان من المحقق ان الامة لا تملك كل الملك تغيير
 نظاماتها نعم فى امكانها ان تبدل اسماءها بواسطة الثورات
 العنيفة والاضطرابات التنوية لكن اللب يبقى كما كان أما
 الاسماء ففى عناوين لا يلتفت اليها المؤرخ الذى ينقب عن
 حقائق الاشياء الا ترى ان اعظم امة ديمقراطية فى الارض
 هى الامة الانكليزية مع كونها تعيش تحت امرة حكومة
 ملكية وان اكبر امة حفا الاستبداد هى الجمهوريات
 الاسبانية الامريكية رغم نظامها الجمهورى الذى يحكمها ذلك
 ما يعترف به للانكليز اعظم الجمهوريين تقدماً فى الولايات
 المتحدة وانى اذكر للقراء ما جاء فى جريدة (فروم) الامريكية

ونقلته عنها مجلة المجلات انصادرة في ديسمبر سنة ١٨٩٤
 قالت « لا ينبغي ان ينسى الناس حتى الذين هم من اكبر
 اعداء الشرفاء ان انكثره هي اول امم الارض في الديمقراطية اعنى
 الامة التي بلغ فيها احترام حقوق الفرد غايته والتي بلغ افرادها
 من الحرية اتلى مقام » وبالمجلة قائد الامم اخلاقها وطبائعها
 لا حكوماتها . تلك قضية حاولت بيانها في كتابي السابق
 واثبتتها باوضح دليل واقوى مثال

لذلك كان من المبت جداً اضاعة الزمن في خلق نظام
 جديد من جديد بل لا فائدة من شذر حال علم المعاني والبيان
 لخلق مثل هذا النظام فان ذلك من عمل الجاهلاء . والحاجة
 والزمان هما الكفيلان باعداده اذا عقل الناس وتركوا هذين
 العاملين يعملان . هذا الذى اعتمد عليه الانكليز السكسونيون
 وهذا هو الذى يقوله لنا مؤرخهم العظيم (ما كولى) ضمن
 كلام يجب على ادعياء السياسة في الامم اللاتينية ان يحفظوه
 على قلوبهم . بدء المؤرخ بيان ماحدثته القوانين الانكليزية
 من الآثار الطيبة على ما يظهر بها من الرداءة والتناقض والبعد
 عن المعقول ثم قارن بين نظام انكلترا والبضعة عشر نظاما

التي اختنقت بين تقاصات الامم اللاتينية في أوروبا وامريكا
واوضح ان الأول لم ينله التغيير الا على مهل جزءاً بعد جزء
بتأثير الضرورة لا بتأثير النظر العلمي أبدأ ثم قال « القواعد
التي سار عليها المائتان وخمسون برلماناً من عهد حنا الى عهد
فيكتوريا في مداولاتها وقراراتها هي انها ما اهتمت مطلقاً
بحسن التنسيق بل كان كل همها في الفائدة ولم ترفع شاذاً
لشدوده ولم تأت بجديد الا اذا تحققت ان حرباً استولى
على النفوس من اجله ولم تجدد الا بمقدار ما تنفادى من هذا
الجرح ولم تقرر مبدأ أعم من الضرورة التي اقتضته »

ولو أردنا بيان كون القوانين في كل أمة منتزعة من روحها
وانه لا يمكن لذلك تغييرها عنوة وقسراً للزم ان نأتى على
كل قانون ونخوض في كل نظام . فثلاً يجوز الجدل فلسفياً في
هل حصر السلطة وارجاعها في النهاية الى يد واحدة أفضل
من تفريقها ام العكس أولى . لكن اذا رأينا امة مؤلفة من
عناصر مختلفة قضت الف عام فوصلت بعد ذلك الى حصر
السلطة وجمعها ورأينا من جهة اخرى ان ثورة عظيمة جاءت
لتحطم كل نظام ولده الزمان قد احترمت هذا الحصر وبالنسبة

فيه كان لنا ان نقول ان هذا النظام هو ابن الضرورة التي لا مفر منها وانه شرط من شروط حياة تلك الامة وان نرثي لحال اولئك الذين قصرت احلامهم من السياسيين الذين يذهبون الى وجوب ابطال ذلك النظام ولو ان الصدفة ساعدتهم على نيل ما ينتغون لكانت نتيجة ذلك قيام حرب أهلية يستطير شررها والعودة عاجلا الى حصر السلطة بأشد مما هي عليه والذي يقارن بين المنافسات الدينية والسياسية الشديدة القائمة في اجزاء البلاد الفرنسية والناشئة على الاخص من اختلاف عناصر الامة وبين ميل البعض الى تجزئة السلطة وتوزيعها ايام الثورة وعقب الحرب الفرنسية الالمانية يتبين له ان العناصر المختلفة التي لا تزال حية في بلادنا لا تزال بعيدة عن الامتزاج والاتحاد وان أحسن عمل جاءت به الثورة هو حصر السلطة وجمعها وتقسيم البلاد تقسيما اعتباريا لا طبعيا الى اقسام متعددة توصلا الى مزج الاقاليم القديمة وخطط سكانها بعضهم ببعض فاذا امكن اليوم تحقيق ما يصبو اليه اولئك الذين لا يقرأون عواقب الاعمال من التجزئة والتوزيع أدى ذلك الى اضطرابات تهرق فيها الدماء وتقتل

النفوس ولا يقفل عن ذلك إلا من نسي تاريخنا
نتج مما تقدم ان التأثير الحقيقى فى روح الجماعات لا يكون
من طريق المنظمات واذا افنتنا الذهن الى الولايات المتحدة
رأيناها ترفل فى حلال الرخاء وتخطر فى جلباب السعادة بفضل
نظاماتها الديمقراطية ثم اذا رجعنا الى الجمهوريات الاسبانية
الامريكية - الفيناها وهى متمتعة بنظام مثله تتعثر فى اذيال
التقهقر والقوضى وحكمنا بأنه لا دخل لتلك المنظمات لافى
سعادة الاولى ولا فى شقاء الثانية وبأن الذى يحكم الامم انما
هو اخلاقها وكل نظام لا يندمج مع هذه الاخلاق ويمتزج
بها تمام الامتزاج يكون أشبه بالشوب المستعار وهو ستر لا
يدوم . نعم قامت حروب دموية وهبت ثورات عنيفة وستقوم
حروب وتهب ثورات والغرض منها كان ويكون الزام الامم
بتنظمات يعتقد الناس انها مجلبة السعادة كاعتقادهم فى انار
الاولياء والصالحين وقد يقال ان المنظمات تؤثر فى نفوس
الجماعات لانها تقضى الى مثل تلك الحروب والثورات -
والضحيح ان لا تأثير لها البتة لانا قد عرفنا انها لا قيمة لها فى
ذاتها سواء كانت الغلبة لها أم عليها وانما الذى يؤثر فى الجماعات

وهم والفاظ وعلى الاخص الاراض تلك الالفاظ الخيالية
القوية التي سنين سلطانها



الزبينة والتعليم

لكل عصر افكار تسود فيه وان كانت في الغالب من
قيل الخيالات وقد يننا في غير هذا المكان ما لتلك الافكار
من القوة بما هي عليه من القلة

ومن الافكار السائدة في هذا العصر ان في التعليم قدرة
على تغيير الرجال تغييراً محسوساً وان نتيجته التي لا يشكون
فيها هي اصلاحهم بل ايجاد المساواة بينهم . ذكروا ذلك
وكررروه فصار أحد المذاهب الثابتة عند الديمقراطيين واصبح
التعرض له من اصعب الامور كما كان من الصعب التعرض
لسلطان الكنيسة في الزمن السابق

ولكن اراء الديمقراطيين في هذا الموضوع كما هي في
كثير من الموضوعات الاخر مناقضة كل المناقضة لما اثبتته
علم النفس ولما دلت عليه التجارب فما اثبتته الكثيرون من

كبار الفلاسفة بلا عثناء خصوصاً (هربرت سبنسر) كون
التعليم لا يزيد في تهذيب الانسان ولا في سعادته ولا يغير
من غرائزه وشهواته التي تلقاها بالوراثة وانه اذا ساء طريقه
كان ضرره اكبر من نفعه وأيد علماء الاحصاء هذه النظريات
فقالوا ان الميل الى الجرائم يزداد بانتشار التعليم او هو يزداد
بانتشاره على طريقة مخصوصة وان الداء اعداء الهيئة الاجتماعية
وهم القوضيون ينسلون غالباً الى مذهبهم ممن حازوا السبق
في المدارس واثار موسيو (ادولف جيو) وهو احد اعظم
القضاة انه يوجد الآن في كل اربعة آلاف مجرم ثلاثة الاف
متعلمون والاف واحد أميون وان عدد الجرائم زاد مدى
خمسين سنة من (٢٢٧) جريمة لكل مائة الف نسمة الى
(٥٥٢) اعني بنسبة (١٣٣) في المائة ولاحظ ايضاً هو
ورفقاؤه ان الجرائم تكثر بين الشبان الذين ابدلوا تعلم المهن
على يد المعلمين بتعليمها في المدارس الاجبارية المجانية
نعم مما لا يشك فيه انسان ان التعليم اذا حسنت طرائقه
ينتج نتائج عملية ذات فائدة كبيرة فاذا هو لم يرفع درجة
التهذيب ويؤثر في رقي الاخلاق فانه ينحى الكفالات الفنية

ولكن من سوء الحظ ان الامم اللاتينية اسست التعليم على
قواعد غير صحيحة ولا سيما منذ خمس وعشرين سنة ومع
كون فطاحل العلماء مثل (بريال) و (فوستيل دى كولانج)
و (تايين) وكثير غيرهم قد انتقدوها لاتزال تلك الامم
على خطئها فيها وقد شرحت انا ايضاً فى كتاب لى اصبغ قديماً
ان طريقة التعليم الحالى عندنا تحول القسم الاكبر ممن
يتلقونه الى اعداء للهيئة الاجتماعية وتزيد كثيراً فى اصحاب
اشد المذاهب الاشتراكية ضرراً

واول خطر ينجم عن هذه التربية المسماة بحق تربية لاتينية
أت من بنائها على قاعدة يحكم علم النفس بفسادها . ذلك انهم
قالوا أن الحفظ عن ظهر القلب يربى الذكاء ويقوى الفطنة
ثم انتقلوا من هذا الى وجوب الاكثار من الحفظ ما استطاعوا
وصار المتعلم فى المدرسة الابتدائية والعالية حتى الذى يتلقى علوم
الاستاذية لا يعمل الا للحفظ وهو فى ذلك كله لا يدرّب
مداركه ولا يبرن ملكة الاقدام على العمل من نفسه لان التعليم
فى نظره ينحصر فى القاء المحفوظ وفى الخضوع قال موسيو
(جول سيمون) وهو أحد وزراء المعارف الأقدمين « ان

حفظ الدروس عن ظهر قلب وكذا حفظ متن في النحو أو مختصر وحسن الالتقاء وحسن التقليد تربية هي من الهزئ بمكان إذ كل همة يديها المتعلم في هذه السبيل عبارة عن الاعتقاد بأن المعلم مصون عن الخطأ وذلك لا ينتج الا نقصنا وضعفنا»

ولو ان ضرر هذه التربية كان قاصراً على عدم فائدتها لا اكتفينا بالعطف على اولئك الاطفال المساكين الذين يحفظون في المدرسة نسب (كلوتير) ومصارعات (نوستيري) وفصيلات الحيوان وغير ذلك بدلا من ان يتعلموا اشياء كثيرة اخر نافعة لكن ضررها اكبر من ذلك فهي تولد في نفس المتعلم سامة شديدة من حالته التي هو عليها بمقتضى نشأته ورغبة شديدة في الانسلاخ عنها فلا الصانع يبغي البقاء على صنعه ولا الفلاح يميل الى الدوام في فلاحته وأقل الناس في الطبقة الوسطى لا يختار لابنائهم عملا الا في وظائف الحكومة والمدرسة لا تربي رجالا قادرين على الحياة وانما تخرج عمالا لوظائف ينجح فيها الانسان دون ان يهتم بقيادة نفسه ولا ان يتقدم الى عمل من ذاته . فهي توجد في أسفل

سلم الهيئة الاجتماعية جيوشاً من الصعاليك المتمعزين التهبئين دائماً الثورة . وفي اعلاه طبقتنا الوسطى الفارغة الخدرة المغفلة التي تعتقد اعتقاداً دينياً في قدرة الحكومة وبعد امكانها وهي مع ذلك لا تنفك عن القديح فيها والتي تحظى ثم تواتر الحكومة بما أخطأت والتي لا تقدر على القيام بعمل لا يد للحكومة فيه

أما الحكومة التي تصنع حملة الشهادات من تلك المختصرات فلا يسميها ان تستسنع منهم الا القليل وتترك الباقي بالضرورة بلا عمل . فوقعت بذلك بين ضرورة تغذية أولئك والصبر على عداً هو لا احتشد ذلك الجمع العظيم من حملة الشهادات يحاصر جميع الوظائف من القمة الى القاعدة أي من الكاتب الصغير الى المعلم فالمدبر وصرنا نرى التاجر لا يجد الا مع المشقة نائباً يتولى أعماله في المستعمرات. ونشاهد الالف من الشهادات مكتظة امام باب كل وظيفة مهمه صغرت. ويوجد الآن في مديرية السين وحدها من المعلمين والمعلمات عشرون ألفاً لا عمل لهم ترفعوا عن المعامل والمصانع وشخصوا الى الحكومة يطلبون القوت منها ولما كان عدد الذين يختار منهم قليلا فعدد

الغضب كثير بالضرورة وهو لا مستعدون لكل نوع من
 انواع الثورة والمزج تحت قيادة أى رئيس كان وكيفما كان
 الغرض . ذلك لان اكتساب معارف لا يجد صاحبها سبيلا
 الى استعمالها هو من انجح الوسائل فى تهيئة المرء الى الخروج
 على امته ^(١)

ومن الواضح ان الوقت قد فات لمقاومة هذا التيار وانما

(١) على ان هذه الظاهرة ليست خاصة بالامم اللاتينية بل تشاهد
 فى بلاد الصين لكونها محكومة أيضاً بنظام قوى من « المندران »
 واندرائية تال هناك كما هو الحال عندنا بطريق الامتحان وهو عندهم
 عبارة عن تلاوة الطالب كتباً ضخمة عن ظهر قلبه والصينيون الآن
 يرون فى جيش المتعلمين الذين لا عمل لهم طامة كبرى على الأمة
 كذلك الحال فى الهند فمن يوم ان فتح الانكايز فيها المدارس لجرد
 تعاليم الوطنيين لا لتربيتهم كما يفعلون فى انكلترا ظهرت فيها طائفة
 مخصوصة من المتعلمين يقال لهم (بابوس) اذا لم يجدوا وظيفة انقلبوا اعداء
 اعداء اعداء ضد الحكومة الانكليزية وكانت نتيجة التعاليم سرعة
 انحطاط اخلاق جميع الياپوس الذين دخلوا الخدمة منهم والذين لم
 يدخلوها وقد افضت الكلام عن ذلك فى كتاب (تمدن الهند)
 ولاحظه أيضاً جميع المؤلفين الذين زاروا تلك البلاد الواسعة

التجارب وهي آخر مربب للأثم ستظهر لنا خطأنا ففى التى
تبرهن على ضرورة الافلاص عن استمال تلك الكتب الرديئة
وابطال هذه الامتحانات التعة واتباع طريقة تسليم فى عمل يرد
النشء الى الممانع والمعالج والمشروعات الاستعمارية وغير ذلك
من الاعمال التى يجتهد أولئك النشء فى الهرب منها

هذا التعلیم الفنى الذى تطلبه الآن العقول النيرة هو الذى
تلقاه آباؤنا وهو الذى حافظت عليه الامم التى تحكم الدنيا
بقوة ارادتها وبما اوتيت من الاقدام الذاتية فى الاعمال والقدرة
على التصرف بالمشروعات

كتب احد كبار المفكرين موسيو (تان) صفحات فى
هذا الموضوع ما اجلها وسأنتقل للقراء طرفا منها فيما يلي فإبان
بأوضح برهان ان تربيتنا فى الماضى كانت تماثل التربية عند
الانكليز او الامريكان فى الوقت الحاضر او ما يقرب من ذلك
ثم اتى بمقارنة جميلة بين الطريقة اللاتينية والطريقة الانكليزية
واعرب بأفصح لسان عن نتائج الاثنيتين

ولو كان الاكتساب السطحى لتلك المعارف الكثيرة
واجادة تلاوة تلك الكتب التى لا تعد لها مما يرقى ملكات

العقل فينا لاجهدنا النفس لاحتمال مضار هذه التربية التي تعودناها ولولم تخرج الا عطلة ممتعنين فهل لما هذا الاثر؟ لا والاسف يملأ قلبنا ان الادراك والتجارب والاقدام والخلق هي عدة الحياة ولا نجاح الا بها وليس شئ من ذلك في الكتب . الكتب معاجم يستفيد المرء من مراجعتها لكن مما لا فائدة فيه نقل الفصول المطولة منها الى الدماغ

اما كون التعليم الفني يربي العقل بما لا ينال من التربية العلمية الجارية فذلك ما شرحه موسيو (تان) شرحا وافياً اذ قال « لا تتولد الافكار الا في مولدها الطبيعي الاعتيادي والذي ينبت بذورها هو المؤثرات الكثيرة المختلفة التي يتأثر بها الشاب كل يوم في المصنع والمعدن والمحكمة ومكتب المحامي ودائرة الاشغال والمستشفى ومن مشاهدة الآلات والعدد والادوات ومن العمليات ومن اجتماع المبتاعين والفعلة ومن العمل نفسه وما يصنع رديئا كان الصنع او حسناً غالى الثمن او رخيصاً . هذه هي المتقطعات الصغيرة التي تتناولها العين والاذن او الايدي او الشم ايضاً التقاطا غير مقصود حيث تجتمع وتختمر وتأخذ لها حيناً تنتظم فيه من نفس الشباب فترشده عاجلاً او آجلاً

الى تركيب جديد او ببسيط مركب او طريقة اقتصاد او تحسين
 اختراع والشاب الفرنسي محروم من هذا الامتزاج الندي فقد
 غابت عنه كل هذه العناصر السهلة التناول الضرورية في الوقت
 الذي هو احوج للاستفادة منها لانه مقصور مدى سبع سنين
 او ثمان في المدرسة بعيد عن التجارب الشخصية السهلة القريبة
 المنال التي تحصل في الذهن صورة قوية صحيحة من الاشياء
 والناس وتكسب معرفة الطارق المختلفة لاستعمال ذلك كله
 فضع على تسعة من العشرة وقتهم وتعبهم مدى
 سنوات عدة من عمرهم سنوات ما كان انفعهاوا كبراهيتها
 بل قد كانت تكون الحد الفاصل بين بؤس ماض ومستقبل
 سعيد اليك اولا نصف الذين يتقدمون الى الامتحان او
 الثلثين انهم لا ينجحون واخرج من بين الناجحين نصفهم او
 ثلثيهم وهم الذين ابلاهم الدرس فلا يعودون ينفعون. كلفهم
 بما لا يطيقون اذ طلبوا منهم يوم يجلسون على مقعد او امام لوحة
 ان يكونوا مدى ساعتين اشبه بمعجم يلقي على السامعين جملة
 من العلوم التي يبحث فيها عن جميع ما علم الانسان والواقع
 انهم كانوا ذلك او ما يقرب منه مدة ساعتين ولكنهم

لا يتقون كذلك بعد مضي شهر من الزمان فلا يقدرُوا
 ان يجوزوا الامتحان مرة اخرى لان معارفهم كانت كثيرة
 كثيفة ففسدت من عقولهم ثم هم لا يكسبون منها جديدا
 لان الملكات القت سلاحها ونضب ماء الاثمار منها اذذاك
 يبرز الشاب وعليه مخايل الرجل التمام وهو في الغالب الرجل
 الذي قد فرغ منه. هذا الرجل يجمع اليه نفسه ثم يتزوج ويوطن
 النفس على ان يدور في دائرة معينة وان يستقر على الدوران
 في الدائرة عينها ويتزوي الى العمل الضيق الذي اقام فيه
 وصار يؤديه بانتظام . ولا شيء بعد ذلك. هذه هي الثمرة في
 المتوسط ولا شك في ان الوارد لا يساوى المنصرف اما في
 انكلترا وفي امريكا كما كان في فرنسا قبل سنة ١٧٨٩ فانهم
 يستعملون عكس ذلك وعندهم تساوى الثمرة ما صرف او
 تربو عليه »

وبعد ذلك شرح لنا هذا المؤرخ المجيد الفرق بين طريقتنا
 وطريقة الانكليز البيكونيين فابان ان ليس لهؤلاء من
 المدارس الخصوصية الكثيرة مائنا . وان التعليم عندهم لا
 يتلقى من الكتاب بل من الشيء نفسه فالمهندس مثلا يتكون

في المصنع لا في المدرسة وهو ما يسمح لكل واحد ان يصل في حرفته الى اخذ الذي تصل اليه قدرته العقلية فيكون عاملا او رئيس عمال اذا قعد به الذكاء عند هذا القدر . وهو مهندس اذا قاده استعدادده الى هذا الدرج . تلك هي الطريقة الديموقراطية المثلى وفيها الفائدة الصحيحة للأمة لا التي تجعل مستقبل المرء كانه معلقا على نتيجة امتحان يؤديه الطالب وهو في التاسعة عشرة أو المئمة للعشرين مدة سويعات معدودة قال موسيو (تايين)

« يدخل التلميذ والعود اخضر في المستشفى او المعدن او المصنع او مكتب المبتدع فيتعلم ويقضى زمن التمرين كما يفعل كاتب المحامي أو المبتدئ في الحرفة عندنا ويكون قد تلقى أولا بعض دروس عامة مختصرة اوجدت فيه محيطا تمش فيه الملاحظات التي تعرض له من يوم دخوله ومع ذلك يجرد كل يوم بجانبه دروسا فنية يختلف اليها في اوقات الفراغ ويتمكن بما يستفيده منها من ترتيب تجاربه وتنسيقها كلما اكتسب شيئا منها . هذا نظام تنمو فيه القدرة العملية وتتقدم من نفسها بحسب ما تسمح به ملكات التلميذ وتسير في

طريق العمل المستقبل الذى اختار التمرن عليه منذ الآن
وبهذه الوساطة يتمكن الشاب بسرعة من ان ينتزع من نفسه
كل ما ملكت ويصير منذ الخامسة والعشرين واحياناً قبل
ذلك ان ساعدته كفاءته ومادته منفذا نافعا بل مبداً مقداماً
منافعاً من ذاته فهو عجلة فى الآلة وهو ايضاً المحرك لها
اما فى فرنسا حيث سارت الطريقة الأخرى وصارت
تقرب من طريقة اهل الصين فى كل جيل فان مجموع القوى
الضائعة عظيم »

ثم استتبع ذلك الحكيم الكبير مما تقدم النتيجة الآتية
التي تبدل على مخالفة تربيتنا اللاتينية لمقتضيات الحياة مخالفة
تعظم كل يوم فقال « امتد زمن التحضير النظرى فى ادوار
التعليم الثلاثة الطفولية والصبا والشباب وقد زادت المواد على
حد الطاقة والتلميذ جالس على المقعد وعيناه فى الكتاب انتظاراً
ليوم الامتحان يوم ينال الشهادة يوم تتقرر الرتبة يوم تعطى
الاجازة او الامتياز لا انتظاراً لشيء آخر وقد اعدوا لذلك
ارداً الوسائل فاخضعوا التلميذ لنظام تأباه الطبيعة وتنفر
منه دواعى الاجتماع فاجلوا التمرين العملى وقصروا التلامذة

في حجب المدارس وروم تربية جسمانية صناعية وشحنوا
 الذهن شحنًا ماديًا بالمواد واجهدوا الفكرة وكلفوهم فوق
 استطاع غير ملتفتين الى المستقبل ولا مهتمين بسن الرجولة
 ولا بالوظائف التي لا بد للطلاب من القيام بها اذا اكتمل
 ولا ناظرين الى الوجود الحقيقي الذي اضحى على وشك
 الهبوط اليه ولا بالجمع المتلاطم الذي يجب تطعيمه بطبائفة
 أو إخضاعه لاحكامه قبل الانطلاق فيه ولا بالمعترك الانساني
 الذي يلزم المرء فيه ان يأخذ اهبة وتقلد عدته وتدريب
 ويتقوى ليتمكن من الكفاح ويبقى قائمًا على قدميه. مدارسنا
 لا تكسب الشاب هذا المتاع على ضرورته وكونه أهم
 ما يجب ان يقتنى. لا تكسبه ملكة حسن التمييز ولا
 مكنة الإرادة ولا صلابة الاعصاب بل على الضد من
 ذلك بدلا من ان تجهزه وتهينه فانها تضعفه وتبعد وجه الشبه
 بينه هو ومستقبله القريب المحتوم لذلك تراه غالبًا يسقط في
 اول خطوة يخطوها بين الناس ويكون في بداية امره كلما مدَّ
 يده للعمل تولاه الكمد وأخذته اخرى زمانًا طويلًا وقد
 يصير كالأعرج ويبقى كذلك دائما. تجربة قاسية ذات خطر

تضطرب فيها الاخلاق ويقتل ميزان العقل ويخشى من البقاء
هكذا على الدوام فقد انكشف الستار وولى الخيال وعظم اليأس
واشتد الاسى^(١)

(١) راجع تايين (النظام الحالى جزء ٢ صفحة ١٨٩٤)
وهذه الصفحات هى آخر ما كتب تايين تقريبا وفيها خلاصة تجارب
ذلك الحكيم العظيم ولكنى مع الاسف ارى اساتذة مدارسنا الذين لم
يقموا زمنا خارج فرنسا لا يدركونها على ان التربية هى الوسيلة الوحيدة
التي نستطيع بها التأثير فى نفس الامة ومن سوء الحظ انه لا يكاد
احد عندنا يدرك ان طريقة التعليم التي تخبرى عليها هى من اشد عوامل
الانحطاط العاجل وانها لا ترفع قيمة نشئنا بل تحط منه وتفسده

ومما يفيد القراء ان يجمعوا بين ما كتب (تايين) والمشاهدات
المتعلقة بالتربية فى امريكا التي ذكرها موسيو (پول بورجيه) فى
كتاب (بحر آخر) فقد لاحظ هو ايضا ان تربيتنا لا تخرج الا
اواسط محدودة كفاءتهم فلا اقدام على العمل من انفسهم ولا ارادة فيهم
او فوضويين قال « وهما نموذجان تعسان للرجل المتمدين اذا خب
بأنحطاط اخلاقه وعجزه او فقد الرشده فصار آلة هدم وتخريب » ثم
جاء بمقارنة جديرة بالامعان بين مدارسنا الفرنسية التي هى مصانع
اتلاف والمدارس التي تربى الرجل للحياة تربية تفوق الوصف
هناك يتبين الفرق بين الامم الديمقراطية الصحيحة والتي ليس لها من
ذلك الا ما جاء على السنة خطبائها لا الذى رسخ فى عقولهم

كأنى بالقراء يظنون أنا قد بعدنا عن موضوعنا روح الاجتماع
 لكن نحن مازلنا فيه لأنه يجب علينا المعرفة الأفكار والمعتقدات
 التى تتولد الآن فى الجماعات ان نعرف كيف هيئت الأرض
 التى تنبت فيها فالتعليم الذى يعطى الأمة هو المראה التى يرى
 فيها مصيرها يوماً من الأيام والذى يبدل منه الآن لشباننا
 يدل على مستقبل مظلم جداً . كذلك نفوس الجماعات إنما
 تتحسن او تفسد من بعض الجهات بواسطة التربية والتعليم
 لهذا وجب ان نعرف كيف هيأت الطريقة المتبعة عندنا فى
 التعليم روح جماعاتنا وكيف انبأ بعد ان كانت لاهية بنفسها
 او لا تشغل بغيرها تحولات الى جيش كثيف من المتعاضدين
 مستعد لتنفيذ ما يشير به المهوسون اهل التخيلات او
 المتفهمون تجار الكلام فالآن نحن نعلم ان الاشتراكيين
 والفوضويين يربون فى المدارس وان فيها تحفيرا اوقات انحطاط
 الامم اللاتينية عما قريب



الفصل الثاني

العوامل القريبة في افكار الجماعات

—

(١) الصور والالفاظ والجل — فيما للالفاظ والجل من القوة السحرية — في ان قوة الالفاظ مرتبطة بالصور التي تحدثها في الخيال وغير متعاقبة بمعناها الحقيقي — في ان تلك الصور تختلف باختلاف الازمان والامم — كثرة الالفاظ — امثلة على كثرة اختلاف معاني بعض الالفاظ المستعملة — الفائدة السياسية من اطلاق اسماء جديدة اسميات قديمة متى صارت اسماءها الاولى نحدث تأثيراً سيئاً في نفوس الجماعات — اختلاف معاني الالفاظ الواحدة باختلاف الامم — اختلاف معنى ديموقراطية في اوروبا وفي امريكا

(٢) — في الاوهام — في اهمية الاوهام — في ان الاوهام موجودة في أساس كل مدينة — ضرورة الاوهام في الاجتماع — في ان الجماعات تفضل الوهم على الحقيقة

(٣) — التجارب — يجوز ان تولد التجارب وحدها في نفوس الجماعات حقائق لازمة وتهدم ادهاما ضارة — انما تؤثر التجارب اذا كثرت -- ما تقتضيه التجارب اللازمة لاقناع الجماعات

(١) — العقل — عدم تأثيره في الجماعات — في انه لا يمكن التأثير في الجماعات الا من طريق مشاعرها الغريزية — شأن المنطق في التاريخ — في الاسباب الخفية للحوادث الخارجة عن المعقول

فرغنا من البحث في العوامل البعيدة التحضيرية التي تهيج نفوس الجماعات لظهور بعض الاميال والافكار وبقى علينا ان نبحث في العوامل التي تؤثر فيها مباشرة وسنرى في الفصل الآتي كيف تعمل هذه العوامل انظهر آثارها كلها

وقد بحثنا في القسم الاول من هذا الكتاب في مشاعر الجماعات وافكارها ومداركها ومما عرفناه يسهل علينا غالباً استنباط الوسائل التي تؤثر فيها فنحن نعرف مما تقدم أى العوامل يفعل في تصوراتها ونعرف قوة المؤثرات وعدواها خصوصاً ما جاءها منها في شكل صور ترسم في الخيال ولما كانت مناشئ المؤثرات مختلفة كانت العوامل التي لها قوة

التأثير في نفوس الجماعات تنوع كثيراً تبعاً لها لهذا ينبغي الكلام في كل واحد منها وليس البحث غير مفيد لان احوال الجماعات تشبه بعض الشبه طلابيم الارصاد عند القدماء فاما ان تتمكن من حل طلاسمها واما ان نستسلم لها فتأكلنا :



الصور والالفاظ والجمال

تبين عند البحث في تصور الجماعات أنها تتأثر على الاخص بالصور وليست الصور ممكنة في كل وقت لكن من السهل استحضارها في الذهن بالحدق في استعمال الالفاظ والجمال ومتى كان المستعمل لها بارعاً فلها قوة السحر عند معتقديه في الزمن السابق فهي التي تثير في نفوس الجماعات اشد صواعق الغضب وهي التي تسكنها اذا جاشت ولو جمعت عظام من ذهبوا ضحية الالفاظ والجمال لا يمكن ان يقام منها هرم ارفع من هرم خيوس القديم

السِر في تأثير الالفاظ للصور التي تحضر في الذهن بواسطتها وليس لذلك التأثير ارتباط بمعانيها الحقيقية بل الغالب ان اشدها تأثيراً ما كان معناه غير واضح تماماً مثال ذلك كلمات ديموقراطية . اشتراكية . مساواة حرية . وهكذا مما ابهم معناه ويحتاج في تحديده الى مؤلفات ضخمة والكل يسلم ان لها سلطاناً ينساب في النفوس كأنها اشتملت على حل المسائل الاجتماعية كلها وفيها تتمثل الاميال الاشعورية على اختلافها والامل في تحقيقها

لبعض الالفاظ والجل سلطان لا يضعفه العقل ولا يؤثر فيه الدليل الفاظ وجل ينطقها المتكلم خاشعاً امام الجماعات فلا تكاد تخرج من فيه حتى تعلو الهية وجوه السامعين وتغنو الوجوه لها احتراماً وكثير يعتقدون ان فيها قوة الهية . الفاظ وجل تثير في النفوس صوراً لا كيف لها ولا انحصار محفوفة بالاكبار والاعظام ابهامها يزيد في قوتها الخفية في آلهة لا تدركها الابصار قد احتجبت خلف (المظلة) التي ترتد لهيئتها فرائص العابد اذا تقدم نحوها

ولما كانت الصور التي تستحضرها الالفاظ مستقلة عن

معانيها كانت مختلفة باختلاف الأجيال والامم وإن اتحدت
صينغا وبعض الالفاظ صور تتلوها على الاثر كأن الكلمة
منبه اذا تحرك برزت صورته

ومن الالفاظ ما هو مجرد عن قوة استحضار صورة ما
ومنها ما تكون له تلك القوة اولاً ثم تبلى بالاستعمال فتفقدتها
تماماً وتصبح اصواتاً فارغة تنحصر فائدتها في اعفاء المتكلم بها
من التفكير والامعان ومن السهل على الانسان اذا حفظ في
صغره قليلاً من الالفاظ وشيئاً من الجمل المصطلح عليها ان
يجتاز الحياة بها من دون احتياج الى اجهاد نفسه بالتفكير في
امر من امور الدنيا

من تأمل في لغة من اللغات وجد ان الالفاظ التي تتركب منها
لا تتغير مع الزمان الا ينطء عظيم انما الذي يتغير على الدوام
هو الصور التي تلازم تلك الالفاظ والمعاني التي تؤديها ومن
هنا قلت في بعض مؤلفاتي ان ترجمة لغة بتمامها ضرب من
المستحيل خصوصاً اذا كانت لغة أمة ميتة ونحن اذا ترجمنا
الى الفرنسية كلمة يونانية او لاتينية او سنسكريتية اوردنا
فهم كتاب بلغتنا منذ قرنين او ثلاثة فذلك عبارة عن احلال

الصور والمعاني المنتزعة من حياتنا الخاضرة محل صور ومعارف
مغايرة لها بالمرّة وكانت معروفة لأمم لانسبة بين حياتها
وحياتنا . تقل رجال الثورة الفرنسية عن الرومان وعن
اليونان انما ظا وظنبا انهم بذلك يهملونهم في نظاماتهم وهم انما
اثبتوا لالفاظ قديمة معاني ما كانت لها ابدافأى شبه بين
نظامات الاغريق ونظاماتنا وان تقابلت الاءماء السنانعلم ان كلمة
جمهورية كانت تدل عندهم على نظام سدهاء الشرفاء ولحمته
الشرفاء اجتمع فيه افراد من صفاء المستبدين ومحكموا في
قطيع من العبيد المسخرين . تلك جمعيات اشراف قروية كان
الرق قوامها ولولا الاسترقاق ما عاشت لحظة واحدة

وتلك كلمة الحرية أى شبه بين معناها الآن عندنا ومعناها
قديماً عند قوم لم يمر بخاطر واحد منهم طائف الحرية في الافكار
أيام كان اكبر الجرائم النادرة الوقوع تطرق البحث الى
الآلهة أو القوانين أو العادات في مدينة من المدن فكان
معنى وطن عند اهل اتينا او اهل اسبرطة تمجيد المدينة لا
البلاد اليونانية لانها كانت مدائن متباغضة وفي حرب مستديم
ولم يكن لهذا اللفظ معنى عند اهل الغلوا الاقدمين وهم قبائل

متنافة وأجناس متغايرة وأهل لغات متنوعة وديانات شتى
وقهرهم قيصر بدون عناء اذ كان له من بينهم حلفاء على الدوام
وروما هي التي اوجدت وطن الغالوي بايجادها الوحدة السياسية
والدينية فيها مالنا ولذلك الزمن البعيد فمن قرنين اثنين لم يكن
للفظ الوطن في نفوس الامراء الفرنساويين ما نفهم نحن منه
الآن اذ كانوا يحاربون الاجنبي على ملكهم كما فعل البرنس
كونديه ولا في نفوس المهاجرين الذين كانوا يعتقدون ان
الشرف وحفظ العهد يقضيان عليهم بمحاربة فرنسا وكانوا
يعملون بهذا الاعتقاد لأن نظام حكم الشرفاء كان يربط التابع
بالمتبوع لا بالبلاد التي هو منها نحيماً كان المتبوع يوجد الوطن
وما اكثر الالفاظ التي تغير معناها تغيراً كلياً من جيل الى
جيل ولم نعد ندرك معانيها الاولى الاً مع الجهد والمشقة ولقد
أصاب القائل بوجوب الاطلاع على كتب كثيرة للوقوف
على ما كان يفهمه آباء اجدادنا من بعض الالفاظ مثل ملك
وعائلة ملكية فبالك بغيرها مما له معنى دقيق

نتج من هذا ان معاني الالفاظ غير ثابتة وانها عرضية اى
وقتية تتغير بتغير الاجيال وتختلف باختلاف الامم فاذا أردنا

ان تؤثر في الجماعات لزمنا ان نعرف معنى الالفاظ عندها
وقت مخاطبتها لا معناها القديم ولا الذي يفهمه منها من
يختلف معها في الفكر والمعقول

ومن اجل هذا متى تمت الانقلابات السياسية واستقرت
معتقدات مكان اخرى وتمكن بذلك تفور الجماعات من
الصور التي تحضرها من بعض الالفاظ وجب على رجال
السياسة الجديرين بهذا الاسم ان يسارعوا الى تغيير تلك
الالفاظ من دون ان يتعرضوا لتغيير المسميات لان هذه
مرتبطة بمزاج القوم الموروث ارتباطاً ليس من السهل تغييره
وقد لاحظتوكفيل منذ بعيد وكان تقادراً ان حيل اعمال
القنصلية والامبراطورية (في فرنسا) كان لباس القسم
الاكبر من النظامات القديمة لباساً جديداً من الالفاظ اعني
الاعتياض من الفاظ اصبحت تؤدي في الاذهان صوراً
مكروهة بألفاظ لا تثير فيها هذا التأثير لحدثها فسموا العوائد
الشخصية ضرائب عقارية والعونة ضرائب غير مقررة وهكذا
فن اهم وظائف سواس الامم تسمية المسميات التي صارت
الجماعات لا تلتحق سماع اسمائها المعروفة بانماء مقبولة

او على الاقل لامقبولة ولا مكروية لان قوة الالفاظ شديدة حتى انه يكفي تسمية أشد الاشياء كراهة للجماعات باسماء مختارة لترضى بها ومن هنا لاحظ (تايين) ان اليعقوبيين تمكنوا باسم الحرية والمساواة وهما كلمتان محبوبتان في زمانهما عند الناس (من اقامة استبداد احق به بلاد الداهومية وتأليف محكمة شبيهة بمحكمة الاضطهاد واحداث مذابح في الناس شبيهة بمذابح بلاد المكسيك)

فالحكام كالحامين يرجع فهم الى اختيار الالفاظ وحسن استعمالها وصعوبة هذا الفن ناشئة من كون معنى اللفظ الواحد يختلف غالباً باختلاف طبقات الامة الواحدة اختلافاً كبيراً ففى وان استعملت الالفاظ بذاتها لا تتكلم مع ذلك بلغة واحدة

رأينا في الامثلة التي اتينا عليها ان الزمان هو أهم العوامل في تغيير معاني الالفاظ وكذلك تختلف المعاني في الزمن الواحد اختلافاً كلياً عند الامم التي اختلفت في الجنس وان تماثلت في المدنية ومن المتعذر ادراك ذلك لمن لم يسبق له تطواف طويل في الامم فلا اطل الكلام فيه ولكني اشير الى ان

اختلاف المعاني واتحاد الالفاظ عند الأمم المختلفة يكون
بالاخص فيما يكثر استعماله منها على لسان الجماعات مثل لفظي
ديموقراطية وانتزاعية اللذين شاع استعمالهما الآن

الافكار والنسور التي تحصل من هذين اللفظين تختلف
اختلافاً بينا عند الجنسين اللاتينى والانكليزى السكسونى
فعنى الديموقراطية عند الاول انزواء ارادة الفرد واقدامه على
العمل من نفسه امام ارادة المجموع وهتمته والمجموع تشخصه
الحكومة^(١) فالحكومة هى المكلفة بأدارة كل شئ وحصر
كل شئ واحتكار كل شئ وصنع كل شئ وهى التى تلجأ
اليها دائماً الاحزاب بلا استثناء من احرار الى اشتراكيين
الى ملكيين وعلى الضد من ذلك يفهم الانكليزى السكسونى
وبالاخص الأمريكى من كلمة ديموقراطية نمو ارادة الفرد
واقدامه الذاتى الى الحد الاقصى وانزواء الحكومة بقدر
ما امكن فلا تكلف بعد الشرطة والجيش والعلاقات الـياسية
بشئ حتى التعليم وعليه فاللفظ الواحد يفيد فى بلد جمود

(١) الحكومة هنا عبارة عن مجموع السلطات التى يدهازمام الامر

ارادة الفرد وسكون اقدامه الذاتي واستغلاء كلمة الحكومة
وفيد في بلد آخر انزواء هذه وارتفاع صوت الاول^(١)

٢

الاوهام

خضعت الجماعات منذ بزغ فجر المدنية لتأثير الاوهام
فاقامت لموجدتها اكثر التماثيل والهيكل والمعابد وما من
مدنية وما من حضارة تبلغ صبحها فوق ظهر الارض الا
وكانت تلك الملوك الهائلة في طليعة جيوشها اريد المعتقدات
الدينية قديماً والسياسية والاجتماعية في هذه الايام . هي التي
شيدت هياكل الكلدان ومصر واقامت المساجد والبيع في
القرون الوسطى وهي التي قلبت القارة الاوروبية من الرأس

(١) شرحت القول باسهاب في كتابي (ناموس تطور الامم
النفسى) على الفرق بين الديمقراطية عند الامم اللاتينية والامم
السكونية وجاءت نتيجة بحث موسيو (بول بورجيه) في كتابة
(بحر اخر) مطابقة على التقريب لما ذكرت وان كان بحثه مستقلاً

بذاته

الى القدم منذ مائة عام وخاتمتها مطبوع في جين كل ما ابرزه العقل من المستحدثات الفنية او السياسية او الاجتماعية . يهدمها الانسان ايماناً ولكنه يعانى في ذلك هول الانقلاب المنيس ثم هو محكوم عليه دائماً ان يقيمها من جديد فلولا هي ماخرج من بربرته الاولى ولولا هي لراح مسرعاً يتخبط في اودية الخشونة والتوحش نعم هي خيالات باطلة وهى من نبات الاحلام ولكنها هي التى سافت الامم الى ايجاد ما فى الفنون من رفيع وجميل وما فى الحضارة من عظيم وجليل

قال (دانيال لوزياري) لو أبيد ما فى دور العاديات وما فى المكتبات العمومية وكسرت فوق بلاط مماشيها جميع التحف والاثار الفخمة التى ابدعتها الفنون والاديان ما بقى فى العالم شىء مما ولدته الاحلام وما كانت الالهة والابطال ولا الشعراء الا لتحدث فى النفوس شيئاً من الرجاء وبمضاً من الخيال اذ لاحياة للناس بغير الامل والرجاء . حمل العلم هذه الامانة الثقيلة خمسين عاماً ثم تغلبت عليه قوة الخيال لانه اصبح غير قادر على الوعد بادائها كلها عاجزاً عن الكذب الى النهاية اشتد ولع فلاسفة القرن الماضى بهدم الاوهام الدينية

والسياسية والاجتماعية التي عاش بها آباؤنا وأرونا واجيالنا قدام
 ظهر واعليها كانوا قد سدوا ايضا منابع الرجاء واغلقوا باب احتمال
 القضاء وبرزت من خلف الخيال الذي خنقه قوى الطبيعة
 العمياء الصماء التي لا تشفق على الضعفاء ولا تمنح على التمسك
 سارت الفلسفة الى الامام شوطاً بعيداً ولكنها مع
 تقدمها لم تهيب للجبهات خيالاً يلذ لها والجماعات لاغنى لها
 عن الاوهام لذلك اندفعت وراء غريزتها وذهبت الى تجار
 ابلاغة الذين يبيعونها تجارة حاضرة مثلها كمثل الحشرة تدب
 حيث يكون الضياء . ان الحقيقة لم تكن ابداً العامل الاكبر
 في تطور الامم ولكنه الباطل على الدوام واذا بحثت عن
 السبب في قوة مذهب الاشتراكية في عصرنا هذا وجدته
 ما اشتمل عليه من الخيال الذي لا يزال حياً في العقول فهو
 يعظم ويتجسم مع تراحم انوار العلم التي تبرهن على فساد
 ذلك لان قوته آتية من جهل دعائه بحقائق الاشياء جهلاً
 كافياً يجرئهم على وعد الناس بالسعادة في الحياة والآن اصبح
 هذا الوهم سائداً فوق اطلال الزمن الماضي وله الملك آجلاً
 فما كانت الجماعات في ظمأ الى الحقيقة طول حياتها واذا تبدت

امامها وكانت تغضبها اعربت ونأت وراحت تعبد الاوهام
التي ترضى الامرة عليها من اضلها والويل منها لمن هداها

٣

التجارب

التجارب هي على التقريب الوسيلة الفعالة لتقرير الحقيقة
في نفوس الجماعات وازالة الاوهام التي عظم ضررها انما ينبغي
ان تكون عامة ما يمكن وان تتكرر اذ تجارب جيل لا تؤثر
مالم يولد في الذي يليه ولذلك لا تصلح الحوادث التاريخية للدليل
بل تصلح لبيان انه يجب تكرار التجارب من جيل الى جيل
ليكون بعض الاثر وليتوصل بها الى زعزعة الوهم المتأصل
في نفوس الجماعة

ومن المحقق ان مؤرخي العصور الآتية سيكتفون من ذكر
حوادث هذا القرن والذي تقدمه لاحتوائها على تجارب لا
مثيل لها لان الناس لم يباشروا نظائرها في زمن من الازمان
واكبر هذه التجارب ثورتنا الفرنسية لانها تدل على
اننا احتجنا الى قتل عشرة ملايين من الرجال واضرام نار

يُوحون به عندنا منذ ثلاثين عاماً
ولو أردنا ان برهن بالأثم التي تعمل بمذهب حماية التجارة
الوطنية لتقييد التجارة الأجنبية للزمن القيام بتجارب ضارة
بثروتنا مدة عشرين عاماً ومن السهل الاكثار من الامثلة
على ما تقدم .



العقل

لولا الحاجة الى بيان ان لا تأثير للعقل في الجماعات ما

الجماعات متعبدا الى قوادحها كما يقع ذلك غالباً بالنسبة للافكار العامة
فقد رأينا موسيو (نيرس) يقول ما يأتي ضمن خطابه الذي القاه
على مجلس النواب في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٦٧ ونقله موسيو أوليفيه
في كتاب نشره حديثاً وكان ذلك القطب السياسي يتبع دائماً افكار
الجماعة الا انه لم يسبقهم في فكر أبداً قال ناقلاً « ليس لبروسيا غير
جيشها العامل المساوي لجيشنا على التقريب الاحرس ملي يشبه الحرس
الذي كان لنا وعليه لا أهمية له » وهي رواية تبلغ صحتها ما بلغه
رأى ذلك السياسي في ضعف مستقبل السكك الحديدية .

احتجنا الى ذكره بين العوامل التي تؤثر فيها لانا قدمننا ان
البراهين والادلة لا تأخذ من نفوس الجماعات وانها لا تعقل
الآ بالمشابهات الرديئة ولهذا فان الخطباء الذين عرفوا كيف
تتأثر انما يخاطبون ، يسورها دون العقل لانه لا سلطان لقواعد
المنطق عليها^(١) فلاجل اقتناع الجماعة ينبغي الوقوف اولاً على

(١) ترجع ملاحظاتي في فن التأثير في الجموع وضعف قواعد
المنطق في هذا الموضوع الى زمن حصار (باريس) رأيت ذات يوم
اناساً يسوقون أحد قواد الجيش العظام الى سراى اللوفر حيث مقر
الحكومة والناس أكداس من حوله يزجرون ويميزون غيظاً وهم
يتمونه بانه كان ياخذ رسم احد المعاقل ليبيعه للبروسانيين فلما وصلوا
به خرج أحد أعضاء الحكومة وكان خطيباً ذائع الصيت ليخطب في
الناس وهم ينادون الموت الموت عاجلاً وكنت انتظر منه ان يرهق
لهم على فساد التهمة بقوله ان الفريق المتهم هو أحد المهندسين الذين
اقاموا الحصون وان رسومها تباع في المدينة عند جميع باعة الكتب
غير اني بهت - كنت شاباً في ذلك الحين - اذ سمعته على تقيض ما
ظننت بقول وهو يتقدم نحو الجموع « سيأخذ منه العدل اخذاً لاراحة
فيه فافركوا حكومة الدفاع عن الامة (١) تم التحقيق الذي بدأتموه

(١) هو اسم الحكومة في ذلك الحين

المشاعر القائمة بها والتظاهر بموافقتها فيها ثم يحاول الخطيب تعديلها باستعمال مقارنات بسيطة عادية تشخص امامها صورا مؤثرة وينبغي ان يكون مقتدرا على الرجوع القهقري متى وجد المقتضى وان يتفرس في كل لحظة اثر كلامه في نفس سامعه حتى يغير منه كلما مست الحاجة وهذه الضرورة التي تلجىء الخطيب الى سرعة تغيير الكلام بحسب الاثر الحاصل في نفس السامع هي التي تدلنا على ضعف الخطابة بالكلام المحضر من قبل لان الخطيب يتبع في هذه الحالة سلسلة افكاره لاجركة فكر سامعيه فلا يكون لكلامه اقل تأثير عندهم أما المناطقه فلانهم تعودوا الاقتناع بالادلة المتسلسلة الدامغة لا يمكنهم الخروج عن عادتهم هذه في مخاطبة الجماعات لذلك يدهشهم على الدوام عدم تأثير استدلالهم قال بعض هؤلاء المنطقيين « ان للقياس المنطقي اعنى الجمع بين الشئ ونظيره

وستزجه في السجن حتى حين » قال هذا فرأيت الثورة قد سكنت وتفرق الجمع ولم يمض ربع ساعة الا والفريق في داره ولوانه خاطبهم بما جال بخاطرهم من الادلة المنطقية التي اعتقدتها دامغة لمزقوه اربا

فى الاستدلال نتيجة لازمة لا تتخلف عنه وهذا اللزوم يقتضى
 التسليم حتى من المادة لو ان فيها قدرة على ان تتمثل النظائر «
 وهو مسلم غير انه لا فرق بين الجماعة والمادة فى عدم ادراك
 النظائر بل فى عدم القدرة على سماعها ومن لم يصدق فليجرب
 اقناع الممجى أو المتوحش أو الصبي بالحجة العقلية والدليل
 المنطقى وهو يقتنع بضعف تأثير هذه الطريقة فى اقناعهم
 على انه لا داعى للتجربة فى الممجى لمسرفة عدم تأثير
 الادلة العقلية متى عارضت الشعور وكيفينا ان نذكر كم من
 القرون امسكت الاوهام الدينية بالعقول على ما بها من مخالفة
 قواعد المنطق الابتدائية وان اكبر الناس عقلا واسماهم فكرا
 انوا تحت حكمها الفى عام وبقي الحال هكذا حتى جاء هذا
 الزمان وأمكن البحث فى صحتها ولقد كان أصحاب العقول
 النيرة كثيرين فى القرون الوسطى وزمن النهضة الفكرية
 ومع ذلك ليس منهم من هدته الحجة وارشده الدليل الى ما
 كان فى الاوهام التى استولت على قلبه من الهراء والشطط أو
 شك يومافى صحة اساءة الشيطان او فى ضرورة احراق الساحرين
 رب سائل أمما يوجب الاسف ان العقل ليس هو الذى

يهدى الجموع على الدوام . نحن لا نسمنا ان نقول به بل نرى
انه لو كان المهدى للعقل ما اندفعت الانسانية في سبل المدنية
واضارة بالهمة التي اوجدتها الخيالات والاهام . فليس
لنا غنى عن الاهام لانها نبات الفرائز

كل شعب يحمل في كيانه العقلي نواميس مآله في الوجود
والظاهر انه يسير محكوما بتلك النواميس وانه ينقاد لحكمها
بفطرة لا مقدور له فيها حتى في نزعاته التي يرى انها خارجة
عن كل معقول كذلك يظهر احيانا ان الامم مدفوعة بقوى
خفية مثل التي تجعل بذرة البلوط شجرة كأمرها او التي تدور
بها (ذوات الاذناب) في دوائرها

على انه لا يسمنا ان نعرف الا قليلا من تلك القوى وذلك
بالبحث عنها في حركة تطور الامة العمومية لافي الحوادث
الفردية التي يخال انها سبب ذلك التطور اذ لو قصرنا النظر
على هذه الحوادث لظهر ان التاريخ يتكون من مصادفات غير
معقولة بالمرة . فلقد كان مما لا يصدق العقل ان نجاراً جاهلاً
هو (غاليليه) ^(١) يصير مدة التي عام كأله جلّت قدرته يؤسس

(١) كذا في الاصل لانه ولد سنة ١٥٦٤ وتوفي سنة ١٦٤٢

باسمه اهم اركان المدينيات في الدنيا . وكان مما يصدق العقل
 ان عصابات من العرب تندلع من صحاريها وتبسط فتوحاتها
 على القسم الاكبر من الدنيا القديمة التي عرفها اليونان والرومان
 وتختط مملكة فاقت ضخامتها مملكة الاسكندر . كذلك
 كان مما لا يتصوره العقل أن يقوم ضابط صغير في أوروبا
 التي لها قدم راسخة في التاريخ وأهلها طبقات منظمة بعضها
 فوق بعض ويتمكن من السيادة على جميع أولئك الملوك وتلك
 الامم

اذن لنندع العقل للحكام ولا نطلبن منه ان يتداخل كثيرا
 في حكم الامم فما بالعقل بل على الرغم منه في غالب الاحيان
 تولدت مشاعر مثل الشرف وانكار اللذات والايمان بالدين
 وحب المجد والوطن وهي الصفات التي كانت ولا تزال اقوى
 دعائم المدينيات كلها



الفصل الثالث

قواد الجماعات وطرقهم في الاقتناع

—

(١) قواد الجماعات - حاجة الجماعات الفطرية الى قائد تطيعه -
روح القواد - القواد هم الذين يمكنهم وحدهم إيجاد الاعتقاد ووضع
نظام للجماعات - استبداد القواد نتيجة لازمة - أنواع القواد - شأن
الارادة

(٢) وسائل التأثير التي يستعملها القواد - التوكيدو التكرار
والعدوى - تأثير كل واحد من هذه العوامل - كيف ترتقى العدوى
في الامة من الطبقة السفلى الى الطبقة العليا - في ان الفكر يكون
للعامه فلا يابث أن يصير عاما

(٣) النفوذ - تعريف النفوذ وأنواعه - النفوذ المكتسب
والنفوذ الشخصي - أمثلة متنوعة - كيف يزول النفوذ

نحن الآن نعرف تركيب الجماعات الفكرى والعوامل التى
تؤثر فى نفوسها بى علينا ان نذكر كيفية استعمال هذه
العوامل ومن الذى يمكنه استعمالها استعمالاً مفيداً



قواعد الجماعات

ما اجتمع عدد من الاحياء سواء كان من الحيوان او من
بنى الانسان الا جعل له بمقتضى الفطرة رئيساً
والرئيس فى الجماعات البشرية عبارة عن قائد فى الغالب
الا ان له بذلك شأنًا كبيراً تجتمع الافكار وتحدد حول ارادته
وهو الركن الاول الذى يقوم به نظام وحدة الجماعات ويهيئها
لان تصير طائفة خاصة

والعادة ان القائد يركز قبل ذلك مقوداً . اعنى انه كان
مسحوراً بالفكرة التى صار هو الداعى اليها حتى استولت عليه
استيلاء لا يرى معه لا ما كان منها وان كل ما خالفها وهم
وباطل كما جرى للزعيم (روبير) اسكرته افكار (روسو)
فقام يدعو اليها . واستعمل الاضطهاد وسيلة لنشرها .

ليس القواد غالباً من اهل رأى والحصافة بل هم من
 اهل العمل والاقدام وهم قليلو التبصر . على انه ليس في
 قدرتهم ان يكونوا بصراء . لان التأمل يؤدي غالباً الى الشك
 ثم الى السكون . وهم يخرجون عادة من بين ذوى الاعصاب
 المريضة المهوسين الذين اضطربت قواهم العقلية الى النصف
 وامسوا على شفا جرف الجنون . لا ينفع الدليل على فساد ما
 اعتقدوا كيفما كان معتقدهم باطلا . ولا تثنيهم حجة
 عن طلب ما قصدوا بالغاً منه الخطل ما بلغ . ولا يؤثر فيهم
 الاحتقار ولا الاضطهاد بل ذلك يزيدهم تهوساً وعناداً .
 حتى انهم يفقدون غريزة المحافظة على النفس فلا يبتغون في
 الغالب اجرا على عملهم الا ان يكونوا من ضحاياهم . تزيد
 شدة اعتقادهم في قوة تأثير اقوالهم . والجموع تصنف دائماً
 الى قول ذى الارادة القوية الذى يعرف كيف يتسلط عليها
 ومتى صار الناس جماعة فقدوا ارادتهم والتفوا كلهم حول من
 كان له شيء منها

وجد القواد في الامم على الدوام . غير انهم ليسوا جميعاً
 من اهل الاعتقاد الصادق الذى يصير به المرء رسولا في قومه .

بل هم في الغالب قوالون سوفسطائيون لا يسعون الا وراء
منافعهم الذاتية فيتملقون ذوى المشاعر السافلة ايك تسبوا رضاهم
وقد يكون النفوذ الذى ينالونه بهذه الوسائل كبيراً جداً الا
انه سريع الزوال . اما اصحاب المعتقدات الصحيحة الذين
تمكنوا من نفوس الجماعات وجر كوها مثل (بطرس الراهب)
(لوثر) و (سافونارول) ورجال الثورة الفرنسية وغيرهم
فانهم لم يتمكنوا من خلب العقول واجتذاب الارواح الا بعد
ان سكروا بخمر المذهب الذى اعتقدوه . وبذلك توصلوا
الى توليد تلك القوة الهائلة فى النفوس وهى التصديق الذى
يجعل المرء عبداً لخياله .

كان عمل قواد الجموع على الدوام خلق الاعتقاد فى النفوس
لا فرق بين ان يكون دينياً او سياسياً او اجتماعياً . ولا ان يكون
محله عملاً او انساناً او رأياً بهذا كان تأثيرهم عظيماً جداً . لان
الايمان اكبر قوة فى تصرف الانسان . وقد صدق الانجيل
فى قوله انه يزحزح الجبال عن مواضعها . فمن كان مؤمناً
زادت قوته عشر امثالها . والذى قام باكبر حوادث التاريخ
افراد من الضعفاء المؤمنين الذين لم يكن لهم من الحول الا .

الايان . وليس المستبدون ولا الفلاسفة ولا اهل البأس على
الاخص هم الذين اقاموا الاديان الكبر التي سادت على
الدنيا . واختطوا البلائك الشاسمة التي امتدت فوق السطحين
غير ان الامثلة التي ذكرناها تختص بقواد عظام يندر
ظهورهم من السهل على التاريخ حصرهم . وهم رأس سلسلة
تتدلى من أولئك القواد العظام الى العامل الذي يقف في
قهوة اطبق الدخان في سمائها ويسترعى اسماع اخوته وهو
يلوك صيفاً حفظها من دوت ان يدرك معانيها . ولكنه يؤكد
ان في العمل بها تحقيق جميع الاماني والآمال

لا يلبث الانسان ان يقع تحت حكم قائد يتبعه كلما خرج
عن العزلة الى الجماعة ذلك امر واقع في جميع الطبقات ارقاها
وادناها . فاما افراد طبقة العامة فان الواحد منهم متى خرج
عن حرفته او مهنته لا تجد عنده فكراً واضحاً في أمر من
الامور . وكلهم غير كفء لقيادة ذاته . ومرشدهم هو القائد
وربما امكن الاستعاضة عنه بتلك الصحف الدورية التي تصنع
لقرائها افكاراً وتحصل لهم جملاً مصوغة تغنيهم عن التفكير
الا ان البديل لا يقوم مقام الاصل تماماً

من لوازم سلطة القواد ان تكون مستبدة على ان استبدادهم هو علة سيادتهم وقد لوحظ كثيراً ان فيهم مقدرة على اطاعة طبقات العمال الذين هم أشد عريضة واصعب مراساً مع تجرد اولئك القواد من كل شئ، يستندون عليه في سلطتهم . فهم يحددون ساعات العمل ويقررون الاعتصابات وينفذونها بمقتات ويفضونها بمقتات .

قواد هذه الايام صاثرون الى الحلول مكان السلطات الحاكمة كلما تركت هي الناس يبحثون فيها ويضعفون من نفوذها . وتعسف المولى الجديد وظلمه يجعل الجماعة تطيعه بسهولة اكثر مما اطاعت حكوماتها . واذا حدث حادث اختفى بسببه القائد ولم يول الخلف على الاثر تصبح الجماعة جمهوراً مفكك الاجزاء ولا قدرة فيها . فلما اعتصب عمال شركة الامنيوس اعتصابهم الاخير في باريس وقبض على الرئيسين اللذين كانا القائدين بطل الاعتصاب لساعته . . انما الحاجة التي يشتد شعور الجماعة بها هي الخضوع للاحرية وقد بلغ منها النظم الى الطاعة انها تخضع بنفطرتها لكل من ادعى السيادة عليها

تنقسم القواد الى فريقين ممتازين فقواد أولو عزم و ارادة قوية لكنها وقتية . وقواد ذوو ارادة جمعت بين القوة والدوام وهؤلاء قليلون والفريق الاول اصحاب حدة ونزق وشجاعة باقدام . وهم على الاخص نافعون في تنفيذ ما دبر او كسب الجموع بلا خوف من الخطر وفي جعل الجبان بطلا مغواراً ذلك مثل (ناي) و (مورات) زمن الامبراطورية الاولى ومثل (غاريالدى) في عصرنا هذا فانه كان رجلا هجوما لا ذكاء فيه لكن ذا عزم ومضاء . وبذلك تمكن مع نفر قليل من الاستيلاء على مملكة (نابولى) القديمة على رغم الجيش المنظم الذى كان يحمىها

عزيمة أولئك القواد على قوتها قلما تبقى بعد زوال السبب الذى دعا اليها . وكثيراً ما يبرهن الذين يحملوا بها على ضعف مدبهم متى عادوا الى حياتهم الاعتيادية كالذين ذكرناهم فتراهم لا يستطيعون التصرف فى أصغر الحوادث مع كونهم كانوا ماهرين فى تصرف غيرهم . أولئك قواد لا يمكنهم القيام بوظائفهم الا اذا كانوا أنفسهم مقودين وكان لهم مبيح على الدوام واستولت عليهم يد أو فكر من الافكار

وساروا في طريق مرسوم من قبل

اما الفريق الثانى من القواد وهم ذوو الارادة الثابتة فان
تأثيرهم اعظم بكثير وان كانوا اقل ظهوراً في الشكل وهم الذين نبغ
من بينهم اصحاب الاعمال الكبيرة كالتقيس (بولص) ومحمد
(صلى الله عليه وسلم) و(كريستوف كولومب) و(دولبس).
وسواء كان قواد هذا الفريق من الاذكاء او الاغبياء لهم
الذنياً ابد الآبدى لان الارادة الثابتة التي اتصفوا بها ملكة نادرة
الوجود لكنها قوية يخضع لها كل شيء الا ان الناس لا يدركون
دائماً ما عسى ان يكون من وراء الارادة القوية المستمرة
فالذى يكون من ورأها هو أنه لا شيء يقف أمامها حتى
الطبيعة حتى الآلهة حتى الرجال

وأقرب الامثال على ما تأتى به الادارة القوية الثابتة هو
ذلك الرجل العظيم الذى فصل الدينين . وأنجز عملاً قصرت
عنه همة أكبر الملوك منذ ثلاثة آلاف عام . نعم لم ينجح بعد
ذلك في عمل يضارع هذا العمل . لكن الشيخوخة كانت
قد أدركته وكل شيء ينطفئ أمامها حتى الارادة
من أراد بيان ما تأتى به الارادة وحدها فما عليه الا أن يذكّر

العقبات التي ذلت لفتح قناة السويس . وقد لخص الدكتور
(كز اليس) وهو من شهود الحال في أسطر تسحر الالباب
تاريخ ذلك العمل المجيد تقلا عن صاحبه الذي خلده التاريخ
ذكره فقال « كان - - يعني دابس - - بتص علينا حيناً
فحيناً حوادث القناة مرحلة بعد أخرى : فحكى لنا ملاقى من
الصعاب التي ذللتها . وكيف جعل المستحيل ممكناً وروى
المقاومات التي صادفته . والتحزبات التي اعترضته والياس الذي
كان قد استولى على قلبه والخيبة التي كان يؤوب بها وكيف ان
ذلك كله لم يكن ليثنى عزيمته . ولا ليضعف من ارادته .
وكان يذكر انكسار وهي تحاربه وتحمل عليه الحملة بعد
الحملة . وفرنسا ومصر مترددتان والعميد الفرنسي اشد
الجميع معارضة في البدء بالعمل . حتى أنه لما رأى عدم الامتثال
أثحى على العمال بالعطش فسعى فمنع عنهم الماء القرات . ولا
تنسى ان ناظر البحرية وفريق المهندسين والناس من رجل الجد
وذى الخبرة وصاحب العلم كلهم خصماء . وكلهم مقتنعون
علماً بان الخيبة محتمة يحسبون سيرها ويحددون يوم حلولها
كما ينبأ بالكسوف او الخسوف »

ان الكتاب الذى يضم سيرة أولئك القواد العظام لا
يكون فيه عدد كثير من الاسماء لكن تلك الاسماء هى التى
كانت على هامة أكبر حوادث الحضارة والتاريخ .

٢

وسائل القواد فى التأثير
التوكيد والتكرار والعدوى

إذا ما است الحاجة الى قيادة جماعة وحملها على عمل من
الأعمال كالحراق قصر أو الاستماتة فى الدفاع عن حصن أو
معقل وجب التأثير فيها بخواطر سريعة . والامثلة أشد
ذلك تأثيراً فى نفوسها الا أنه يجب أن تكون هناك أحوال
جعلتها مستعدة للتأثر وأن يكون من يريد تحريكها حازماً
للفوذ وسيأتى الكلام فيه

لكن اذا كان الغرض بث افكار فى عقولها أو معتقدات
فى نفوسها كالأفكار الاشتراكية العصرية فالوسائل غير ما

تقدم . واخص ما يستعمله القواد منها ثلاث : التوكيد .
والتكرار . والعدوى . ولذلك تأثير بطيء إلا أنه متى أثبت
فيها المطلوب لزمها زمناً فارقاً

فاما التوكيد فانه من أهم العوامل لبث الفكر في نفوس
الجماعات متى كان بسيطاً خالياً من التعقل والدليل . وكما
كان التوكيد موجزاً ومجرداً عن كل ماله مسحة الحجة
والتقرير كان عظيم التأثير . هكذا اعتمدت الكتب الدينية
وقوانين جميع القرون على مجرد التوكيد فالتوكيد قيمته يعرفها
أهل السياسة الذين يريدون الدفاع عن عمل سياسى واهل
الصناعات الذين يروجون بضاعتهم بالنشر عنها

الآن قيمة التوكيد هي بدوام تكراره بالالفاظ عينها ما يمكن
ذلك . وأظن ان نابوليون هو القائل بأن أهم صيغ البيان التكرار
فاذا تكرر الشيء رسخ في الازهار رسوخاً تنتهى بقبوله
حقيقة ناصعة .

للتكرار تأثير في عقول المستنيرين وتأثيره اكبر في
عقول الجماعات من باب أولى . والسبب في ذلك كون المكرر
ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التى تختمر فيها اسباب

افعال الانسان . فاذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار وانتهى بتصديق التكرار . وهذا هو السرفى تأثير الاعلانات العجيب . يقرأ الواحد مائة مرة ان احسن الحلوى ما كان من صنع زيد فيخيل اليه من التكرار انه سمع ذلك من مصادر شتى وينتهى باعتقاد صحة الخبر . ويقرأ ألف مرة ان دقيق فلان شفى اعظام القوم من مرض عضال فيميل الى التجربة ان اصيب بمثل المرض المذكور . ويقرأ كل يوم في الصحف ان زيدا من الاندال وعمرأ من الفضلاء فينتهى باعتقاد ذلك الا اذا كان يقرأ دائماً في جريدة أخرى ما يخالفه فانه لا يقل التكرار الا التكرار .

ومتى كثر تكرار أمر واجمع المكررون عليه تولد من عملهم تيار فكري يتلوه ذلك المؤثر العظيم اى العدوى كما وقع ذلك فى بعض المشروعات المالية الشهيرة التى تمكنت أصحابها بثروتهم من كسب كل قادر على معونتهم لان الافكار والمشاعر والتأثرات والمعتقدات عدوى فى الجماعات تماثل فى قوتها عدوى المكروبات . وذلك امر طبيعى لوجوده فى الحيوانات متى اجتمعت فالفرس يقبع فى مربوطه فتفعل بفعله

الخييل كلها . وتجزع الشاة او تضطرب في حركاتها فتفعل
 الغنم مثلاً . كذلك لحركات الانسان في الجماعة عدوى سريعة
 جداً وهذا هو السبب في سرعة انزعاج الكل لفرع الواحد
 بينهم . حتى ان اختلال القوى العقلية معد . وكثير ما هم اطباء
 المجانين الذين جنوا . وشاهد بعضهم نوعاً من الجنون تنتقل
 عدواً من الانسان الى الحيوان .

ولا يجب في العدوى وجود الافراد الكثرين في مكان
 واحد بل يجوز أن تحصل عن بعد من الحوادث التي تتحد
 لاجلها وجهة افكار المتأثرين بها فتجعلهم بذلك كالجماعة لا سيما
 اذا كانت النفوس مهياة من قبل باحد العوامل البعيدة التي
 مر ذكرها . ذلك ما كان من ثورة سنة ١٨٤٨ فانها بدأت في
 باريس وما عمت ان امتدت الى قسم كبير من اوروبا وهزت
 اركان كثير من الممالك

قالوا ان الحب التقليدي تأثيراً كبيراً في الناس وليس التقليد الا
 اثرأ بسيطاً من العدوى . وقد بينت اثر التقليد منذ خمس
 عشرة سنة في غير هذا الكتاب فاكتفي بايراد ما قلته اذ ذاك
 مما شرحة بعد ذلك الكتاب حديثاً

« الرجل شبيه بالحيوان يميل بطبعه الى التقليد . فالتقليد من حاجاته على شرط سهولته . وهذه الحاجة هي التي تجعل للبديء (المودة) تأثيراً كبيراً . والقليل من الناس لا يقاد سواء كان ذلك في الافكار او الاراء أو الادبيات او اللباس لان الذي تقاد به الجماعات هو المثال لا البرهان . ولكل عصر اناس قليل عددهم يستحدثون البديء فيقدم ابناء عصرهم فيها . وانما يشترط ان لا يتعد المبتدع كثيراً عن المألوف حتى لا يصعب التقليد فيضعف تأثير المبتدع ولذلك لم يكن للذين فاقوا عصرهم من كبار الرجال تأثير في قومهم الا نادراً بعد البون بينهما . ومن هنا قل تأثير الاوروبي في الشرق مع ما للاول من المزايا المدنية لان الخلف شديد بين الرجلين

بتشابه اهل كل عصر في كل امة بتأثير الزمن وتبادل التقليد حتى الذين يخيل انهم متفاوتون كالحكماء والعلماء والادباء فانك ترى على افكارهم وما يكتبون صبغة عشيرة واحدة تدلك في الحال على انهم ابناء عصر واحد . ولا يلزم ان يطول الحديث مع رجل لمعرفة الدرس الذي يصبوا اليه . والعمل

الذى اعتاده . والبيئة التى يختلف إليها «^(١)

ويبلغ تأثير العدوى الى حد أنه يتعدى توحيد الافكار الى توحيد كيفية التأثر بالحوادث . فالعدوى شئ الذى تنفر من الشئ فى وقت من الاوقات ثم ترغب فيه ثابته من كان اشد الناس بغضاً له كما وقع فى (تائها وزر)^(٢)

والعدوى هى الاصل فى انتشار افكار الجماعات ومعتقداتها لا الحجب والبراهين فى الحجة تتولد افكار الفعلة من طريق التوكيد والتكرار والعدوى . وقليل ما تولدت افكار الجماعات فى كل عصر من غير هذا الطريق . وقد اصاب (رنان)^(٣) اذ شبه مؤسسى النصرانية الاولين

(١) راجع كتاب الانسان والبيئة الاجتماعية لمؤلفه جوستاف

لوبون سنة ١٨٨١ جزء ٢ ص ١١٦

(٢) رواية وضعها وجزئ نفر الناس منها اولاً ثم أعجبوا بها

(٣) حكيم مشهور بفرنسا فى اواخر القرن الماضى وكان

قنيسا فى بدا أمره وهو صاحب الكتاب المعروف المسمى (حياة المسيح)

« بالفعلة الاشتراكيين الذين ينشرون مبادئهم من خجارة الى اخرى » وقال (فولتير) ^(١) قبل ذلك بالنسبة للديانة المسيحية « انها استمرت لا يدين بها الا اخس الناس مدة مائة عام »
ويؤخذ من الامثلة المتقدمة ان العدوى في مثل تلك الاحوال تبتدىء في الطبقات النازلة ثم تصعد منها الى الطبقات الرفيعة ونحن الآن نشاهد هذه الظاهرة في مذهب الاشتراكيين لانه بدأ يمتد بين الذين يخال انهم سيكونون اول ضحاياه . لكن قوة العدوى شديدة بحيث يضعف امامها اثر المنافع الذاتية

هذا هو السبب في ان الفكر اذا انتشر بين طبقات العامة لا بد له من الانتشار ايضاً بين بقية طبقات الامة الى ارفعها وان كان فاسداً بعيداً عن الصواب . وهنا رد فعل يشرب من الطبقات الدنيا الى الطبقات العليا . وذلك من اغرب المشاهدات الاجتماعية لان الافكار العامة لا تأتيم دائماً الا من افكار عالية تخلف عنها اثرها في البيئة التي ولدت فيها فيتناولها قائلو الجماعة بعد ان تتمكن منهم ويشوهونها ثم

يؤلفون فئة تزيد في تغييرها . ثم يشونها في الجماعات وهذه
تضاعف التغيير . ثم تصير حقيقة عند العامة وبعد ذلك تصعد
الى منبعها فتتمكن من نفوس الطبقة العالية . وعلى هذا يكون
العقل هو الذى يحكم الدنيا ولكن من بعد باعد . فقد تفنى
عظام الحكماء الذين يوجدون الافكار وتصير تراباً ويمر
عليها كذلك الزمن الطويل قبل ان تسود الافكار التى
اوجدوها



النفوذ

مما يساعد كثيراً على قوة تأثير الافكار التى بثت فى
الجماعات بواسطة التوكيد والتكرار والعدوى كونها تنتجى
باكتساب قوة خفية تسمى النفوذ
للفنوذ قوة لا تقف امامها قوة اخرى . وكل سلطة سادت
فى الوجود سواء كانت سلطة الافكار او الرجال فهو السبب فى
قيامها وسيادتها . والنفوذ كلمة يعرف الجميع معناها ولكنها تستعمل
استعمالات كثيرة . ولذلك لم يكن من السهل تعريفها . وقد

يجتمع النفوذ مع بعض المشاعر كالأعجاب او الرهبة . وربما كان الاثنان اصلا له في احوال كثيرة . الا أنه قد يوجد بدونهما . مثل نفوذ الذين ماتوا فانه لا محل للخوف منهم . ودليل ذلك ان اكثر من نشعر بنفوذه فيناهم من الذين ارتحلوا عن هذه الدار ولم نعد نخاف منهم مثل الاسكندر وقيصر ومحمد (صلى الله عليه وسلم) وبوذا . كذلك لبعض الكائنات او البدع تأثير في النفوس وان كان مما لا يعجب به كالآلة المنغولين الذين يوجدون في معابد الهند التي تحت سطح الارض

ويمكن ان يقال ان النفوذ عبارة عن سلطة رجل او عمل او فكر يستولى بها على العقول . وتلك السلطة تعطل ملكة النقد فتملأ النفس اندهاشاً واحتراماً . ولا يمكن تفسير الشعور الذي يحدث منه كما هو الشأن في كل شعور . الا انه لا بد ان يكون من جنس الاجتذاب الذي يحدث في نفس الشخص النائم نوما مغناطيسياً . والنفوذ اعظم مقوم لكل سيادة في العالم اذ لولا هو ما ساد الآلهة والملوك والنساء ثم النفوذ انواع يمكن حصرها في قسمين . النفوذ المكتسب

والنفوذ الشخصى . فالاول هو الذى يرجع لاسم صاحبه او ثروته او شهرته . وقد يكون منفصلاً عن النفوذ الشخصى واما النفوذ الشخصى فهو امر ذاتى قد يجتمع مع الشهرة والمجد والثروة ويشتد بانضمامها اليه . وقد يكون وحده

واكثر النوعين شيوعاً هو النفوذ المكتسب او العرضى فهو يثبت للرجل بمجرد كونه يشغل مركزاً او يملك ثروة او يتحلى ببعض الالتفات وان لم يكن له قيمة من نفسه فلا يجدى فى لباسه وللقاضى فى زيه الرسمى نفوذ ما ارتديا لباسهما . ولذلك قال (باسكال) بضرورة الجبة والشعر للقضاة^(١)

(١) للالتفات والايؤسة والاشايات تأثير فى الجماعات فى كل بلد حتى التى بلغ فيها استقلال الفرد وحرية ارفع الدرجات . واتى أقل هنا جملة غريبة من كتاب حديث نشره أحد السياح يائاً النفوذ بعض العضاء فى انكلترة قال « لاحظت مراراً ان اجتماع احد الحائزين لقب (بير) مع أكبرهم عقلاً وتميزاً يحدث فى نفوس هؤلاء شعوراً يكاد يكون سكراناً من نوع خاص . ففى كان له من اليسار ما يرتكز عليه لقبه فهم يحبونه قبل ان يروه . فإذا التقوا به تلقوا منه كل شيء فرحين . تحمر وجوههم سروراً بنمسه . فإذا خاطبهم كتموا جذلهم فيشتد احمرار الوجنتين . ويظهر فى العينين بريق غير معهود . اللوردية

ولولا الحجة والشعر لفقدوا ثلاثة ارباع نفوذهم ولا يزال
الاشتراكي كيفما اشتد جفاؤه يشعر بشيء من الاضطراب
اذا رأى أميراً أو عظيماً من الشرفاء ويكفي ان يكون هذا
اللقب لرجل ليتمكن من النصب على التاجر فيما يشاء

والنفوذ الذي اشرنا اليه خاص بالانسان . وبجانبه يوجد
النفوذ الذي يكون للافكار او الادبيات او الفنيات وغير
ذلك وهو في غالب الاحوال ناشئ من التكرار وما التاريخ
وبالاخص تاريخ الاداب والفنون الا تكرر رأى سبق ولم
يعارضه احد فيؤول الامر الى ان كل واحد يكرر ما قرأ
في المدرسة ووجدت بذلك اسما واشياء لا يجرأ احد على
الحديث فيها فما لا شبهة فيه ان مطالعة « هومير » تورث
قراء هذا الزمان مللاً شديداً الا انه لا يجرأ احد على القول
به و« البارتيون » اصبح اليوم خرابة تراكت فيها الانقاض

في دمهم كالرقص عند الاندلس . والموسيقى عند الالمانى والثورة عند
الفرنساوى . شهوتهم فى الخيل وشكبير اقل من شهوتهم فى الشرفاء
وارتياحهم وتبهم لهؤلاء اكبر . كتاب تلك الرتبة عندهم فى رواج
وهو كالثورة موجود عند كل انسان

ولا فائدة منها . الا أن نفوذه لا يزال قويا حتى انهم لا يصرونه
كما هو الآن بل كما كان في القدم محفوفا بابايته وفخامته فمن
خواص النفوذ ان لا يجعل الانسان يرى الشيء على حقيقته
، ان يعطل فيه ملكة النقد والتمييز

تحتاج الجماعات دائماً والافراد غالباً الى آراء حاضرة في
جميع المباحث وانتشار هذه الآراء غير مرتبط بما اشتملت عليه
من الصواب او الخطأ بل مرجعه ماله من النفوذ

نتقل الآن الى النفوذ الشخصي وهو يختلف مع النفوذ
المكتسب لانه صفة تنفرد عن كل لقب وكل وظيفة يتصف
بها افراد معدودون فيبهرون بها نفوس من حولهم ويجذبونها
اليهم كالمغناطيس وان ساووهم في المنزلة بين أمتهم ولم يكن
لهم شيء من وسائل التسلط والغلبة ويثبون فيهم افكارهم
وينقلون اليهم مشاعرهم . وأولئك يطيعون امرهم كما يطيع
الحيوان المفترس أو امر مروضه . وان كان في استطاعته اقتراسه
بالسهولة لو اراد

كان هذا النفوذ الكبير لجميع العظماء من قواد الجماعات
مثل بوذا وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وجان دارك

ونابليون. وهو السبب في تمكنهم فانما تسلط الآلهة والابطال
والمذاهب تسلطاً لادخول للمناظرة فيه . بل ذلك السلطان
يزول اذا بحث فيه

كان اولئك العظماء ذوى قوة اخاذة قبل اشهارهم بتلك
القوة هي السبب في شهرتهم . فلما بلغ نابليون مثلاً دروة
المعالي كان له نفوذ شامل بمقتضى منعته وسلطانه . الا انه
كان له شئ منه يوم لم يكن له شئ من السلطة ولم يكن
معروفا لى احد فلما ترقى الى رتبة لواء (جنرال) وكان لا
يزال مجبولا عهد اليه من كان مستصفاً له بقيادة الجيش
الفرنساوى المحارب فى بلاد ايطاليا فوجد نفسه بين لوائت
عتاة اشداء وكانوا قد اجمعوا امرهم على الاغلاظ له فى المقابلة
لاعتبارهم اياه دخيلا بينهم . ولكنه ما عتم ان اخذ بزمامهم
من اول التقائه بهم بلا كلام ولا اشارة ولا وعيد بل باول
نظرة من ذلك الذى قدر له ان يكون من العظماء . واليك
كيف كان اللقاء

« جاء قواد الفرق الى المعسكر العام وقلوبهم نافرة من هذا
الرجل حديث النعمة وكان بينهم اللواء (اوجيرو) وهو

جندى عظيم الجثة غليظ الطبع . مختال بطول نجاده فخور
 بشجاعته وكان ممتعاً ينساب بالشتائم على نابليون من يوم
 ن سمع به وعرف اوصافه فسماه صنيعة (باراس) ولواء
 الشارع ونعته بالذب لانه كان يحب التفكير منعزلاً وذاسمة
 صغيرة ومشهوراً بالرياضى الصغير وبأخيل فلما اكتبوا ادخلوهم
 غرفة الاستقبال فابطأ نابليون فى الخروج اليهم وبعد زمن
 بان لهم متقلداً سيفه ثم اتشح بردائه واخبرهم بنياته وانفذ
 اليهم اوامره واثار اليهم بالانصراف اما (اوجيرو) فقد تولد
 الصمت ولم يرجع الى نفسه الا بعد ان خرج فجعل يسب كما
 كان يشتم من قبل ولكنه اقر مع زميله (مسينا) ان هذا
 القائد الصغير اوقع الرعب فى قلبه وانه حائر فى التأثير الذى
 اخذه به اول ما وقع بصرد عليه »

صار نابليون من كبار الرجال فزاد تفوقه بمقدار ما اوتى
 من المجد واصبح فى اعين الجماعات مساوياً للآلهة عند المتعبدين
 اتفق ان القائد (فاندام) وكان جندياً ثوريا خشن الطباع
 جاف الاخلاق اكثر من زميله « اوجيرو » قصد ذات يوم
 سراى تولرى حيث نابليون وذلك سنة ١٨١٥ ومعه القائد

(اورنانو) فقال الاول والثاني وهما صاعدان فوق سلم القصر يحاثنه عن نابليون « ايها الصديق ان لذلك الرجل الشيطان في نفسه تأثيراً لست ادرك كنهه حتى انك لتراني مع كوني لا اخاف الله ولا الشيطان اذا اقتربت منه تأخذني الرعدة كالطفل الصغير ويخيل الي انه قادر على ادخال في سم الخياط واحراق بالنار » وقد كان لنابليون مثل ذلك التأثير في جميع من يقترب منه (١)

(١) وكان هو يعلم ذلك من نفسه ويعلم انه يزيد فيه بمعاملته أكبر من حوله من الرجال معاملة لا تليق بعلاف الخيل على أنه كان من بينهم كثيرون من رجال الثورة الذين ازعجوا أوروبا . وروايت عصره مشحونة بالامثلة في هذا الموضوع . فمنها انه انتهر ذات يوم (بونيو) وسط مجلس شورى الدولة ونعته بخادم قليل التربية . فارتعد المستنوم . فاقترب منه نابليون وقال له « أتاب اليك رشداً ايها الاباه الكبير » . وكان بونيو واقفاً على قدميه كالساود قنحني ملياً ضد الصغير يده وقبض على اذن الكبير . قال (بونيو) « علامة رضا تسكر من وجهت اليه وصفاء سيد يذلف » . هذه الحوادث وامثالها تدل على ما يقع في النفوس اذ يجعلها تخضع الذلة والصغار . وتبين

هذا التأثير الذي فاق حصد الاعجاب يبين لنا السبب في الاستقبال العظيم الذي قوبل به نابليون يوم عودته من جزيرة «الب» وكيف. انه افتتح ثمانية بلا امهال قلوب الامة الفرنسية وهو أعزل وليس معه معين وامامه جيوش تلك الامة المنظمة وكان الناس يظنون انها سئمت من جبروته عليها. حلف القواد الذين ارسلوا للقبض عليه ان يفعلوا فلن تكن الا نظرة منه اخضعتهم وهم صامتون وكتب القائد (ولسلي) في ذلك يقول « نزل نابليون من السفينة الى البر بالاد الفرنسية وليس معه الا قليل من رجاله الخصوصيين كانه غار من جزيرة «الب» الصغيرة التي كانت بكل ما يقدر ان يتسلط عليه فاثبت بضعة اسابيع حتى قلب نظام الادارة الفرنسية كلها على مرأى من ملكها الشرعى وذلك من غير ان يريق قطرة دم لواحد من اهلها بل بمحض تفوذه الشخصى مما لم يسبق له مثيل في الدنيا واعجب منه ما كان له من التأثير في حلفائه اثناء هذه الحركة الطويلة التي ختمت فيها حياته العمومية

درجة احتقار ذلك الجبار العظيم ان حوله فهو الذي كان يقول عنهم انهم لا يصلحون الا حشوا للمدافع

فانه كان يلجئهم الى تتبع خطاه حتى يباد يسحقهم لولا المقادير
 مات نابليون ولكن نفوذه بقى حياً بعده او صار ينمو
 وتأثيره هذا هو الذى حمل الناس على الاعتراف بابن اخته
 امبراطوراً وكان من المستضعفين وهانحن اولاء اليوم نشهد ظهور
 اقايصيه من جديد وذلك برهان على ان خياله لا يزال قويا
 فى النفوس . اسىء معاملة الرجال كما تشاء واقتلهم الوفا الوفا
 وانزل على البلاد غارة وغارة انك فى حل مما تصنع مادمت
 ذا نفوذ وكان فيك من الذكاء ما تحمى به ذاك النفوذ

رب قائل ولكنك قد اخترت التمثيل للنفوذ با كبر مثال
 عزيز المثال والحق انى اخترته عمداً لا بين للقراء كيف ثبتت
 اركان الديانات الكبر . وقامت المذاهب العظام . وانشئت
 الممالك الواسعة اذ لولا تأثير النفوذ فى الجماعات ما كنا
 لذلك مدركين

لا يقوم النفوذ بالتأثير الشخصى والفخار العسكرية
 والرهبة الدينية دون سواها . بل يجوز ان يتسبب عن امر
 اصغر منها بكثير ويكون مع ذلك شديداً . ولنا من القرن
 الحاضر امثلة كثيرة اكبرها مثال سيتوارثه السلف عن

خلف جيلا بعد جيل . وهو الذى نرد فى تاريخ ذلك الرجل
 العظيم الذى غير وجه البسيطة كما غير طرق المواصلات
 التجارية بين الامم يوم ان فصل بين القارتين . وقد كان
 السبب فى نجاحه ما اوتيته من قوة الارادة . ولا تنس تأثيره
 الذى كان ينفذه الى نفوس مخالطيه . كان الناس كلهم اضداداً
 له فاذا ما وجد فيهم انقلبوا برأيه معجيين . واذا خاطبهم
 اسكرتهم عدوبة القول فاصبحوا بعد النفور احبة صادقين
 ولقد انفرد الانكليز بالشدة فى معارضته فلما ظهر فى بلادهم
 صاروا له اعداءاً مخلصين . ثم مرَّ بمدينة (سوثبتون)
 فدقوا النواقيس فرحاً بمقدمه وهم يفكرون الآن فى اقامة
 تمثال يخلد ذكره دهر الدهرين . قامت فى وجهه الحوائش
 من مادة ورجال وماء وصخور ورمال فقهر الكل وسخر فلما فاز
 اصبح لا يؤمن بالصعاب ولا يخشى الصدام واراد ان يبدأ
 عملاً جديداً ففكر فى الذهاب من السويس الى باناما . وشرع
 فى العمل بالوسائل نفسها لكن الشيخوخة كانت قد اقبلت
 واليقين لا يزحزح الجبال الا اذا لم تتصل بذروتها السماء
 هنالك استمضى الجبل . وحمل القضاء . ونزلت الكارثة فهدمت

صرح مجد اقامه ذلك البطل العظيم ان في حياته لرشدًا كيف
يحيا النفوذ وكيف يموت. ابلغ الرجل في المجد ارفع منزلة رقيقها
كبار الرجال. وانزله قضاء امته الى اخس دركات المجرمين
فلما مات، رت جنازته كأنها تشيع نفسها بين الجماهير وهم عنه
لاهون وانما ملوك الدول الاجنبية هم الذين ذكروه يوم مماته
فاعربوا عن اعجابهم به كما يقع لاعظم الرجال^(١)

(١) اذ مات دولبس نشرت جريدة «نوى فراى بريسه» النمساوية بمدينة
« فينا » مقالة في مآل ذلك الرجل جاءت فيها بنحو اطرح جديرة بالامعان
ولذلك تنقلها للقراء قالت « لم يبق موجب للعجب من مآل كريستوف
كوباو (١) الذي يثير الحزن والاسى بعد الحكم على « فرديناند
دولبس » لانه اذا كان فرديناند دولبس نصابا قتل أمل من الآمال
الكبار جرم عظيم ولو كان دولبس من أهل العصور الاولى لتوجه
اهل زمانه بايها تاج من المجد والفخار . ولسقوه الرحيق في حجرة
آلهتهم التي كانوا يعبدون لانه غير وجه الارض . واتى من الاعمال ما
يدعو الى تحسين الخلق في الوجود

خلد رئيس محكمة الاستئناف اسمه في النتائج بحكمه على دولبس

(١) هو الذي اكتشف امرىكا

الامثلة التي قدمها تعد اقصى ما يبلغ النفوذ اليه . فاذا

لأن الامم ذتفك تسأل عن اسم الذي اجترأ غير هياب فحط من قدر عصره . والبس طاقة المجرمين رأس شيخ كانت حياته مجداً وبخاراً لمعاصره

« الا فليكفوا منه اليوم عن ذكر العدااة بين ربوع تمكنت البغضاء من نفوس صغار الموظفين في مصالحها فحقنوا على كل من قام بعمل مجيد . الا ان الامم في حاجة الى رجال ذوى عزم واقدام يثقون بانفسهم ويقتحمون كل صعب وهم لذواتهم غير ملتفتين الا انه لا حذر لتابع اذ لو كان حذراً ما امكنه ان يرقى هامة العصر الذي هو فيه

« ذاق فرديناند دولبس حلاوة المجد وغضاضة الجدل . السويس وبناما . وهنا يحق للنفس ان تغضب من اداب الفوز والانتصار فلما اناح دولبس وجع بين البحرين جاءته الملوك والامراء تهديه التهانى . واليوم اما ادركه الفشل امام صرخور (كورديلير) كان نصاباً حقيراً . ان هذه الاحرب تقوم بين الضبقات فى الامم يثيرها حقد الموظفين الذين افوا المكاتب ولاذوا بتنانون العقوبات انتقاما ممن يصبو الى المجد والمعالى . ولقد يحار مشرعو هذه العصور امام تلك الافكار العالية التى يولدها النبغاء . والعامه فى ذلك اقل فهما وادنى ادراكا . لكن من السهل على الافوكاتو العمومى اقامة البرهان على ان ستانلى من القتلة وان دولبس من الخادعين والناس من يلق خيراً قائلون له مايشهى ولأم الخطىء الهبل

أردت ان أترف. ماهية النفوذ مفصلاً وجب ان تضع تلك
 الامثلة في اعلى السلم ثم تتدرج من منشئ الديانات ومقيمي
 الممالك حتى تصل الى الرجل البسيط الذي يحاول ان يهر
 جاره بثوب جديد او وسام

وبين هاتين النهايتين درجات كثيرة من النفوذ تراها
 في جميع اركان المدنية من علوم وفنون واداب . وترى
 النفوذ اول مؤثر في تحصيل الاعتقاد . فالناس يقلدون
 ذا النفوذ عمداً او بحض الفطرة سواء كان انساناً او رايّاً او
 شيئاً آخر . ويتولد في اهل عصر من قلده طريقة مخصوصة
 يحسون بها ويترجمون عما به يشعرون . ويكون التقليد في الغالب
 فطرياً لذلك يبلغ حد الكمال والاتقان . ومن ذلك ان مصوري
 هذه الايام اخذوا يعيدون رسم الصور ذات الالوان الباهتة
 والازياء العابسة التي تمثل انساناً من اهل الفطرة الاولى . وهم
 لا يشعرون من اين جاءهم هذا الميل ويظنون انهم هم الذين
 اوجدوه لانفسهم وفاتهم انه صنع احد كبار المصورين ولولا
 ذلك لاستمروا على النظر الى تلك الصور من جهة سذاجتها
 وانحطاط درجتها في فن التصوير . ومنهم من قلدوا احد

المشاهير فجعلوا يكثرون في مصوراتهم من الظلال البنفسجية اللون مع انهم لا يرون هذا اللون منتشراً في الطبيعة اكثر مما كان يراه غيرهم منذ خمسين عاماً . والواقع انهم متأثرون بفعل استاذ من عظماء اساتذة الفن كانت له في ذلك التلوين شهرة فائقة وان كان هذا الاختراع مما يعد غريباً . وامثال المصورين كثيرة في جميع عناصر المدينة

ويؤخذ مما تقدم ان النفوذ يتكون بعوامل شتى أهمها النجاح . فمتى نجح الأمر في امره دانت له الناس وبطلت معارضتهم له وكذلك الفكر اذا تمكن من العقول والدليل على ان النجاح اقوى عامل في تحصيل النفوذ ان هذا يذهب بذهاب ذلك . فالناس يهللون في المساء لبطل كلل بالنصر

ويسخرون منه في الصباح اذا قلب له الزمان ظهر المحزن وبقدر النفوذ يكون انعكاس الرأي في صاحبه اذا تولته الخيبة فتراد الجماعة من اندادها فتميل الى الانتقام منه جزاء ذلها امام سلطانه الذي لم تعد تعترف له بشيء منه . هكذا كان نفوذ روبسيير شديداً يوم كان يقطع رؤوس زملائه ورؤوس الكثير من معاصريه . فلما ضاعت منه بعض الاصوات

وقت الانتخاب وسقط من مركزه نازقه النفوذ لساعته .
 وشيعته الجماعة التي المشتقة وهي تتميز من الغيظ كما كانت
 تشيع بالامس فدجاياه . ومن عبد الآلهة وزاغ عنها كاد يقتله
 الغضب وهو يحلم الاصنام

يذهب الخذلان بالنفوذ فجأة وقد يذهب النفوذ بالبحث
 فيه . لكن ذلك لا يتم الا بالتدريج . وهذه الوسيلة هي
 اضمن الوسائل لاضاعته وما من اله او انسان دام له النفوذ
 زناً طويلاً الا كان لا يحتمل المناظرة فيه . انما تعجب الجماعات
 عن بترفع عن مقامها

لفصل الرابع

حدود نقد معتقدات الجماعات وافكارها

—

(١) في المعتقدات الثابتة — في عدم تقلب بعض المعتقدات العامة — في ان هذه المعتقدات هي التي تهتدى بها المدينة — في صعوبة ازلتها — في ان التعب احد فضائل الامم من بعض الوجوه — في ان بطلان معتقد عقلا لا يؤثر في انتشاره ودرسه

(٢) — فيما للجماعات من الافكار غير الثابتة — في ان الافكار التي لا ترجع الى المعتقدات العامة كثيرة التغير — في ان تغيير المعتقدات والافكار يظهر في أقل من قرن واحد — في حدود هذا التغير الحقيقية — فيما يكون فيه التغير — في ان زوال المعتقدات العامة في العصر الحاضر وشدة انتشار المضبوط مما يزيد في كثرة تغير الافكار — في ان افكار الجماعات تميل الى عدم الاهتمام بكثير من الاحوال — في ضعف الحكومات عن قيادة الافكار كما في الزمن السابق — في أن تشعب الافكار في الزمن الحاضر يمنع من تساطعها ناطق القاهر المستبد



في المعتقدات الثابتة

يرجع بين الخواص التشريحية اى الجمالية والخواص النفسية تشابه تام . فمن الاولى ماهو ثابت اولا يتغير الا ببطء شديد بحيث يلزم لتغييره زمن كالذى بيننا وبين الطوفان . ومنها ما هو متقلب يتغير بالسهولة من أثر البيئة أو المربي . وقد يبلغ التغير درجة تختفى فيها الخواص الاصلية على غير المتأمل

وكذلك الحال فى الخواص الأدبية . فمن اخلاق الشعب ماهو ثابت لا يغيره كرور الايام . ومنها ما هو متقلب يتغير . ومن نعم النظر فى معتقدات الامم وافكارها يرى دائماً فى اخلاقها اصلاً ثابتاً ترسب فوقه افكار منقلبة كما ترسب الرمال فوق الصخر

وعليه تنقسم معتقدات الجماعات الى قسمين الأول المعتقدات الدائمة التى تعمر عدة قرون والىها ترجع مدنية

الأمة كلها . الأفطار التي سادت أيام حكم الشرفاء
 والمعتقدات المسيحية وافكار الإصلاح (البروتستانتية)
 وكالجنسية . والافكار الديوقراطية والاجتماعية في ايامنا
 والقسم الثاني يشمل الافكار الوفتية المتغيرة . وهي مشتقة في
 الغالب من الافكار العامة تظهر وتغيب في الجبل الواحد
 كالنظريات التي تسترشد بها الفنون والادب في اوقات
 معلومة ومذهب حرية الكتابة (الانشاء)^(١) ومذهب
 الطبيعيين ومذهب الصوفية . وهكذا . وتلك الافكار كلها
 سطحية سريعة التغير كالبدىء (المودة) فثليا كمثل الامواج
 الصغيرة التي تظهر وتختفي من دون انقطاع على سطح بحيرة
 عميقة

المعتقدات الكبيرة العامة قليلة جدا . وفيها يستوطنها في
 كل امة ذات تاريخ يتخلل اعظم دور في حياتها . ولاقوام
 للمدنية بدونها

(١) هو مذهب يقول أصحابه بعدم وجوب التمسك دائما بآجور

عابه السلف في فن التحرير من التزام قواعد وتراكم مخصوصة

ومن السهل جداً إيجاد فكر وفتى في عقول الجماعات لكن
 من الصعب جداً تقرير معتقد دائم في نفوسها كما انه من
 الصعب جداً هدم اعتقاد تمكن منها . ولا سبيل الى التغيير
 غالباً الا بالثورات العنيفة بل ان الثورة لا تؤدي الى ذلك الا
 اذا اضحل قلبها اثر المعتقد في النفوس . فهي تصلح لكسح تلك
 البقية التي تكاد تكون في حكم المهمل لولا ان سلطان العادة
 يتنع من الاقلاع عنها بالمرّة . فالثورة التي تقبل عبارة عن
 معتقد يدبر

ومن السهل تجديد اليوم الذي يندك فيه احد المعتقدات
 الكبرى ذلك هو يوم ياخذ الناس بالبحث في قيمة هذا
 الاعتماد لان كل اعتقاد عام يكاد يكون امراً فرضياً . فهو لا
 يحتمل البقاء الا بشرط عدم البحث فيه

غير ان النظامات التي اسست على اعتقاد عام تستمر حافظة
 لقوتها ولا تتحلل الا ببطء . وان ترزع ذلك الاعتقاد فاذا تم
 له الهدم تساقط مابنى عليه

ومما قضت به سنة الوجود حتى الآن ان كل امة اصبحت
 متمكنة من تغيير معتقداتها لا بد لها عاجلاً من تغيير جميع

اركان حضارتها فهي تغير . تبديل فيها - حتى تهتدى الى معتقد جديد عام ترضاه النفوس وتعيش في فوضى حتى تعثر عليه فالمعتقدات العامة هي دعائم الحضارة التي لا بد منها وهي التي ترسم للافكار طريقها الذي تسير فيه وهي التي توحى بالايان وتفرض الواجبات

ادركت الائم على الدوام فائدة المعتقدات العامة وفطنت الى ان يوم زوالها هو يوم بدء سقوطها . عبد الرومانيون مدينة روما عبادة المتعصين فسادوا على الدنيا اجمع . فلما انطفأ هذا الاعتقاد ماتت مدينة روما . واستمر المتبررون الذين خربوا ملكها على همجيتهم حتى اذا رسخت بينهم بعض المعتقدات العامة وجد فيهم شيء من الامتزاج والتآلف وخرجوا من الفوضى

وعليه تعذر الائم في دفاعها المستميت عن معتقداتها . اذ الحقيقة ان هذا التعصب هو ارقى الفضائل في حياة الائم وان كان مذموماً جداً من الجهة الفلسفية

ما احرق اهل القرون الوسطى الالف من الناس الا للدفاع عن معتقد عام موجود أو لادخال معتقد عام جديد في النفوس ومما مات

الكثير من المحترعين والمبتدعين والاسى ملء قلوبهم الا لانهم لم ينالوا قسطاً من العذاب لاجل تلك المعتقدات وما اضطربت الدنيا المرة بعد المرة الا للدفاع عنها . وما مات الملايين في ساحة الرغى الا بسببها . وكذلك يكون في مستقبل الايام

من الصعب غرس معتقد جديد لكنه بعد ان يتمكن من النفس يدوم شديد التأثير زمناً طويلاً وكيفما كان خطأ من الجهة الفلسفية فانه يتسلط على أكبر ذوى الالباب . بدليل ان الامم الاوروبية دانت لاقاصيص واعتقدتها حقائق لا شك فيها خمسة عشر قرناً . والمتأمل في تلك الاقاصيص براها أحق بالقوم الهمج^(١) كاقاصيص (مولوخ)^(٢) هكذا بقي العالم قروناً وهو لا يفقه تلك الخرافة الرائعة القائلة بان

(١) أقول الهمج من حيث الفاسفة والنظر اما عملاً فقد اوجدت تلك الاقاصيص مدنية جديدة صرفة . وأبصر الناس من ورائها مدى خمسة عشر قرناً هاتيك الجنان دانية القطوف واحيت قلوبهم بالآمال مما لم يعودوا يندوقون حلاوته الآن

(٢) اله عبده الكلدانيون واهل قريطاجه وكانوا يجرقون الاطفال قرباناً له ويعتقدون انه يمد ذراعيه دائماً ليلتهاها (م)

الها اذاق ابنه عذاب الهون انتقاما ممن عصاه من خلقه . ولم
يجل بخاطر اعظم الرجال عقلا وادراكا مثل (غاليله)
(نيوتن) و (لا بينير) انه يجوز النظر في حقيقة هذه
الافكار . ذلك مما يرهن على قوة استيلاء المعتقدات العامة
وسحرها النفوس . ولكنه يرهن ايضا على ان العقل محدود
بحدود مخجلة

ومتى تمكنت عقيدة جديدة من نفوس الجماعات اصبحت
مصدر نظاماتها ومرجع فنونها وقاعدة سيرها . هنالك يستحكي
سلطانها وتم غلبتها . فترى أهل العزائم لا يفكرون الا في
تحقيقها . وواضعي القوانين الا في الاخذ بها . والفلاسفة
وأرباب الفنون والكتاب الا في تمثيلها على صور شئ

وقد يتولد عن العقيدة العامة افكار وقتية ثانوية الا انها
تكون على الدوام مصبوغة بصبغتها فقد تولدت حضارة
المصريين وحضارة الاوروبيين في القرون الوسطى وحضارة
المسلمين من عقائد دينية قليلة العدد طبعت كل عقيدة منها
خاتمها على كل جزئية من جزئيات حضارتها وسهلت بذلك
معرفة

من هذا يتبين ان الفضل للعقائد العامة في احاطة أهل كل عصر بتقاليد وافكار وعادات تقيدوا بها وصاروا متشابهين والذي يهذى الناس في سيرهم انما هي الافكار والعادات المتولدة عن تلك العقائد في الحاكمة على اعمالنا جليلها وصغيرها وكيفما سمت مداركنا فاننا لا نفكر في اخلاص منها . اذ الاستبداد الحقيقي هو الذي يدخل على النفوس من طريق الفرائز . لانه هو الذي لا يتمكن المرء من محاربته . فلقد كان (تيير) و (جنك-حان) و (نابوليون) جبارين مستبدين ولكن استثار « موسى » و « بوذا » و « عيسى » و « محمد » صلى الله عليه وسلم و « لوتر » وهم في القبور أشد وأبقى . ان مكيدة قد تبید سطوة الجبار ولكن ماذا ينفع الكيد في عقيدة استقرت في النفوس . قامت حرب عنيفة بين الثورة الفرنسية والدين المسيحي وكانت الجماعات في ظواهر الامر من جانب الاولى واستعمل الثوار من وسائل القهر والاضطهاد ما استعمله الاندلسيون والثورة هي التي دارت عليها الدائرة انما الجبارة الذين سادوا في البشر هم خيال الاموات أو الاوهام التي اوجدتها الامم لنفسها

ما كان بطلان العقائد العامة من حيث النزول والفلسفة مانعاً
 من استغبارها وقد يظهر أن فوزها مشروط باحتوائها على
 شيء من الجزء الخفي وإذا كانت مذاهب الاشتراكيين في
 العصر الحاضر واضحة الضعف فليس ضعفها هذا هو الذي
 يكون سبباً في عدم استيلائها على نفوس الجماعات . وإنما
 السبب في انحطاطها عن جميع العقائد الدينية راجع إلى أن
 السعادة التي وعدت بها الديانات لا تتحقق إلا في الدار الباقية
 فلم يكن لأحد أن يمارى في تحقيقها وأما السعادة التي وعد
 بها مذهب الاشتراكيين فإنها يجب أن تتحقق في الحياة
 الدنيا ومتى شرع في ذلك بان أن الوعد خلب وسقط بذلك
 نفوذ العقيدة الجديدة وعليه فلا يعظم سلطان هذه العقيدة
 أن تم لها الظفر إلا إلى اليوم الذي يبدأ فيه بتحقيقها وذلك
 هو السبب في أن هذا الدين الجديد له من قوة التخريب
 ما كان لغيره من الأديان التي سبقته ولكنه لن يكون له ما كان
 لها من قوة النبا

٢

فيما للجماعات من الافكار غير الثابتة

يوجد فوق سطح العقائد الثابتة التي شرحنا تأثيرها العظيم طبقة من الافكار والاراء التي تتجدد وتزول دائماً . فمنها ما يدوم يوماً واحداً . وأهمها لا يدوم أكثر من الجيل الذي نشأ فيه . وقد قدمنا ان التغير الذي يطرأ على هذه الافكار صوري أكثر مما هو حقيقي في الغالب . وانها مصبوعة على الدوام بصبغة الشعب الذي توجد فيه . ومثلنا لذلك بنظام بلادنا السياسي فأوضحنا ان أشد المذاهب خلفاً من ملوكيين وجمهوريين وامبراطوريين واشتراكيين وهكذا يشتركون فيما يرمي جميعهم اليه وان هذا المرمى راجع الى طبيعة شعبنا النفسية او الادبية واستظهرنا على ذلك بوجود اسماء هذه المنظمات

وانها عند أم أخرى ودلالاتها على شيء آخر وبأن وضع
الاسماء للأفكار والبس الشيء ثوباً يريه في صورة غيره
لا يغير من حقيقة ذلك الشيء . كان أهل الثورة الفرنسية
متشبعين بإدييات الرومانين شاخصين على الدوام الى جمهوريتهم
فتقلوا اليهم شرائعهم وقضبانهم^(١) وارديتهم واجتهدوا في تقليدهم
في نظاماتهم واحوالهم . ومع هذا لم يصيروا رومانين لانهم
كانوا محكومين بتقاليدهم التاريخية . ووظيفة الحكيم هي
استخلاص ما بقى من العقائد الاصلية وسط التقلبات الصورية
وان يميز في معمعة الأفكار المتغيرة ما يرجع منها الى روح
الشعب وعقائده العامة

واذا لم يوجد هذا الفارق الفلسفي جاز الظن بأن الجماعات
تغير كثيراً عقائدها الدينية والسياسية كما تشاء . والظاهر ان
التاريخ يؤيد هذا الظن سواء كان تاريخ السياسة او الدين أو
الفنون أو الادب . لانا اذا نظرنا في تاريخنا الى الفترة القصيرة
الواقعة بين سنة ١٧٩٠ وسنة ١٨٢٠ اعني ثلاثين سنة وهو
عمر جيل واحد رأينا الجماعات التي كانت ملوكية تحولت

(١) شارلات القوة والعظمة عند الرومانين

فصارت ثورية للغاية ثم امبراطورية كذلك ثم عادت ملكية كما كانت هذا في السياسة واما في الدين فانها كانت كاثوليكية ثم كفرت ثم قالت بالالوهية ثم رجعت الى الكثرة الضيقة الى حد التعالى ولم يكن ذلك شأن الجماعات وحدها بل شاركها فيه كله قوادها فشهدنا والمجب يأخذ منا أولئك الثوار الذين تقاسموا على بغض الملوك وانكروا الله والسلطان امسوا خداماً خاضعين لنا بوليون. واصبحوا يحملون الشموع والخشوع ملء جوانحهم في احتفالات الملك لويز الثامن عشر

وما اكثر الانقلابات التي طرأت على افكار الجماعات في السبعين سنة التالية. فقد صار الانكليز حلفاء أمة الفرنسيين في عهد خليفة نابوليون. وكانوا في أول القرن أعداء ماكرين واغرنا مرتين على بلاد الروس وكم خفقت قلوبهم فرحاً بانكسارنا ثم صاروا لنا أصدقاء

واسرع من ذلك ثقل الافكار في الادب والفنون والفلسفة فكنا لا نتقيد بقواعد اللغة. وكنا طبيعيين وكنا صوفيين. وكنا غير ذلك كل هذا ظهر واختفى. وكان الناس

يتغنون باسم هذا الكينب او ذاك المصور في المساء فاذا أصبح
الصباح حقروه وردلوه

واذا دققنا البحث في هذه التقلبات التي يخال أنها حقيقية
متأصلة في النفس رأينا ان ما كان منها مخالفاً للاعتقادات العامة
ومشاعر الشعب فهو زائل لا يدوم الا يسيراً ولا تلبث المياه
أن تعود الى مجاريها . فمن المعلوم انه يستحيل دوام الافكار
التي لا رابطة بينها هي والمعتقدات العامة ومشاعر الشعب
لانها معرضة لتأثير الطوارئ والاتفاق تتغير باقل تغيير
في البيئة التي وجدت فيها . ومما يدل أيضاً على عدم بقاءها
انها تولدت من طريق الالتقاء والعدوى فهي تولد ثم تموت
بسرعة الرمل الذي يتكون اكداساً على شاطئ البحر ثم
تذهب به الريح ثم تعيده وهكذا

ولقد كثرت في أيامنا هذه افكار الجماعات التي لا بقاء
لها . ولذلك ثلاثة أسباب

الاول ان الاعتقادات القديمة أخذت تضعف شيئاً فشيئاً
فلم تعد تؤثر في الافكار العرضية تأثيراً يذمها ويهددها وضعف
تلك الاعتقادات العامة من شأنه ان يفسح المجال لتولد افكار

خاصة لا رابطة بينها هي والماضى ولا يرجى بقاؤها في المستقبل

السبب الثانى ان قوة الجوع تزداد شيئاً فشيئاً والقوة المضادة تضعف بمقدار ذلك وقد عرفنا ان الجماعات كثيرة التقلب فى افكارها فالنتيجة انها أصبحت أكثر حرية فى اظهار تلك الافكار المتقلبة

والسبب الثالث هو كثرة انتشار المطبوعات لما فيها من كثرة الافكار المتناقضة التى تعرضها على الجماعات فالفكرة لا تكاد تظهر حتى تبطل بظهور فكرة تخالفها وما من فكر ينتشر تماماً وكلها محكوم عليها بسرعة الزوال فهى تموت قبل ان تنتشر انتشاراً يثبتها ويجعلها معتمداً عاماً

من تلك الاسباب تولدت ظاهرة جديدة فى تاريخ البشر . يغرد بها العصر الحاضر وهى ضعف الحكومات عن قيادة الرأى العام

كان زمام الرأى فى الزمن السابق ما هو فى يد الحكومات وبعض ذوى النفوذ من الكتاب وعدد مخصوص من الجرائد فأما الكتاب فقد انعدم تأثيره . وأما الجرائد فان

وظيفتها أصبحت قاصرة على ان تكون مرآة للرأى وأما
السياسيون فانهم لا يدبرونه بل يسيرون خلفه . وقد أخذتهم
منه رهبة تكاد أحياناً تبلغ حد الذعر والانذهال فهم لا
يثبتون فى أى طريق يسلكون

نتج من هذا ان رأى الجماعات يقرب كل يوم من الاستيلاء
على زمام السياسة . وقد وصل الآن الى الجاء الامم لعقد
المحادثات كما وقع اخيراً فى المحالفة الروسية التى كانت حركة
الرأى امام مصدرها الوحيد . ومن اعجب ما يشاهد الآن
استسلام الباباوات والملوك والقيصرة لنظام الاحاديث^(١)
ليصرحوا بأفكارهم ويعرضوا آراهم فى أمر من الامور الى
حكم الجمهور . قالوا فيما مضى ان السياسة ليست من الامور
التي تسيرها المشاعر وانا نشك فى انه يمكن القول بذلك الآن
بعد ما بان ان نزعات الجماعات تقودها كل يوم اكثر من
الذى قبله و الجماعات لا تعرف العقل ولا تندفع الا بالمشاعر
واما الجرائد فبعد ان كانت تقود الرأى العام كالحكومات

(١) يشير الى ما لقيه الناس فى هذه الايام من محادثة الملوك

والعظماء ونشر احاديثهم فى الكتب والصحف

اضطرت الى التسليم امام سلطان الجماعات نعم للجرائد أثر شديد في الناس لكن ذلك سببه انها صارت مرآة لآرائهم ومتغيرة بتغير افكارهم المستمر. أصبحت الجرائد تـرسل اخبار فلم تعد قادرة على نشر رأى او تقرير مذهب بل هى تسير خلف اهواء الجماعات مكرهة على ذلك بحكم المسابقة والتراحم والا خسرت قراءها ألا ترى الجرائد الكبرى القديمة التى كان لها المقام الاول والتأثير القوي مثل (لوكونستيتوسيونيل) و (الديبا) و (السيكل) وهى التى كان يتلقى آباؤنا أقوالها كالوحي المنزل من السماء قد احتجبت أو صارت صحف أخبار محلاة ببعض الفكاهات القصصية ولطائف المجتمعات والاعلانات التجارية. لا توجد اليوم جريدة تسمح مالىتها للمحررين بابتداء آرائهم الذاتية على انها ان وجدت ما كان لتلك الآراء والافكار قيمة عند القراء لانهم انما يطلبون خبراً يقرأونه ونكتة يتفكرون بها وصاروا فى ريب من كل رأى، نتيجة توجه اليهم اذ يظنون ان وراءها طمعاً فى ربح أو سعياً لمنفعة خاصة. بل ان اهل النقد أصبحوا لا يجراؤن على نشر كتاب أو رواية تمثل فى المراسح فان النقد صار مما قد

يجلب الضرر ولا يجزئهم نفعاً أيقنت الجرائد بعدم الفائدة من النقد أو ابداء الآراء الشخصية فجعلت تقلل منه في عالم الأدب حتى بطل واستعاضته بذكر اسم الكتاب أو يزيد متبوعاً بسطرين أو ثلاثة للإعلان عنه والحث على اقتنائه وربما آل الأمر إلى مثل ذلك بعد عشرين سنة فيما يتعلق بتمدد الروايات التي تشخص في الملاحى

أصبح الشغل الشاغل للجرائد والحكومات تتبع حركات الرأي العام فالذى يهمهم من حادث يقع أو من مشروع قانون يحضر أو من خطاب يلقي إنما هو أثر ذلك في الناس وما ذلك بهين على طلابه لشدة تغير أفكار الجماعات فما أسرعها في السخط على أمر لم تكده تفرغ من التليل له

ينتج عن فقدان ضابط للرأى واقتران ذلك بالخلال الاعتقادات العامة تفتت اليقين وتمزق الوجدانيات وعدم اهتمام الجماعات بشيء لا تظهر فيه لها منفعة حاضرة ظهوراً تاماً وأما المذاهب كالاشتراكية فإن حمايتها المخلصين من أجهل الطبقات كعمال المعادن والمصانع أما متوسطو الحال وكل من ناله قليل من التعليم فهم في شك من كل شيء أو هم

كثيرو التقلب

التطور الذي تم من هذه الجهة في الخمس والعشرين سنة الماضية واضح . فقبل ذلك والمهد قريب كان للأفكار وجهة عامة لأنها كانت مشتقة من بعض اعتقادات أصلية . وكان للملكي بمقتضى كونه ملكياً أفكار وازاء ثابتة في التاريخ وفي العلوم . وكان للجمهوري بمقتضى كونه جمهورياً أفكار وازاء تناقض الأولى على خط مستقيم . الأول يعتقد ان الرجل ليس متولداً آمن الفرد والثاني يعتقد الضد تماماً . الأول يرى من الواجب عليه اذا تكلم في الثورة ان يغضب وينفر والثاني ان يحب ويبالغ في التعظيم والتبجيل . وكان من الناس من لا يجوز ذكر اسمه الا مقروناً بالخشوع والاجلال مثل (روبنسيير) و (مارات) أو متبوعاً بالترذيل والامتهان مثل (قيصر) و (أوغسطس) و (نابوليون) . وعم هذا المذهب السخيف في التاريخ حتى تفشى في مدرسة (النربون) نفسها^(١)

(١) يوجد في هذا الباب بعض صفحات من كتاب المعلمين الرسميين في مدارسنا غاية في الغرابة وهي تدل على ضعف ملكة النقد الناشئة عن طريقة التربية في المدارس واني انقل للقراء الاسطر الآتية

ليس لفتكر ولا لرأى فى هذه الايام وتبع فى النفوس
لكثرة المناظرة والتحليل مما يذهب بطلاوتها ولا يجعل تأثيرا
للبقية والذى يفرد به أهل هذا الزمان هو عدم الاهتمام بالامور
شيئاً فشيئاً

على انه ينبغى ان لا نحزن من انتشار الافكار نعم لا
شبهة فى انه منذر بانحطاط الامة لانه من المحقق ان تأثير
اهل الخيالات والرسل وقواد الجماعات وعلى الاطلاق جميع
الذين سكن اليقين قلوبهم اكبر جداً من تأثير اهل الجحود
والنقادين ومن لا يهتمون بشيء لكن لا يذهب عنا انه اذا
تمكن رأى واحد من النفوس والجماعات على ما هي عليه الآن
من القوة والنفوذ لا يلبث اهله ان يصيروا مستبدين استبداداً

من كتاب الثورة الفرنسية لاحد مدرسى التاريخ فى مدرسة
(السربون) المذكورة قال « ان الاستبداد على (الباستيل) عمل من اكبر
اعمال تاريخ الامة الفرنسية بل تاريخ اوربوا كلها لانه كان فاتحة دور
جديد فى حياة الامم » وقال عن (روببير) « ان استبداده بالناس كان
استبداد رأى و يقين و نفوذ أدبى وكان اشبه بسلطة روحية عليا فى
يد رجل من الاخيار » (صفحة ٩١ و ٢٢٠)

يذل له كل ما في الوجود ويفلق باب حرية الافكار وحرية
النقد زمنًا طويلا . لا يقال ان من سلاطين الجماعات من كان
ندى الخلق لين الملمس لان طبعها قلب فهي هوائية سريعة
الغضب والافتعال . فاذا قدر لحضارة ان تقع في يدها اضيحت
هدفا للطوارئ والمصادفات وقصر بذلك اجلها . وان كان
يرجى تأجيل زمن الانحدار والسقوط فانما يكون ذلك من
شدة تقلبات اراء الجماعات وعدم اهتمامها بالاعتقادات العامة



الباثالث

اقسام الجماعات وبيان انواعها

لفصل الأول

اقسام الجماعات

اقسام الجماعات العامة — انواعها

- ١ — الجماعات المختلفة العناصر - اوجه اختلافها - تأثير الشعب --
في ان روح الجماعات تكون ضعيفة بقدر ماتكون روح الشعب قوية -
في ان روح الشعب تمثل حالة الحضارة وروح الجماعات تمثل حالة الهمجية
- ٢ - الجماعات المؤتلفة العناصر - انواعها - الافناء والطوائف

والطوائف

بعد ان يبين الصفات العامة للجماعات النفسية ينبغي ان يبين الصفات الخاصة التي تنفرد بها المجامع عن بعضها اذا صارت جماعات بتأثير الاسباب المؤدية الى ذلك

ولنبداً بقول موجز في تقسيم الجماعات

فاولها الجمع مطلقاً وادنى مراتبه ما كان مؤلفاً من افراد ليسوا من شعب واحد ولا رابطة بينهم الا ارادة رئيسهم بقدر ماله من المنزلة فيهم ويمكن التمثيل لهذه المجامع بالمتربرين مختلفي الاصول الذين أغاروا على المملكة الرومانية مدة قرون عدة

ويليها المجموع التي احتفتها احوال وعوامل ولدت فيها صفات عامة وانتهت بان صارت شعباً واحداً. ولهذا المجموع في بعض الاحيان الصفات الخاصة بالجماعات الا ان هذه الصفات الخاصة تكون دائماً متأثرة بصفات الشعب العامة

فاذا اجتمعت في هذه المجامع بقسماها العوامل التي ذكرناها في هذا الكتاب صارت جماعات منظمة او نفسية وهذه الجماعات تنقسم الى الاقسام الآتية

- (١) الجماعات التي لا اسم لها
 (كجماعات الطريق العام)
 (٢) الجماعات التي لها اسم خاص
 (كالمدول المحلفين والمجالس
 النياية وهكذا)

اولا
 الجماعات المختلفة العناصر
 وفيها

- (١) الافناء (كالجموع السياسية
 والدينية وهكذا)
 (٢) الطوائف (كالجموع
 العسكرية ورؤساء الدين
 والعمال وهكذا)

ثانياً
 الجماعات المؤلفة العناصر
 وفيها

- (٣) الطبقات (كجموع الاواسط
 وجموع اهل الريف وهكذا)

واليك قولاً موجزاً في بيان مميزات كل نوع من هذه الانواع

القسم الاول

الجماعات المختلفة العناصر

هذه الجموع هي التي شرحنا صفاتها في هذا الكتاب وهي

تتألف من افراد ايا كانوا وكيفما كانت حروفهم ومنتهى وعقولهم
ونحن الآن نعرف انه متى اجتمع قديم وكونوا جماعة عاملة
اختلفت احوالهم النفسية الاجتماعية مع احوالهم النفسية الفردية
اختلافا عظيما وان العقل لا يتبع من هذا الاختلاف لانه لا تأثير
له في الجماعات وان الذى يؤثر فيها انما هو المشاعر الغريزية
ومن العوامل الاصلية ما يسهل معه تمييز الجماعات المختلفة
العناصر تمييزاً تاماً وهو الشعب وقد ذكرنا مراراً وقلنا انه
اعظم المؤثرات التى تنبعث عنها افعال الناس ونقول ان له
كذلك أثراً ظاهراً فى صفات الجماعات فالجماعة المؤلفة من
افراد ايا كانوا وهم انكليز تختلف كثيراً مع الجماعة التى
تتألف من افراد ايا كانوا وهم خليط من الروس والفرنساويين
والاسبانيين مثلاً

اشد مظاهر الاقتراق الناشئ، عن الوراثة العقلية فى كيفية
الشعور والنظر فى الامور يعرض فجأة متى اجتمع افراد
مختلفو الجنسية لسبب من الاسباب — وذلك نادر — كيفما
اتحدت فى الظاهر المنافع التى اجتمعوا لاجلها . حاول
الاشتراكيون عقد مؤتمرات تضم نواباً عن جميع العمال فى

كل امة فأدى ذلك دائماً الى خلف عيب . والجماعة اللاتينية
تطلب على الدوام معاونة الحكومة على ما تريد تسوى في
ذلك الجماعة الثورية ، الصرفة والجماعة المحافظة المحضة فهي تميل
بطبعها الى حصر السلطة بجمعها في يد واحدة والى من
يجمع تلك السلطة في يده . واما الجماعة الانكليزية او
الامريكية فانهما لا تعرف الحكومة ولا تستعين الا بهمة
الافراد الذاتية . اول ما تهتم له الجماعة الفرنسية المساواة .
و اول ما تهتم له الجماعة الانكليزية الحرية الشخصية . وبقدر
اختلاف الشعوب تختلف المذاهب الاشتراكية والديمقراطية
وعليه تحكم روح الشعب دائماً روح الجماعة فيبني لها كالدائرة
المنبوعة التي تنظم تقلباتها وتحدد حركاتها . ومن هنا
ينبغي ان نقرر القاعدة الآتية : تكون الصفات المنحطة في
الجماعة ضعيفة بتدرجات تكون روح الشعب قوية . فحالة الجماعة هي
الهمجية وتسقطها رجوع الى الهمجية . ولا يخرج الشعب من
الهمجية ويتخلص من سلسلة الجماعات التي لا يحكمها العقل
الا اذا كانت له روح قوية شديدة . وذلك يتأتى بالتدريج
وبلى الجماعات المتقدمة الجماعات التي لا اسم لها كجماعات

الشوارع ثم الجماعات التي لها اسم تعرف به كجماعات البدول
والمجالس النيابية والذي يوجب اختلاف هذين النوعين غالباً
في انفعالهما هو ان الاولى لا تشعر بتبعة ما نتج عن اعمالها
بخلاف الثانية فانها تقدر تبعة عملها كما ينبغي

القسم الثاني

الجماعات المؤتلفة العناصر

تتفرق الجماعات المؤتلفة العناصر الى افناء وطوائف وطبقات
فالافناء اول المراتب وهي تتألف من افراد مختلفين في الترية
والحرفة والبيئة احياناً ولا جامعة تجمعهم الا وحدة الاعتقاد
ومن هذا النوع الافناء السياسية والافناء الدينية
والطوائف ارقاها وهي تتألف من افراد متحدين في الحرفة
فيهم متشابهون في الترية والبيئة كجماعة الجند وجماعة الرؤساء
لروحانيين

والطبقات هي التي افرادها من مناشئ مختلفة اجتمعوا
لا بجامعة الاعتقاد كالافناء ولا بجامعة وحدة الحرفة كالطوائف
بل بجامعة المنافع والشبه في حالة المعيشة والتربية كطبقة
الواسط في الامة وطبقة الزراع وهكذا

ولما كان يحى في هذا الكتاب قاصراً على الجماعات المختلفة
العناصر ومن نيتي ان افرد الكلام على الجماعات المؤلفة العناصر
كاتباً خاصاً فلا اطيل في بيان صفات هذه الاخيرة واختم
الكلام على الاولى بذكر بعض انواعها مثالا للبقية



الفصل الثاني

الجماعات الجارمة

يجوز ان تكون الجماعة جارمة شرعاً اكنها لا تعد كذلك فلسفياً
- في ان افعال الجماعة لاشعورية محضة - امثلة شتى - روح جماعة
شهر ستمبر - افكارها وشعورها وقسوتها واخلاقها

—

بعد ان يمضى زمن على الجماعة وهي في هياج تعتورها حالة
هبوط تجعلها آلة صماء غير شاعرة يحركها الالتقاء في نفسها
ولذلك يتعذر تأييدها فلسفياً كيفما كان الحال وانما جرت في
الكلام على استعمال هذا الوصف غير الصحيح لاني اقرأه في
بعض كتب علماء النفس الحديثة نعم ان بعض اعمال الجماعات
تعتبر جرائم من حيث هي لكن كما يعتبر عمل النمر الذي
يلتهم الهندي بعد ان يكون قد تركه لصغاره يفرحون بتمزيقه
تصدر الجرائم عن الجماعة غالباً بسبب تحريض قوى .

ويعتقد الذين ارتكبوها من افرادها انهم قاموا بواجب كان مفروضاً عليهم وهذا ليس شأن الجناة في الاحوال الاعتيادية وتاريخ جرائم الجماعات يوضح ذلك باجلى بيان

فمن امثلة ذلك قتل موسيو (لوني) مدير سجن (الباستيل) وواقعة الحال انه بعد استيلاء الثائرين على هذا الحصن احاطت الجماعة الثائرة بالمدير المشار اليه وصارت الضربات تتساقط عليه من كل جانب . وهذا يشير بشنقه وذاك بضرب عنقه وثالث بربطه في ذيل فرسه . وهكذا . وبينما هو يدافع عن نفسه فرطت منه رفسة اصابت واحداً من الجماعة . اذ ذاك اقترح احدهم ان يقطع المضروب رأس الضارب فهلل الجمع بالموافقة قال راوى الواقعة « وكان المضروب طباحاً خالياً من العمل ويقرب من ان يكون بهلولاً ذهب الى (الباستيل) لينظر ماذا يجرى هناك . فلما سمع الاجماع ظن ان الفعل مما تقتضى به الوطنية . وانه ينال وساما اذا أعدم ذلك الوحش . ثم ناولوه سيفاً ضرب به عنق المدير وكان غير مشحوذ فلم يقطع فالتفاد واخرج من جيبه سكيناً صغيرة ذات مقبض اسود واستعان بخبرته في تقطيع اللحوم فساعدته الحظ واتم عمله »

ومن هذا المثال يظهر لك كيف تصدر افعال الجماعه فقد
انقادت هنا الى تحريض قوى بالاجماع عليه واعتقد القاتل انه
اتى عملاً شريعياً اعتقاداً ممكنه من نفسه ذلك الاجماع . وقد يكون
مثل هذا العمل آتياً بحكم القانون لكنه ليس كذلك في حكم
علم النفس

أما الصفات العامة للجماعات الجارمة فهي بعينها الصفات التي
شاهدناها في غيرها . من قابلية التأثير . والتصديق . والتقلب
والتطرف في المشاعر طيبة كانت او رديئة . والتخلق ببعض
الاخلاق الخاصة وغير ذلك

وستظهر لنا هذه الصفات كلها في احدى الجماعات التي
تركت في تاريخنا اقبح ذكرى محزنة وهي جماعة شهر سبتمبر^(١)
وبين هذه الجماعة وجماعة (سانت بارثلمى) شبه عظيم
وانى اقل شرح الواقعة عن موسيو (تايين) فهو الذى

(١) هي كارثة شهيرة وقعت أيام الثورة الفرنسية في باريس
يوم ٢ سبتمبر سنة ١٧٩٢ بتحريض رجل يقال له (مارات) على الارجح
احبه طيب انقلب صحافياً دموياً صر فافكان يطلب اعدام مائتين وسبعين
الف نفس مدعياً ان في ذلك فداء الوطن

استخلصها من المفكرات التي كتبت أيام حدوثها.
لا نعرف بالتحقيق الأمر والمعرض على تخلية السجون
بقتل من فيها وسواء كان هو (دانتون) كما هي المظنون أو
غيره ^(١) فالذي يهمنا هو أنه وجب تحريض قوى تأثرت به
الجماعة التي وليت المقتلة

كانت تلك الجماعة مؤلفة من نحو ثلاثمائة سفاك كلهم اشتات
فهي تمثل الجماعة المختلفة العناصر ا كبر تمثيل اذ لم يكن فيها
من الفروغاء الا نفر يسير والباقيون من اصحاب الحوانيت
والصناع في كل حرفة وكل مهنة من حدائين وقفالين وحلاقين
وبنائين ومستخدمين وسماسرة وغيرهم كلهم متأثرون بالتحريض
الذي وقع عليهم . كالطاهي الذي مر ذكره . وكلهم يعتقد انه
قائم بواجب وطني . وقد قاموا بعملين . فكانوا قضاة
وجلادين . ولكنهم لم يروا انفسهم من الجناة ابداً . بل وقر
في نفوسهم انه واجب من اكبر الواجبات . واول ما بدأوا
به ان شكلوا محكمة . هنالك ظهرت بساطة روح الجماعات
وبساطة عدالتها . ذلك ان المحكمة رأت عدد المتهمين كبيراً

(١) هو (مارات) على ما ذكر في معاجم التاريخ كما تقدم

فقررت اولا قتل الشرفاء والقسوس والضباط وخدام الملك
وبالجملة قتل جميع الذين يعتبرون في نظر كل وطنى جناة
بمقتضى صناعتهم . وان يكون القتل جملة من دون احتياج
الى حكم خاص . واما الباقيون فيحكم عليهم بناء على سمعتهم
او شهرتهم . فلما اطمانت نفوس الجماعة بهذا القرار انطلقت
تنفذ ما حكم به القضاء فبرزت كوامن القسوة والتوحش
الذين شرحناهما من قبل . والتوحش يزداد فظاعة وعنفاً في
الجماع . الا ان الغرائز الهمجية لا تمنع من ظهور مشاعر
تناقضها كما هو الشأن في الجماعات . ولذلك كان يوجد في
تلك الجماعة من عاطفة التأثير ما يبلغ في شدته تلك القسوة
الهائلة .

كان لا وليك القتالين عطف صناع باريس ولطف شعورهم من
ذلك ان احدهم علم ان المسجونين لم يذوقوا الماء منذ ست
وعشرين ساعة فشرع في قتل السجناء لولا شفاعة السجناء
وكانوا اذا برأت المحكمة التي اقاموها واحدا من المهتمين
فرحوا وهللوا وانهلوا عليه يقبلونه وصفقوا تصفيقا طويلا
ثم انقلبوا يقتلون غيره اكداً . كانوا يقتلون والسرور

لا يفارق محياهم . ينفون ويرقصون . ويعدون المقاعد للنساء .
 لتشاهد وهي فرحة قتل انثرفاء . وكان لهم عدل من نوع
 خاص يدلك عليه أن أحد الموكلين بالقتل شك من ان النساء
 لا يشاهدن القتل بعدهن عن مكانه . وان القليل من الناس
 هو الذى ينال حظ ضرب الشرفاء . فصوص الجميع شكواه
 وقرروا ان يمشى المتهمون الهوينيين صفين من القتالين .
 وأمرؤا هؤلاء ان لا يضربوهم الا بظاهر السيوف حتى
 يطول امد العذاب . وكان فريق يأتى بالمتهمين عراة كما ولدتهم
 الامهات ثم يمزقون اجسامهم مدى نصف ساعة كاملة فاذا
 تمت للجميع مشاهدة هذا المنظر أجهزوا على المعذنين فبقروا
 بطونهم

ومع ذلك كنت تشاهد الامانة لا تزال ملازمة للقاتلين
 فكانوا يظهرن من الفضائل ما ذكرناه للجماعات من قبل
 ويأبون ان يتناولوا شيئا من نقود القتولين وحليهم بل
 يقدمونها للجنة

وكانت بساطة العقل التى انفردت بها روح الجماعات تظهر
 فى افعالهم . من ذلك انهم لما فرغوا من قتل الالف والمائتين

او الالف وخمسمائة العدو للأمة لاحظ بعضهم ان السجون
الآخر تضم انساناً لا فائدة منهم وان الاولى اعدابهم .
فسارعت الجماعة الى الموافقة على هذا الرأي . وكان من في
السجون الآخر انساناً من الشحاذين والهمل (المشردين)
والاولاد فرأت الجماعة انه لا بد من وجود اعداء للأمة بينهم
كامرأة رجل كان قد قتل نفساً بالسهم اذ قال بعضهم « لا بد انهم متغيظة
من وجودها في السجن . ولو تمكنت لوضعت النار في باريس
ولا بد ان تكون قد قالت ذلك . بل قاله . اذن حق عليها
الاعدام » سري هذا القول في النفوس كاللحجة الناصعة .
وهرولت الجماعة فقتلت كل من كان في تلك السجون وبينهم
نحو خمسين غلاماً ما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة . وقالوا
في قتلهم انهم اذا عاشوا لا يبعد ان يصيروا من اعداء الأمة
فالواجب التخلص من شرهم

ولما اتم القاتلون عملهم بعد ان زاولوه مدة اسبوع كامل
فكروا في الراحة واعتقدوا انهم خدموا الوطن خدمة يستحقون
الجزاء من اجلها . ورغبوا الى حكومة ذلك الزمن ان تكافئهم
ومنهم من طلب وساماً

وفي تاريخ ثورة ١٨٧١ امثلة كثيرة كالتى قدمناها وسنرى
 كثيراً غيرها ما دام سلطان الجماعات ينمو ويعظم وسلطان
 الحكومة ينزوى ويضعف



الفصل الثالث

العدول المحلفون امام محاكم الجنايات

الصفات العامة للعدول - في ان الاحصاء يدل على انه لا تلازم بين قراراتهم وكيفية تشكيلهم - كيف يتأثر العدول - ضعف تأثير الدليل العقلي - طريقة الاقتاع التي استعملها اشهر المحامين - الجرائم التي يراف العدول بمن ارتكبها او التي يقسون من أجابها - فائدة العدول وخطر تبديلهم بالقضاة

لما كان لا يتيسر لنا ذكر جميع انواع العدول في هذا الكتاب رأينا ان تقتصر على اهمها وهم العدول المحلفون امام محاكم الجنايات وهم احسن مثال يمثل به للجماعات المختلفة العناصر التي لها اسم خاص . واذا بحثنا عن الصفات التي لها نجد قابلية التأثير . وسيادة المشاعر الغريزية . وضعف التأثير بالعقول . والانصياع الى القواد . وهكذا . وسنبين اثنا بحثنا

في هذه الجماعات بعض الغلطات التي يرتكبها من لم يكن خبيراً بعلم روح الجماعات لما في ذلك من الفائدة

نجد أولاً في العدول المحلفين من حيث القرارات التي يصدرونها مثلاً حسنايين أن تأثير الادعاء الذين يوجدون في جماعتهم ضعيف لما تقدم من أنه لا تأثير للعقل المستنير في رأى الجماعة إذا كان في موضوع غير فنى . وإن رأى جمع من العلماء وأهل الفن في موضوع عام خارج عن علومهم وفنونهم . لا يختلف كثيراً مع رأى جمع من البنائين أو البدالين في ذلك الموضوع . كانت الحكومة قبل سنة ١٨٤٨ تعنى في كثير من الاوقات بانتقاء العدول من المستنيرين . فتختارهم من بين المدرسين والموظفين ورجال الادب . أمثالهم وهم الآن ينتخبون خصوصاً من صغار الباعة وصغار المحترفين والمستخدمين . وقد اندهش الكتاب الاختصاصيون اذ دل الاحصاء على تشابه القرارات وإن اختلف تشكيل جماعة العدول . وأقر القضاة انفسهم بهذه الحقيقة مع كونهم من اعداء هذا النظام واليك ما كتبه موسيو (بيراردى جلاجى) أحد رؤساء محاكم الجنائيات في مفكراته « أصبح الآن اختيار العدول في يد نواب

المجالس البلدية وهم يرفضون هذا ويقبلون ذلك على حسب
 أميالهم السياسية واحوال الانتخابات . وسارت اغلبية العدول
 من تجار اقل درجة ممن كانوا ينتخبونه قبل الآن ومن مستخدمي
 بعض المصالح . ومع هذا لم تتغير روح العدول ولا تزال
 قراراتهم كما كانت عليه لان جميع الافكار تتمزج بجميع المهن في
 وظيفة القضاء ولان كثيراً من المنتخبين يجتهدون اجتهاد
 المؤمن الحديث في الايمان . ولان الطبقة الدنيا لا تخلو من
 اهل المروآت »

والذي يهمننا من هذا القول هو النتيجة لصحتها لا المقدمات
 لضعفها . ولا غرابة في هذا الضعف لان المحامين والقضاة لا
 يعرفون في الغالب روح الجماعات ومنها العدول . والدليل على
 ذلك ما ذكره الرئيس المشار اليه من أن (لاشو) وهو من اشهر
 المحامين أمام محاكم الجنايات كان لا ينفك عن اختصاص جميع
 العدول المستثيرين . وقد برهنت التجارب . وما كان لغيرها
 ان يقيم هذا البرهان . على ان ذلك العمل كان عقيماً حتى ان
 النيابة والمحاماة تركتا هذه العادة في باريس . ولم تتغير القرارات
 كما أشار اليه موسيو « جلاجو » فلا هي احسن مما كانت

عليه ولا هي اردأ منه

العدول كغيرهم من الجماعات، يتأثرون بالشاعر كثيراً ولا يتأثرون بالمعقول الا قليلاً فيهم كما قال احد المحامين « لا يثبتون امام امرأة ترضع طفلاً او امام صغار يتامى اذا نظروا اليهم » قال موسيو (جلاجر) : ويكفى ان تكون المرأة ظريفة لتتال عطف العدول

العدول قساة القلوب على من يرتكب الجرائم التي يخشون هم منها . وهذه الجرائم هي التي تهمل الهيئة الاجتماعية - ورحمها بمرتكبي الجرائم التي مصدرها الغيرة والحب وهكذا . فقلماً يقسمون على البنات الامهات اللاتي يقتلن مواليدهن ولا على البنات يخذعها الخادع ويهجرها قترمه بماء النار . وذلك لان العدول يشعرون انه لا خطر من مثل هذه الجرائم على الهيئة الاجتماعية وأنه ما دام القانون لا يحمي البنات التي هجرها من خدعها يكون تقع جنايتها اكبر من ضررها لان في ذلك للخداع مزدجراً^(١)

(١) مما تجب ملاحظته ان هذا الفرق التي جاء بها العدول

لا عن قصد بين الجرائم المضرة بالهيئة والتي لا تكاد تضرها لا

والعدول كبقية الجماعات يهرها النفوذ . لاحظ الرئيس
 (جلاجو) انهم ديموقراطيون في جمعهم شرفاء في عواطفهم
 فالاسم . والحسب . والثروة الطائلة . والشهرة والاستعانة .
 بتحام ذائع الصيت . وكل شيء يتفرد به الرجل ويظهر به
 كل ذلك عدة كبيرة وسلاح قوى في يد المتهمين
 اراد بعضهم بيان الطريقة التي ينبغي استعمالها في هذا
 المقام فوصف احد محامى الانجليز وكان ذا شهرة فائقة بنجاحه
 امام محاكم الجنايات ومما قاله :

اول ما يجب على المحامى اللبيب الاهتمام به تعتمد التأثير على شعور

يخلو من صواب اذ يجب ان يكون الغرض من القوانين الجنائية حماية
 الطبقة من انجرمين المشرين بها لا الانتقام لها مطلقا . غير ان الغالب
 على واضعي قوانيننا وعلى قضائنا هي فكرة الانتقام التي كانت سائدة
 في زمن الشرائع القديمة . ودلينا على هذا الميل في قضائنا ان الكثير
 منهم لا يزال يابى العمل بقانون (پراخييه) الذي يبيح ايقاف التنفيذ
 فلا يقضى المحكوم عليه عقوبته الا اذا عاد فأجرم مع ان جميع القضاة
 يعامون جيدا ان تنفيذ العقوبة الاولى يجر حتما الى العود كما يؤيد
 ذلك الاحصاء . (لعل ذلك مبالغ فيه م) وكفى بالقضاة يعتقدون انهم
 اذا اقلتوا محكوما عليه لا يكونون قد انتقموا للامة فهم يفضلون خلق
 مجرم يعود الاجرام على عدم الانتقام

العدول . والاقلال من التثريب والاستدلال او اختيار السهل البسيط من الادلة العادية كما هو الشأن مع بقية الجماعات (كان يترافع وهو يرقب حركات العدول وتحين مناسبة الوقت فكان يقرأ في وجوههم اثر كل جملة وكل كلمة بما أوتى من الفراسة والتجارب ليعرف ما ينبغي بعد ذلك وكان يتفرس اولا العدول الذين صاروا من جانبه ويخطو معهم في خطابه الخطوة الاخيرة التي تمكنه من انحيازهم اليه ثم يلتفت لمن يشعر منه الانحراف عنه ويجتهد في استئناؤه سبب ميله عن التمسك . وهذا ادق ما في عمل المحامي . لان الاسباب التي تبعث الرغبة في الحكم على رجل بالمقبوبة كثيرة بقطع النظر عن كون الحكم عدلا ام ظلما)

ولقد تلخص فن الخطابة في هذه الاسطر على قلبها وبان ان السبب في عدم تأثير ما حضر منها من قبل هو اضطراب الخطيب الى تغيير الكلام طبعا لا اثر في نفوس السامعين وليس من الضروري ان يكسب الخطيب ميل جميع العدول . بل يكفي اكتساب قلوب الرؤساء الذين هم قادة البقية وبهم يتكون رأى الاغلبية . فالذى يقود العدول انما

هم نفر قليل منهم كما يقع ذلك في كل الجماعات . فل المحامو
الذي مر ذكره « عرفت بالتجربة انه متى حان وقت اصدار
القرار يكنى واحد أو اثنان من أهل الزعامة في الرأي لاقتناع
البقية »

فالواجب اذن اقتناع هذين الاثنين او الثلاثة . باستعمال
المحقق فيما يلقي في نفوسهم . واول ما ينبغي فعله هو الاجتهاد
في اعجابهم لان الرجل في الجماعة اذا اعجبه المتكلم صار
قريب الاقتناع . وقبل بالسهولة الادلة التي تعرض عليه
كيفما كانت فقد قرأت في بعض الكتب عن موسيو
(لاشو) الحكاية الآتية (من المعروف عنه أنه كان في مرافعاته
امام محكمة الجنایات لا يفتر عن ملاحظة العدلين او الثلاثة
الذين كان يتفرس فيهم انهم اصعب مراساً من البقية وانهم
اهل النفوذ فيهم . وكان يتمكن غالباً من التغلب عليهم واتفق
ايه مرة في الريف انه لحظ بين العدول واحداً استعمل لاقتناعه
اشد وسائل الخطابة ثلاثة ارباع الساعة على غير جدوى .
وكان جالساً في أول الصف الثاني وهو السابع حتى كاد اليأس
بدرك الخطيب وبينما لاشو مندفع في البيان والبلاغة تتدفق

من فيه اذا به قطع الكلام فجأة والتفت الى رئيس المحكمة قائلا « سيدى الرئيس اسمحون فتأمرون بإسدال الستار الذى امامنا فان الشمس تחדش عيني حاضرة العدل السابع » فاحمر وجه العدل السابع وتبسم وشكر وقد صار من صف الدفاع

قام فى هذه الايام كثير من الكتاب ومنهم الفطاحل وشددوا النكير على نظام المدول مع ان وجوده هو الضمان الوحيد الذى يقينا شرا : لبطأ الكثير الوقوع من طائفة لا رقيب عليها ^(١) ومنهم من يذهب الى وجوب حصر اختيار المدول فى طبقة المستيرين وليكن

(١) المحاكم عندنا هي المصلحة الوحيدة التى تكاد تكون لا مراقبة على اعمالها ومع ما اتته الامة الفرنسية من الثورات لا يوجد فيها حتى الان قانون مثل قانون (الافراج) الذى تتفخر به الامة الانكليزية . نحن قد نفينا جميع الظالمين . ولكننا اقمنا فى كل مدينة قاضيا يتصرف فى شرف اهل الوطن وحرمتهم كما يشاء . قويضى تحقيق خرج حديثاً من مدرسة الحقوق وله القدرة المنفرة على سجن أعلى الوطنيين منزلة كما يريد مجرد الشبهة منه فى اجرامهم . وليس من يحاسبه على عمته . وله القدرة على ابقائهم فى سجنهم ستة اشهر بل ستة

اقبنا الدليل على ان قراراتهم في هذه الحالة لن يختلف مع التي تصدر الآن . ومنهم من يتذرع بالخطأ الذي يقع من العدول فيذهب الى تبديلهم بالقضاة . ونحن لا ندرى كيف غاب عنهم ان ذلك الخطأ الذي بالغوا في نسبته الى العدول انما سبقهم به القضاة . لان المتهم لا يمثل بين يدي اولئك الا بعد اعتباره جانبا من كثير من هؤلاء . من قاضى التحقيق ورئيس النيابة ودائرة الاتهام . الا يرى انه لو سلم الحكم النهائي عليه الى القضاة بدل العدول فاته الفرصة الوحيدة للوصول الى اظهار برأته . ان يخطئ العدول فقد اخطأ القضاة من قبلهم . فالوزير على هؤلاء وحدهم في كل خطأ قضائي . فمزع كالحكم الذي صدر أخيراً على الطيب (فلان) اذ اضطهدوا احد قضاة التحقيق المعروف بقصر العقل لان

بحجة التحقيق ثم يحل سيلم ولا ضمان لهم عليه ولا يكلف لهم باعتذار يفعل ذلك بمقتضى (امر القبض) وهو مساو (لخطاب السجن) الذي عرفه ابؤنا الاولون غير ان هذا الاخير كان لا يجوز استعماله الا للاعطاء من الاكابر وأما الاول فهو اليوم في يد طبقة من الوطنيين هم بعيدون جداً عن ان يكونوا الاكثر تهدياً والاكثر استقلالاً .

شابة تكاد تكون من البلاء، انهمته بأنه اسقط حملها مقابل جعل قدره ثلاثون فرنكا . ولولا ثورة الرأي العام وصدور العفو عنه لاذلك عقب الحكم عليه لارسل الى سجن الاشغال الشابة . ظهر في هذه الحادثة ان خطأ الحكم كان فاحشاً بمقدار اجماع الناس على وضوح براءة المحكوم عليه . وكان القضاة انفسهم مقتنعين بذلك لكن تحزبهم لطائفهم دفعهم الى استفاد كل وسيلة لمنعوا العفو عن ذلك البريء . والحاصل انه متى كانت الدعوى ذات احوال خصوصية فنية لا يدركها المدول ترى هؤلاء مضطرين الى الاخذ بأقوال النيابة العمومية لا اعتقادهم ان الذى حقق التهمة قضاة لهم خبرة تامة بمثل هذه المسائل . وليت شعري من يكون المخطئ الحقيقى حينئذ المدول أم القضاة . يجب ان نحصر على المدول حرصنا على النفيس فربما كانوا هم الجماعة التى لا يمكن ان يقوم الفرد مقامها . وهم الذين يتيسر لهم وحدهم ان يخففوا من شدة القانون . فهو بمقتضى كونه واحداً لجميع الناس اعنى يضع القواعد مطلقه ولا يعرف الشواذ . اما القضاة فلا تدخل الشفقة عليهم من باب . ولا يعرفون الا النفس . وهم قساة

بمقتضى صناعتهم . فلا يفرقون في الحكم بين وغد ثقيل
 النفس المجرمة وفتاة هجرها من غواها وعضها الفقر فوارت
 مولودها . لكن العدول يشعرون بفطرتهم ان تلك الفتاة
 التي خدعت اقل اجراما من الذي خدعها ولا سلطان للقانون
 عليه . وانها جديرة بكل عطف وحنان

لقد عرفت حقيقة روح الطوائف كما عرفت روح الجماعات
 الأخرى . ولكنني لم اوفق الى معرفة حالة اكون متهماً فيها بجرم
 وافضل القضاة على العدول ليحكموا فيها . لان لي بعض الامل
 في البراءة امام هؤلاء والامل ضعيف امام اولئك . حذار من
 سطوة الجماعات وحذار ثم حذار من سطوة بعض الطوائف
 فقد تلين الاولى ولكن الثانية لا تلين ابداً



لفصل الرابع

جماعات الانتخاب

الصفات العامة لجماعات الانتخاب - طريقة اقتاعها - الصفات التي يجب ان تكون للمرشح - ضرورة النفوذ - السبب في ان العملة والصناع قداما ينتخبون النائب منهم - سلطان الانفاذ والجل على الناخب - صورة المناقشات الانتخابية - كيف يتكون رأى الناخب - سلطان اللجان - في انها تمثل اشد صور الاستبداد - لجان الثورة الفرنسية - من المتعسر الاستعاضة عن الاقتراع العام كيفما كانت قيمته ضعيفة . في بيان ان النتيجة تكون هي بناتها اذا قصر حق الانتخاب على فريق من الالهين - في معنى الاقتراع العام عند كل امة

من الجماعات المختلفة العناصر جماعات الانتخاب اعنى

الجامع التي تنتخب القائمين ببعض وظائف معينة ولما كان عملها محصوراً في دائرة محدودة وهو اختيار واحد من بين افراد معينين لا يظهر فيها الا بعض الصفات التي تقدم بياها . فالذي يشاهد عندها ضعف القدرة على التعلل . وفقدان ملكة النقد . وسرعة الغضب . والتصديق . والسذاجة . ويرى في قراراتها اثر القواد واثر العوامل التي مر ذكرها . اى التوكيد . والتكرار . والنفوذ . والمدوى

فلنبحث في طريقة اقناعها لانا اذا عرفنا انجع الوسائل في ذلك وضحت لنا روحها تمام الوضوح

اول صفة يجب ان تكون للمرشح هي النفوذ . ولا يقوم مقام النفوذ الذاتى اذا فقد الا النفوذ المكتسب من الثروة . حتى ان الذكاء الفائق بل النبوغ ليسا من الوسائل التي تؤدي الى النجاح كثيراً في هذا الباب

ولا غنى للمرشح عن النفوذ لانه العدة الكبرى التي تمكنه من التسلط على النفوس بدون ان يتناظر فيه والسبب في كون العملة والصناع لا ينتخبون من ينوب عنهم من صفوفهم هو انه لا نفوذ عندهم لمن خرج من بينهم واذا

اختاروا في النادر واحدًا من طبقتهم فانما ذلك لكي يضربوا به أحد
العظماء كمعلم كبير الشأن ممن لهم سطوة على الناخب دائماً
فينزع هذا الى مخالفته متخيلاً انه يصير بذلك سيداً عليه حطة
من الزمان

الا ان النفوذ وحده لا يضمن النجاح لصاحبه في الانتخاب
لان الناخب يجب ان يمتلئ ويمنى بنيل ما يصبو اليه من
الرغبات فينبغي ان يساق اليه من التلق ما يعجزه حمله وان
لا يحجم عن التكفل له بما يخرب: عن حد المعقول من الوعود
والاماني . فان كان عاملاً فكل ذم في معلمه قليل . اما المترشح
المزاحم فانه يجب ان يدخل اليه من طريق التوكيد والتكرار
والعدوى لاثبات انه أحسن الناس وانه مجرم أثام . ومن
البديهي انه لا محل لاقامة دليل ما على ذلك . فان كان الخصم
لا يعرف روح الجماعات مال الى تبرئة نفسه بالحجة والبرهان
بدل ان يقابل التوكيد بالتوكيد ومن ثم يفقد كل أمل في
النجاح

أما البرنامج الذي يحرره المترشح ببيان ما ينوي من
الاعمال فينبغي ان لا يكون صريحاً حتى لا يتخذ خصومه

منجاة عليه . لكن يجب ان يطيل — في البرنامج الشفهي
 ما استطاع ولا خوف عليه من الوعد باجراء اعظم الاصلاحات
 فان ذلك يؤثر حالا في نفوس الناضجين وهو في حل منه
 أجلا اذ القاعدة المطردة ان الناخب لا يبحث ابداً
 في هل المنتخب جرى طبقاً لتصريحاته التي كانت السبب
 في انتخابه

ومن هنا يتبين ان جميع عوامل الاقناع التي تقدم ذكرها
 هي في جماعات الانتخاب . يبق علينا ان نذكر الالفاظ
 والجمال مما يينا تأثيره السحري في النفوس . الخطيب الذي
 يعرف كيف يتصرف بها يمكنه ان يوجه الجماعة حيث
 يشاء . فمثل (رأس المال الدنس) و (اولئك المحتالين
 الادنياء) و (العامل الجليل) و (جمل الاموال شائعة
 بين الجميع) وهكذا . مثل هذه الالفاظ تأثير لا يزال كبيراً
 وان كان الناس قد صاروا يمجونها . فاذا كان المنتخب ممن
 أسعدهم الحظ ووفق لايجاد صنعة جديدة خالية من المعنى
 المحدود لتصيب بذلك اهواء النفوس المختلفة كان نجاحه باهراً
 وفوزه محتماً . والذي أوقد نار الثورة الدموية في اسبانيا سنة

١٨٧٣ انما هو لفظ من تلك الالفاظ السحرية ذات المماني
المضطربة التي يفهم منها كل واحد حسب ما يشتهي . ولقد
يحسن بنا ايراد كيف كان ذلك تقريبا من أحد كتاب ذلك
الحين . قال « ظن المتطرفون ان الجمهورية الجامعة للسلطة عبارة
عن ملوكية خفية فارضاهم مجلس الامة وقرر بالاجماع أن
تكون الجمهورية اتحادية من غير أن يعرف أحد منهم معنى ما
أقر عليه . لان الصنعة كانت قد أخذت بلب الناس أجمعين
فسكروا بنحمتها . وغالوا في طلائوتها وقالوا التمد قامت في
الارض مملكة الفضيلة والسعادة » . وكان الجمهور يرى من المسبة
المظيمة ان خصمه لا يعترف له بنعت (الاتحادى) . وكان بعض
الناس يسلم على بعض بقوله (سلام على الجمهورى الاتحادى) .
أما المعنى الذى كان يحضرهم من هذه التسمية ففهم من كان
يذهب الى انه عبارة عن اطلاق الاقاليم من كل قيد ليحكموا
أنفسهم باستقلال . ومنهم من كان يظن ان النظام الجديد
يشبه نظام الولايات المتحدة في امريكا . واخرون يرون انه
توزيع السلطة وتجزئة طريقة الحكم في البلاد . والبعض كان
يفهم ان كل سلطة قد بادت وان الوقت حان لتصفية حساب

الهيئة الاجتماعية . ونادى الاشتراكيون في برشلونه و
الاندلس باستقلال كل قرية بنفسها . وذهبوا الى وجوب
انتخاب عشرة آلاف نائب عن جميع البلاد الاسبانية كلهم
احرار لا يحكمهم غير انفسهم . وقالوا بالغاء الجيوش والشرطة
ولم يمض الا قليل حتى أخذت الثورة تمتد في الاءاليم الجنوبية
من مدينة الى مدينة ومن قرية الى أخرى . فكانت كل بلدة
فرغت من اعلان استقلالها تمعد الى تخريب الاسلاك البرقية
والسكك الحديدية لتقطع المواصلة بينها وجيرانها ومديري
ولم تبق نزلة حقيرة الا نرعت الى الاستقلال بنفسها . وحل
محل الاتحاد تمزق في الاقاليم علاماته التوحش والنار والدماء
فأقيمت المذابح في كل صقع ونادى

اما تأثير المعقول في جماعات الانتخاب فلا يجمل ضعفه الا
الذين لم يظلموا مرة على ما يجرى في اجتماعات الانتخابات
لانها لا تحتوى على شئ غير تناول التوكيدات المتناقضة .
والشتائم والمخازى . ولكنها مجردة عن كل حجة وبرهان .
واذا اتفق وساد السكون لحظة فذلك لان احد الحاضرين
ممن لا يقتنعون بالسهولة خرج وسط الجمع ليلقى على المترشح

سؤالاً يعجزه الجواب عنه . وذلك يلذ دائماً للسامعين . ألا
 ان هذه اللذة لا تدوم طويلاً لان صوت السائل لا يلبث ،
 ان يفيب في صخب المعارضين وانى ناقل للقراء عن الجرائد
 اليومية شيئاً مما يجرى في الاجتماعات العمومية ليكون مثلاً
 على ما تقدم . (اقام بعضهم اجتماعاً وطلب من الحاضرين
 انتخاب الرئيس فقامت القيامة واسرع القوضويون الى محل
 اللجنة ليستولوا عليه ووقف في وجههم الاشتراكيون فتلاكم
 الفريقان وانهالت الشتائم من مشاء . وبائع ذمته . وهكذا .
 وخرج احد الحاضرين وعينه مورمة . واتمى الحال ببقاء
 اللجنة في مكانها وسط الهياج والاصطخاب . وتمت الرئاسة
 للوطني فلان . واخذ الاشتراكيون يقطعون عليه الكلام
 وهو يحمل عليهم حملة منكرة . فقابلوه بالوغد . قاطع الطريق .
 الدنيء . وهكذا من النوع . فقد ابل الخطيب ذلك بنظرية
 مقتضاها ان الاشتراكيين من البله او النصايين)

وهذا مثل آخر (نظم الحزب المنحاز لمانيا مساء امس
 في قاعة التجارة بشارع كذا اجتماعاً كبيراً استعداداً لعيد عمال
 اول شهر مايو . وتقرر ان يكون الهدوء سائداً . والسكون

شاملاً وقد طعن الوطني فلان على الاشتراكيين بأهم
 اوغاد انصاؤون ، وعليه تشاتم الخطباء والخطباء وانتقاداً من
 المشائنة الى الملاكمة . فاشتركت الكراسى والموائد في
 الخصام النخ)

ولا يحسن القراء أن هذا النوع من الخطابة خاص بفريق
 من الناخبين ، وانه آت من درجتهم الاجتماعية بل تلك
 صورة تتصف بها المناظرة في كل جمعية أيّاً كانت حتى التي
 تتألف من مستيرين . وقد بينت ان الافراد في الجماعات
 يتقاربون الى حد التساوى في ملكات العقل . ونحن نجد
 الدليل على ذلك في كل مكان . اليك مادار في اجتماع كان
 الحاضرون فيه كلهم من الطلبة نقلاً عن جريدة الطان الصادرة
 في ١٣ فبراير سنة ١٨٩٥ « كلما اوغل الليل ازداد الهياج ولا
 أضن ان خطيباً واحداً لفظ جملتين من دون ان يقطع الكلام
 عليه . اذ الصراخ كان يعلو في كل لحظة تارة هنا وتارة هناك
 وآونة من جميع الجهات هؤلاء يصفقون واولئك يصفرون
 وكانت المناقشات الشديدة تستخدم بين السامعين فترى
 العصي تهدد الرؤوس والضرب على الموائد كالنغمة .

والاصطخاب مقدوفاً الى المشوشين . هذا يقول : خرجوه .
 وذلك يصيح . الى منبر الخطابة ثم قام موسيو فلان وجعل
 يخاطب الحضور بقوله هذا اجتماع ما اساء قبحه وجبته . هذا
 اجتماع وحشى . دنى . رذيل . متعصص . ثم اعلن انه
 سيهدمه انخ)

هنا يرد على الخاطر كيف يتمكن النائب من تكوين رأيه
 وسط هذه الضوضاء . غير ان هذا الخاطر يؤذن بأن صاحبه
 يحجل تمام الجهل مقدار الحرية التي توجد في الجماع . وان
 اراء الجماعات انما تأتيتها من طريق التسلط عليها لا من طريق
 الاقناع . والذي يكون الآراء ويجرى الانتخاب في الحالة
 التي تبحث فيها هي اللجان . واللجان . ودنا في الغالب بأئعو
 البئيد لما لهم من السيطرة على العمال بواسطة تسامحهم معهم
 في تأجيل ثمن ما يشربون . قال موسيو (شيرر) وهو من
 اكبر انصار الديموقراطية في الوقت الحاضر « أتعرفون ماهي
 لجنة الانتخاب . انها عبارة عن مفتاح نظاماتنا وأهم قطعة من
 الآلة السياسية عندنا . ان الذي يحكم فرنسا الآن هي اللجان (١) »

(١) اللجان على اختلاف مسمياتها كالنوادي والشركات هي

لذلك ليس من الصعب جداً التسلط على اللجان اذا كان
المرشح مقبولا وذا يسارني بما يحتاج اليه في مثل ذلك .
فثلاثة ملايين فرنك كفت باعتراف المتبرعين انفسهم لا انتخاب
القائد (بولونجيه) في مقاطعات عدة

تلك روح جماعات الانتخاب مثلها مثل روح بقية الجماعات
لا أحسن ولا اردأ

وعليه فاني لا أستخلص مما تقدم نتيجة ضد الانتخاب

اشد الجماعات خطراً من حيث المقدرة . فهي التي تمثل اعظم جمعية
لا اثر للشخصية فيها . ولذلك كانت اقوى الجماعات بدأوا اكبرها تساطا
فلا يشعر القواد الذين يتكلمون بلسان اللجان ان هناك تبعه ترجع
اليهم . فهم يضربون في كل صوب آمنين . وما كان يخطر على بال اشد
المستبددين عفا ان يأمر بمثل ما امرت به اللجان الثورية التي فرقت
شمل رجال (الاتفاق) وحصدتهم حصداً كما قال (باراس) . ظل
(روبيير) قابضاً على الحكم كله بيده طول الزمن الذي كان ينطق
فيه باسم اللجان فلما اختلف معها بسبب التشدد في الرأي وانفصل عنها
ادركته الداهية . اجل ان حكم الجماعات هو حكم اللجان اعني حكم
القواد ولن يهتدى الانسان الى حكم اشد واقسى .

العام . ولو ان الامر بيدي لابقيته كما هو لاسباب عملية تنتزع
من بحثنا في روح الاجتماع . فلنذكرها

لا يسع أحداً انكار مضار الانتخاب العام لانها واضحة
كالشمس . فلا يمارى في ان المدنية عمل طائفة صغيرة من
أهل العقول الراقية شبيهة بقمة هرم تتسع طبقاته كلما انحطت
الدرجة العقلية . وتلك الطبقات تمثل الطبقات البعيدة للأمم .
وعظمة المدنية لا تتوقف طبقاً على رأى العناصر الوضيعة
التي ليس لها من القيمة الا كثرة العدد . ومن المحقق أيضاً
ان اراء الجماعات خطيرة في غالب الاحيان فقد كلّفنا حتى
الآن غارات كثيرة على بلادنا واذا تم لها ما تعدد من فوز
الاشتراكية فمن المظنون ان اهواء سيادة الامة تكلفنا
أضعاف ذلك أيضاً

الآ ان هذه المطاعن القوية نظراً تفقد قوتها تماماً من
الجهة العملية اذا فكرنا في قوة الاراء التي لا تقالب متى صارت
عقيدة من العقائد وعقيدة سيادة الجماعات لا تختلف من
الجهة النظرية مع العقائد الدينية التي وجدت في القرون
الوسطى من حيث الضعف في كل غير ان ما كان لهذه من

القوة في ذلك الزمان هو للاولى في هذه الايام فيمنع
 حينئذ كما كانت افكارنا في تلك القرون . لنفرض ان رجلا
 من أهل الافكار الحرة اى المطلقة السرايع وجد في القرون
 الوسطى أنظن انه كان يتحرك لمقاومة الافكار الدينية المتمكنة
 في القوم بعد ان يرى مالها من السيادة المطلقة . أو كان يفكر
 في انكار وجود الشيطان وحرمة يوم السبت اذا مثل امام
 قاض يريد احراقه بالنار بتهمة انه حازب الشيطان او ذهب
 الى المعبد يوم السبت . انه لا مناقشة مع الجماعات كما انه
 لا جدال مع العواصف . ولعقيدة الاقتراع العام في ايماننا من
 القوة ما كان للمقائد الدينية في ذلك الزمان . فترى الخطباء
 والكتاب يذكرونه مقرونا بالتجلة والاحترام مصحوبا
 بملق لم يعرفه لويز الرابع عشر . وجب اذن ان يسار معه كما
 يسار مع المقائد الدينية . وللزمان ان يفعل في الجميع فعله
 على انه لا فائدة من التحفز لزعة هذه العقيدة مع وجود
 ما يؤيدها في الظاهر . ولقد أصاب موسيو (تو كفيل)
 حيث قتل « ليس لاحد في زمن المساواة اعتقاد في أحد .
 لما بين الكل من التشابه . غير ان هذا التشابه يجعلهم يثقون

تمام الثقة بحكم الجمهور لانهم لا يتصورون ان الحقيقة
لا تكون من جانب العدد الاكبر وفيه ذلك الجرم الصغير من
المستنيرين»

قد يذهب بعضهم الى ان حالة انتخابات الجماعات تتحسن
بقصر حق الانتخاب على أهل الكفآت . اما انا فلا
أسلم بذلك لحظة واحدة للسبب الذي قدمته وهو انحطاط
درجة الجماعات العقلية على اختلافها كيفما كان تركيبها . فان
الناس يتساوون في الجماعة دائماً . وليس رأى الاربعين عضواً
الذين تركب منهم جمعية المعارف في مسألة عامة احسن من
رأى اربعين سقياً . ولا اظن ان رأياً أقره الاقتراع العام
وشدد النكير عليه من أجله كاعادة الامبراطورية كان يتغير
لو ان المقترعين كانوا كلهم من أهل الآداب والعلماء . لان
الذي يجعل الرجل ذا بصر بالاحوال الاجتماعية ليس كونه
يعرف اللغة اليونانية او الرياضيات او كونه معمارياً او طبيباً
بيطرياً او طبيباً او محامياً . انظر الى علماء الاقتصاد عندنا ترم
كلهم من المستنيرين واغلبهم مدرسون او اعضاء في جمعية
المعارف ومع ذلك لم يتحدثوا على مسألة عامة ابداً كحماية

التجارة او توحيد معدن النقود وهكذا . ذلك لان علمهم ليس
الاصورة مخففة من الجهل العام . وكل جهل يستوى امام
امسائل الاجتماعية التي لا حصر للمجهول فيها

وعلى ذلك اذا قصرنا الانتخاب على قوم افعموا علماً لا
نصل الى نتيجة احسن مما لو تركناه في يد اهل زماننا لان
اولئك العلماء يعملون على الاخص بحسب مشاعرهم ومنافع
طائفتهم . فلا نكون قد ذللنا شيئاً من العقبات التي امامنا بل
نكون قد زدنا عليها بدخولنا تحت نير الاستبداد الذي تنفرد
به الطوائف

نتيجة انتخاب الجماعات واحدة وهو انما يترجم عن
الرغائب والحاجات التي للشعب بمقتضى فطرته سواء كان
الانتخاب عاماً او محصوراً في طبقة او طبقات . في جمهورية او
ملوكية . في فرنسا او في البلجيك أو اليونان او البرتغال او
اسبانيا . ومتوسط المنتخبين في كل امة يمثل روح شعبها .
وهو لا يكاد يتغير من جيل الى جيل

وهنا نجد مرة اخرى نظرية الشعب ذات الاهمية الكبرى
وتلك النظرية الاخرى المشتقة منها وهي ضعف تأثير المنظمات

والحكومات في حياة الامم . هذه الامم انما تسير طبقاً
 لأرواح شعوبها . وبعبارة اخرى طبقاً لما ورثته عن ابائها
 وهو ما تمثله تلك الروح . فالنصب هو مستودع احتياجات
 كل يوم . وتلك الاحتياجات هي الملوك الخفية التي يدها
 زمام مآلنا



الفصل الخامس

المجالس النيابية

—

أكثر الصفات العامة للجماعات المختلفة العناصر غير الاسمية
توجد في الجماعات النيابية — بساطة الافكار — الانفعال وحدوده —
الافكار الثابتة والافكار المتغيرة — السبب في ان التردد هو الغالب —
شأن القواد — سبب نفوذهم — هم الذين لهم الكلمة في المجلس
بحيث ان رأى الجميع يرجع الى رأى عدد محدود من الاعضاء —
سلطان القواد الشامل — اركان خطابهم — الالفاظ والصور —
في ان الضرورة تقتضى ان يكون القوادمة متعين بما يلتقون من الاراء
وان يكونوا من قسار النظر — في انه يستحيل ان تقبل اراء الخطيب
الذى لا نفوذ له — غلو مشاعر الهيئة بسواء كانت طيبة أو رديئة —
في انها تتحرك احيانا بحركة نفسية — في جلسات « المتعاهدين » —
في الاحوال التى لا يكون للهيئة فيها صفة الجماعة — تأثير الاختصاصين

في المبادئ الفنية -- منافع النظام النيابي ومضاره في كل أمة -- في ان
النظام موافق لاحتياجات العصر ولكنه يؤدي الى تبذير الاموان
وتحديده جميع الحريات شعباً فثيناً -- خلاصة الكتاب

—

المجالس النيابية جماعات مختلفة العناصر غير اسمية . وهي
تتشابه كثيراً في صفاتها وان اختلفت طريقة تكوينها بحسب
الامم والازمان . ولروح الشعب فيها أثر هو اضعاف تلك
الصفات او تقويتها . الا انه لا يمنع من ظهورها البته . وتشابه
المجالس النيابية في البلاد المختلفة كالليونان وايطاليا والبرتغال
واسبانيا وفرنسا وأمريكا من حيث المداولات والقرارات
تشابهها عظيماً فتشابه الصعوبات الناشئة عن ذلك امام جميع
الحكومات

النظام النيابي هو اقصى ما تصبو اليه الامم المتحضرة في
العصر الحاضر لانه يعبر عن فكر سائد في الناس وان كان
علم النفس يراه خطأ وهو ان العدد الكثير أقدر من العدد
القليل على البت في الامور بالعقل والروية والاستقلال
والصفات المميزة للجماعات توجد في المجالس النيابية

من بساطة الافكار . وسرعة الانفعال . وقابلية التأثر برأى الغير . والغلو في المشاعر . وتتوذر القواد . الا ان لها بمة تضي تكوينها الخاص . بعض صفات لا تشترك فيها مع بقية الجماعات واليك يانها

اما بساطة الافكار فمن اعم مميزات المجالس النيابية فتشاهد عند جميع الاحزاب خصوصا عند الاعمم اللاتينية الميل الى حل المسائل الاجتماعية العويصة باسسط المبادئ النظرية وبقوانين عامة يطبقونها على جميع الاحوال . ومن الواضح ان المبادئ تختلف باختلاف الاحزاب . لكن الرجل في الجماعة يرمى دائما الى تقدير تلك المبادئ باكثر من قيمتها ويذهب فيها الى آخر ما تؤدي اليه من النتائج . لذلك كانت الافكار التي تمثلها المجالس النيابية هي المتطرفة

واكمل مثال لبساطة المجالس النيابية جماعة (اليعاقبة) ايام ثورتنا الكبرى . فقد كانوا كلهم من ارباب المذاهب وكلهم من المناطق . وكانت رؤوسهم ملأى بالكليات المقولة بالتشكيك . لذلك كان همهم تطبيق المبادئ المقررة من غير التفات لظروف الاحوال . فصخ ما قيل عنهم من انهم عبروا

الثورة ولم يروها . فهم قوم اتخذوا مبادئهم مرشداً وظنوا انهم
 يتمكنون بها من خلق هيئة اجتماعية جديدة ويرجعون بالمدينة
 الراقية الى مدينة كانت للامة قبل تطورها الحال . كذلك
 كانت الوسائل التي استعملوها في تحقيق اسلامهم من ايسر
 الوسائل . فاذا اعترضتهم عقبة استعملوا العنف في تذليلها
 وكانت الروح السارية فيهم جميعاً واحدة وان كانوا فرقاً شتى
 واما التأثير بالرأى فقابلية المجالس النيابية له شديدة . والتأثير
 يأتي من قبل القواء ذوي النفوذ كما هو الشأن في الجماعات كلها
 الا ان لقابلية المجالس النيابية في هذا الباب حدوداً واضحة
 يجب ذكرها .

فلكل عضو رأى ثابت في المسائل المتعلقة باقليمه لا يمكن
 زحزحته عنه . ولا تؤثر فيه حجة او دليل . فلو بحث (ديموستين)
 ما امكنه ان يقنع عضواً بعدم وجوب حماية المهن التي لبعض
 اصحابها النفوذ الاول في الانتخابات . ذلك لان التأثير الذي
 وقع عليه اولاً من الناحيين اوجد له رأياً ثابتاً وعطل فيه ملكة
 الاقتناع بما يخالفه . ولعل احد نواب مجلس العموم الانكليزي
 من طال عهدهم فيه كان يشير الى تلك الافكار التي رسيخت

من قبل في ذهن كل عضو حتى صارت لا تقبل التغيير ولا التعديل لتأثير ضروريات الانتخاب - حيث قال « سمعت مدبى خمسين عاماً قضيتها في (ويست، نستر) الا فامن الخطب القليل منها حملني على تغيير رأيي ولكن لم يكن لواحدة منها ان تحملني على تغيير صوتي عند الاقتراع »

واذا دارت المناقشة في مسألة عامة كاستقاط الوزارة او تقرير ضريبة جديدة وهكذا تقلبت الاراء وظهر نفوذ القواد . لكنه لا يساوى ما لهم في الجماعات الاعتيادية . اذ لكل حزب قواد قد يعادل نفوذهم نفوذ قواد الحزب الآخر . فيصبح الاعضاء بين مؤثرين متضادين . ولذلك يترددون . فيقر الواحد منهم على أمر وبعد ربع ساعة يعمل بنقيضه كأن يقبل في القانون نصا يهدم المبدأ الذي اقامه عليه مثال ذلك الاقرار على قانون يبيع لاصحاب المعامل حق اختيار العمال وطردهم . ثم الاقرار في الجلسة ذاتها على تعديل يجعل هذا الحق اثاراً بعد عين

وضح مما تعهدتم ان لكل مجلس في كل دور افكاراً ثابتة واخرى غير ثابتة ولما كان الغالب فيما يعرض عليه هي المسائل العامة كان

التردد في الاراء هو التالبا لما يجتمع في نفس كل عضو من
تأثير الناخين وتأثير القواد في المجالس

على ان القواد هم أصحاب الكلمة في أغلب المسائل التي
ليس للاعضاء فيها رأى ثابت من قبل . وضرورة أولئك
القواد ظاهرة . لانهم يجدون في كل هيئة نيابية عند جميع
الامم بعنوان رؤساء الفرق . أولئك الرؤساء هم السلاطين
في كل مجلس . لان الرجل في الجماعة لا يستغنى عن السيد .
ومن هنا كانت قرارات المجالس النيابية لاتمثل إلا رأى عدد
صغير من اعضائها

والقليل من تأثير القواد في تلك المجالس راجع الى
فصاحتهم . وكثيره يستمد من نفوذهم . برهانه انهم اذا
فقدوا نفوذهم انعدم تأثيرهم

وهذا النفوذ شخصى لادخل فيه للاسم والشهرة . ومن
غرائب الامثلة ما أتى به موسيو (جول سيمون) في عرض
كلامه في مجلس نواب سنة ١٨٤٨ الذي كان عضواً فيه قال :
« لم يكن لويز نابوليون شيئاً منذ كوراً قبل ان يتم له
السلطان بشهرين

ارتقى (فيكتور هيجو) منبر الخطابة فلم ينل نجاحاً بل
سمعه الناس كما يسمعون (فيلكس بايات) ولكنهم ! يصفقوا
له مثله . قال لي (فولاييل) عن (بايات) انه لا يحب افكاره
ولكنه كاتب كبير وهو أكبر خطباء فرنسا . كذلك (ادجار
كينيه) على علمه وقوة مفكرته لم يكن ا. شأن يذكر فان
صيته ذاع قبل افتتاح المجلس فلما جاء اليه تخلت عنه شهرته
والمجالس النيابية هي المكان الوحيد في الارض الذي يضعف
فيه نور الذكاء الفائق . فليس هناك للفصاحة قيمة الا ما
وافق منها أحوال الزمان . المكان . ولا اهتمام الا بالخدم التي
أديت للأحزاب لا للوطن . واذا كانت المجالس النيابية قد
كبرت شأن (لامارتين) سنة ١٨٤٨ و (تير) سنة ١٨٧١
فما ذلك الا بتأثير الضرورة الشديدة الحالة ولهذا بعد ان
زال الخطر شفي الناس من واجب الشكران ومن الخوف
مأً »

نقلت هذا القول للاستفادة من الحوادث الواردة فيه لا
من البيان الذي اشتغل عليه لانه يدل على علم ناقص جداً بأحوال
النفس . اذا الجماعة لا تكون كذلك اذا عرفت لقائدها ما

قد يكون اداءه من الخدم للوطن أو للحزب على خدراءه .
والجماعة انما تطيع قائدها . موقفه بسلطان نفوذه فيها من
دون ان يقرن ذلك عندها بمنفعة او شكران

لذلك اذا كان للقائد نفوذ كبير فتسلطه عظيم . وكلنا
يعرف هذا النائب الشهير الذى كانت له الكلمة العليا عدة
سنين بما اوتي من النفوذ حتى فقد مركزه على أثر بعض
الحوادث المالية . كانت اشارة منه تكفى لقلب الوزارة وقد
اوضح احد الكتاب مقدار تأثير ذلك النائب فى الكلمات الآتية
« انا مدينون لموسيو فلان وحده . بكوننا اشترينا التونكين
بثلاثة اضعاف ما تساويه وبكوننا لم نضع فى مدغشقر الا قدماً
مترعزة . وبكوننا غبنا فى مملكه كاملة جنوب نهر النيجر
وبكوننا اضعفنا ما كان لنا من النفوذ الخاص فى الديار المصرية
الا ان نظريات موسيو (فلان) قد كلفتنا من الخسائر
اكثر من مصائب نابوليون الاول^(١) »

(١) لعل المؤلف يشير الى موسيو كليمانسو الذى سعى هدام
الوزارات ولو تأخر صدور هذا الكتاب الى الآن لغير المؤلف رأيه فى

على انه لا ينبغي تشديد النكير على هذا القائد وان كان قد كلفنا كثيراً لان أكثر نفوذه جاءه من تتبع رأى العام . ولم يكن الرأى العام انذاك فى المسائل الاستعمارية كما هو عليه الآن . ومن النادر ان يسبق القائد الرأى العام والغالب انه يسير خلفه ويتبعه فى انخطأ

للقائد فى اقناع قومه وسائل غير النفوذ هى التى ذكرناها مراراً . ولا بد له فى قيادتهم من ان يكون قد وقف على حقيقة الروح السارية فيهم ولو من طريق الوجدان وعرف طريقة التكلام معهم . فينبغى له على الأخص ان يعرف ما لبعض الالتاظ من التأثير الذى يجذب نفوس السامعين وان يكون على جانب من الفصاحة المخصوصة التى تقوم بالتوكيد الشديد الخالى من الدليل وبالصور الأخاذة المحلاة بالحجج الناقصة . هذه فصاحة موجودة فى كل مجلس من المجالس النيابية حتى البرلمان الانكليزى الذى هو أكثرها اعتدالا

قال الحكيم الانكليزى (ماين) « من السهل ان تقرأ دائماً

الرجل القابض اليوم على زمام السياسة الفرنسية المترع فى رئاسة نظارها ونظارة خارجيها وله فى السياسة العامة مقام كبير (م)

مدارلات لمجلس العموم مدارها تبادل كليات ضعيفة
وشخصيات حادة فلمثل هذه الصيغ الكلية تأثير كبير في
خيال أهل الديمقراطية المحضة. ومن المبسور على الدوام جعل
الجماعة تقبل القضايا العامة اذا قدمت لها بالفاظ جذابة ولو
كانت من القضايا التي لم يحققها أحد. وربما كانت لا تحتمل
التحقيق»

يؤخذ من ذلك انه لاحد لتأثير « الالفاظ الجذابة »
الذكورة وكم أتينا على بيان قوة الالفاظ والجل. وما ينبغي
أن يختار منها بما يمثل صوراً مؤثرة. واليك جملة تمثل ماتقدم
اقتطفناها من خطابة أحد قواد مجالسنا « يوم يركب السياسي
الافين والفوضوى السفالك ظهر باخرة واحدة تهودها الى
منفاهما في الاراضى الحمية ذلك هو اليوم الذى يتجاذث فيه
الرجلان ويظهر كل واحد منهما لآخيه ممثلاً احدى صورتى
نظام اجتماعى واحد»

فالصورة التى يمثلها هذا المقال واضحة. وقد شعر خصوم
الخطيب كلهم انهم مهددون بها. فهم يرون الاراضى الحمية
مقرونة برؤية البخرة التى تهودهم اليها لانهم من حزب أولئك

سياسيين الذين يهددهم ذلك العقاب . هنالك تولايم ألفزع
الذى كان يدخل قلوب (المتعاهدين) اذ يسمعون (روبسين)
يهددهم بمنجاة^(١) الاعداء فيدينون له على الدوام

من مصلحة القواد أن يأتوا بالمبالغات التي لا يجوز في
العقل تصورهما فن ذلك ما أكدته الخطيب الذي نقلنا عنه
الصورة المتقدمة ولم يعارضه احد معارضة تذكر من ان
أرباب المصارف المالية والقسوس يواسون الذين يقذفون
قنابل الديناميت . وان مديري الشركات المالية الكبرى
يستحقون الجزاء الذي يستحقه القوضيون . لمثل هذه
التوكيدات دائماً في الجماعات . ولا يرمى الخطيب
بالتطرف كيفما بالغ وأكد كما انه لا حرج عليه وان تعسف في
الطعن واشتد في الهجاء ولا نظير لهذه الفصاحة من حيث
التأثير في السامعين لانهم ان جنحوا للمعارضة خافوا تهمة
الخيانة او الاشتراك مع المجرمين

سادت هذه الفصاحة في المجالس النيابية في كل زمان كما

قدراً . وهى تستند فى ازمة الشدة . ومن افيد المطالبات
قراءة الخطب التى كان كبار الخطباء يلقونها فى مجالس الثورة
فقد كانوا يشعرون بالحاجة الى قطع الكلام حيناً فحيناً لتفريح
الجرم وتمداح الفضيلة . ثم تهر الشائم من افواههم على
الظالمين . ويقسمون انهم اما ان يعيشوا احراراً واما ان يموتوا
ويقف الحاضرون يصفقون كمن بهم جنة . ثم يسكن جاشهم
فيجلسون

قد يكون القائد احياناً ذكياً متعلماً ولكن ذلك يكون
مضراً به فى الغالب . لان الذكى يميل الى بيان مافى المسائل
من اوجه التعقيد . ويقبل المناظرة والتفاج . وذلك يؤدى الى
التسامح والانعضاء ويكسر كثيراً من حدة العقيدة وحدة
العقيدة لازمة للرسالة . وكان اكبر القوادى فى الإلم خصوصاً
قوادى الثورة الفرنسية من قصار العقول جداً وكان اكبرهم
تأثيراً اشداهم قصراً فى العقل . فان الانسان ليدش مما يراه
من التخطى عند مطالعة رسائل اعظمهم قدراً وهو (روبسبير)
ومن لم يقرأ غيرها من ترجمة حياته لا يجد ما يعلل به قوة
ذلك المسيطر الجبار قال بعضهم يصفها « صيغ كلية جارية على

كل لسان . وشقشقة في الفصاحة المحفوظة من كتب التربية والتعليم على الطريقة اللاتينية اجتمعنا في نفس خلوها اكثر من انحطاطها . نفس تكاد لا تعرف من وسائل الهجوم او الدفاع الا ما تعودته التلاميذ من قول الواحد منهم لزميله « هيا من مبارز » وليس هناك رأى ولا تدبير ولا شاردة . غف مل وشدة مشمة . فاذا فرغ القارىء من تلك المطالعة المملة شعر بالحاجة الى قول أف كما كان يفعل الرجل الظرف « كاميل ديمولان »

من المفزعات ما يناله الرجل ذو النفوذ من السلطة اذا صدقت عقيدته وقصر عقله . على انه لا بد لاستجماع ذلك في الانسان حتى يستهين بالصعاب ويعرف كيف يريد . وللجماعات شعور كالألهام يهديها الى معرفة الرجل الذي اودعت فيه قوة العزيمة المبنية على صدق العقيدة فتدين لسلطته . انما ينبجج الخطباء في المجالس النيابية بما لهم من النفوذ لا بقوة البراهين التي يقيمونها . واصدق شاهد على ذلك انه اذا وقع لاحد ما يفقده نفوذه فانه يفقد معه تأثيره اعنى قدرته على ادارة الآراء كما يشاء .

واما الخطيب المجهول الذي يذهب الى الجلسة بعد ان يكون قد اعد خطابه ودعما بالحجج ولم يكن لديه الا الحجج والادلة فلا رجاء له حتى في الاصغاء اليه . وقد وصف موسيو (دبكوب) وهو احد النواب ومن علماء النفس المدققين النائب الذي لا نفوذ له في السطور الآتية « اذا استوى - الموصوف - على منبر الخطابة اخرج من محفظته اوراقا فشرها امامه على الترتيب وشرع يخطب . طمثنا . وهو يفخر في نفسه بأنه سيثبت عقيدته لتسكين روح سامعية . لانه وزن ادلته وحررها . واعد شيئا كثيرا من الاحصاءات والحجج . واثبت ان الحق في جانبه . وان معارضه لا يثبت امام الحقيقة الناصعة التي تأتي بها . هكذا يبدأ معتمداً على صواب رأيه واصغاء اخوانه لاعتقاده انهم لا يطلبون الا السجود امام الحق . وبينما هو يخطب اذ تأخذه الدهشة من اضطراب الحاضرين . ثم يتقزز بالوضوء الناتجة من ذلك الاضطراب . ويتساءل كيف لا يسود السكون . وما السبب ياترى في هذا الانصراف العام . وما الذي يدور على السنة اولئك الذين يتحدثون فيما بينهم وما السبب القوي الذي يحمل ذلك

على ترك مجلسه . يداءل الخطيب هكذا والحيرة تعلو جنبه
 فيفرك حاجبيه ويمسك عن الكلام وشجته الرئيس فيعود
 بصوت يرتفع . فيزيد الاعضاء في عدم الاصغاء اليه .
 فيجهر ويبتز . فتزداد الجلبة حواله . ويعود لا يسمع نفسه
 فيمسك عن الكلام مرة أخرى . ثم يخشى أن يدعو سكوتة
 الى أصوات (الاقفال الاقفال) فيرجع الى خطابه بمافيه من قوة .
 وهناك تعلو الجلبة ويختلط الحابل بالنابل مما لا يقدر على وصفه
 الواصفون »

ومن خواص المجالس النيابية انها اذا انحرك شعورها
 وارتقت في الهياج الى درجة معلومة تصير كالجاعات العادية
 المختلفة العناصر سواء بسواء فتغلو الى النهاية في مشاعرها .
 وتذهب الى أقصى مراتب الشجاعة وآخر درجات التطرف
 في القسوة . اذ ذاك لا يصير الرجل نفسه بل يبعد عنها بعداً
 يحمله على تقرير ما يخالف منافعه كل المخالفة

والذي يقرأ تاريخ الثورة الفرنسية يدرك الى أي حد
 تفقد المجالس شعورها وتخضع لما يطلب منها وان خالف اعز
 المنافع لدى افرادها . كان من أكبر الضحايا ان يتنازل

الشرفاء عن امتيازاتهم ومع ذلك فعلوه غير مترددين ذات ليلة من ليالى « الدستورية » وكان تنازل المتعاهدين عن تقديس أشخاصهم منذراً لهم بالويل والدماء ولكنهم فعلوا وما خسر تقبيل بعضهم بعضاً ولا أُرهبهم اعتقاد كل واحد منهم أنه يسوق الى الاعدام لا محالة كما يسوق هو اليوم اخوانه اليه غير أنهم كانوا قد وصلوا الى حالة من التهييج جعلتهم كآلات تتحرك من نفسها على ما وصفنا فلم يعد هناك من الاعتبارات ما يقوى على صددهم عن اتباع الهوى المتمكن من صدورهم اليك ما قاله أحدهم (يلو فارين) مما يوضح ما ذكر « ما كنا لثريد القرارات التى ياومنا الناس من أجلها قبل أن نصدرها يومين اثنين بل يوم واحد ولكن المحنة هى التى كانت تملها » وما أصدق ما كتب

كانت جلسات التعاقد متفردة بالالاعور كما عرفت بالهياج قال تايين « لقد اقرؤا وشرعوا ما كانوا يجزعون له اشد الجزع ولم يكتفوا فى ذلك بالحقايق والجنونيات . بل شرعوا الاثام وقتل الابرياء واعدام الاصدقاء وانضم حزب الشمال الى حزب اليمين وقرر بمعة بالاجماع وسط التصفيق الشديد ارسال

(دانون) الى الانجلة وكان رئيسه الطبيعي وموجد الثورة وقائد زمامها وما، الميز، الى الشمال فقرر معه بالاجماع وسيطة التصفيق الشديد افظم الاوامر التي اصدرتها الحكومة الثورية وبين اصوات الاعجاب والنشوة تدفق الميل والانعطاف نحو (كوانت ديربوا) و (كوطن) و (روبسبير) فحدد (المتعاقبون) انتخاب أعضاء الحكومة الثورية وابقاءها على منصة الحكم وهي الحكومة القتالة التي كان يبغيها السهل لجرمها ويمقتها الجبل لانها كانت تحصد اصطلاح السهل مع الجبل واتفق القليل مع الكثير ورضى الجميع بمساعدة قاتليهم على اعدامهم ثم في يوم ٢٢ من الشهر تقدمت رقاب تلك الحكومة الى التقطيع وبعد ذلك بقليل تقدمت اليه أيضاً تلك الرقاب عقب خطاب روبسبير «

قد يكون الوصف اقم ولكنه الحق الواقع والصفات المتقدم ذكرها توجد في المجالس النياية المتبعة التي سكربت بخمر فكر من الافكار فتصبو كالقطيع المتحرك يسوقه كل دافع وقد وصفها على هذه الحال موسيو (سبولر) وهو شورى لا يشك احد في صدق افكاره الديمقراطية وصفا

دقيقاً نذكره للقراء هنا عن (المجلة الادبية) ويرى القارى فيه جميع المشاعر المتعارفة التى قدمنا ذكرها وتمثل فيها التقلبات الشديدة التى تنتقل بها الجماعات من الضد الى الضد من لظة الى أخرى . قال موسيو (سبولر)

« ان التنافر والحسد وسوء الظن ثم الثقة العمياء والآمال التى لا نهاية لها اوردت الحزب الجمهورى حتفه فلقد كان له من السذاجة مالا يساويه الا سوء ظنه المطلق . لا يدرك شرعية الامور ولا يفقه للنظام معنى . دعر وآمال لا تنتهى حالتان يستوى فيهما الرقى والطفل فسكونهما يضارع قلقهما . ووحشيتهما تماثل طاعتهما ذلك شأن المزاج الذى لم يرتب والتربية التى انعدمت . لا يندهشان لامر وكل امر يفقد هما الصواب يرتجفان ويرهقان وفيهما الاقدام والشجاعة . فيقتحمان النار . ويجفلان من الظل . ويجفلان العلل والمعلولات . ويسارعان الى الفتور مسارعتهما الى التهوس . فيهما استعداد للفرع والذهول . ويتخبطان من الافراط الى التفريط فلا يعرفان الوسط ولا القدر الذى ينبغى ابداً . أليس من الماء تنعكس فيهما جميع الالوان . وتشكلان بكل البصور

أى رجاء فى حكومة تؤسس فوقها»

لكن من حسن الحظ ان جميع الصفات التى اتينا على ذكرها فى المجالس النيابية لا تظهر دائماً . لان تلك المجالس لا تكون جماعات الا فى بعض الاحايين . والغالب ان كل عضو من اعضائها يحفظ ذاتيته على استقلال . ومن هنا صبح لها ان تسن من القوانين الفنية ما هو حسن للغاية . نعم ان الذى يضع هذه القوانين انما هو اختصاصى واحد يحضرها فى سكون مكتبته وكل قانون اقره المجلس هو صنع فرد واحد لا صنع المجلس كله . ولكن القوانين التى وضعت بهذه الكيفية هى احسن ما يشرع وانما يكون القانون ضاراً اذا ادخلت عليه فى الهيئة تعديلات رديئة فجعلته من صنع الجماعة ذلك لان صنع الجماعة اخط درجة من عمل الفرد دائماً وفى كل مكان . والاختصاصيون هم الذين ينجون المجالس النيابية من الوقوع فى الاعمال المضرة التى لا يهذبها الاختبار . فالاختصاصى يكون عند ذلك قائداً وقتياً يؤثر فى المجالس ولا تأثير للمجلس فيه

المجالس النيابية هى أحسن الوسائل التى اهتمت اليها الامم

في حكم نفسها وبالاخص في التخلص ما استطاعت من نير
المظالم الشخصية مع ما عليه المجالس المذكورة من صعوبة
الحركة . وهي على التحقيق أرقى أشكال الحكومات ان لم
يكن عند الكافة فعند الفلاسفة والمفكرين والكتاب وأهل
الفنون والعلماء وبالجملة عند كل عنصر من العناصر التي تتكون
منها ذروة الحضارة في الامم

على اننا اذا نظرنا اليها من الجهة العملية لا نرى لها الا
ضررين كبيرين . الاول تبذير الاموال تبذيراً لا مناص منه .
والثاني الترقى في تحديد الحرية الشخصية

فاما الضرر الاول فميو نتيجة عدم تبصرة الجماعات
الانتخابية . فاذا قدم أحد الاعضاء طلباً لسد حاجة اجتماعية
ديمقراطية ولو في الظاهر كتقرير معاش لجميع العملة أو زيادة
مرتبات بعض خدمة الريف والمعلمين وهكذا لا يسع الاعضاء
الآخرين ان يرفضوه بخوفهم من الناخبين حتى لا يظهروا
بمظهر من لا يهتم بمصالحهم ولو كانوا على يقين من أن الطلب
يبهظ الميزانية ويفضى الى تقرير ضريبة جديدة . اذن يستحيل
عليهم الرفض . اما نتائج الزيادة في المصروفات فهي بعيدة ولا

تأثير لها في أشخاصهم إلا قليلاً بخلاف مالو رفضوا الطلب فان
النتيجة تتجلى يوم يضطرون للوقوف امام الناخبين وما ذلك
اليوم يبعد

وهناك سبب قوي آخر يستلزم زيادة المصروفات وهو
الاضطرار لمنح المصروفات المحلية اذ لا يجراً عضو في المجلس
على رفض طلبها لكونها في منفعة الناخبين مباشرة . ولأنه
لا يتمكن من نيل ما يريد له لمركزه الا اذا أقبر ما يطلبه زملاؤه
لمراكزهم^(١)

(١) ذكرت جريدة (ايكونوميست) في عددها الصادر
بتاريخ ٦ ابريل سنة ١٨٩٥ ياناً غريباً لتنفقات التي تكلفها تلك
المصالح المحلية في سنة واحدة وخصوصاً السكك الحديدية . فكان كما
باتى : الخط بين (لانجاي) وسكانها (٣٠٠٠) نسمة وهي منزوية
في احد الجبال و (بوى) خمسة عشر مايوناً . والخط بين
(بومون) وسكانها (٣٥٠٠) نسمة و (كاستيل سازاران)
سبعة ملايين . والخط بين (اوست) وسكانها (٥٢٣) نسمة
و (سيكس) وسكانها (١٢٠٠) نسمة سبعة ملايين . والخط بين
(براد) و (كفرة) (اوليت) وسكانها (٧٤٧) نسمة سبعة ملايين

وأما الضرر الثاني وهو التدرج في تقييد الحرية الشخصية تدرجاً قهرياً كذلك فهو ضرر محقق وإن كان اقل وضوحاً من الاول . وهو نتيجة القوانين العديدة التي لا تدرك المجالس النيابية نتائجها تماماً لبطء افكارها ولكونها تحسب انها مضطرة لتقنينها وليست القوانين الا قيوداً .

وهكذا . وبلغ مجموع كلفة السكك الحديدية التي تقرر انشاؤها في سنة ١٨٩٥ وحدها ولم يكن لها منفعة عامة مطلقاً تسعين مليوناً وستبلغ مصروفات تنفيذ قانون معاشات العمال ١٦٥ مليون بحساب ناظر المالية أو ٨٠٠ مليون بحساب (لوروا بوليو) عضو جمعية العلوم ولا يخفى ان استمرار زيادة المصروفات على هذا النحو يؤدي الى الافلاس . وقد وصل اليه كثير من الممالك في اوروبا مثل البرتغال واليونان واسبانيا وتركيا ومنها ما اصبح قادماً عليه مثل ايطاليا . الا انه لا داعي للاهتمام كثيراً بما ذكر لان الناس قبلوا نقص الفائدة التي تدفعها تلك البلاد على ديونها بمقدار اربعة الاحاس من دون انتعاش كبير . وهي تقاليس محكمة التدبير تسمح لائمها باصلاح ميزانياتها . على ان الحروب والاشتركية والمزاحمات الاقتصادية تضرر لامعائب اشد وانكى . وقد دخلتنا في زمن التفكك والتحلل العام . فعائنا الرضا بالعيش يوماً بيوم . وان لا نهتم بالغد لانه ليس في ملكنا

والظاهر انه لا مفر من هذا الخطر لان انكثرت نفسها لم
 تمكن من اتقائه مع ان نظامها النيابي اكمل المنظمات لان
 النائب الانكليزي اكبر النواب استقلالاً امام ناخبيه وقد
 أشار (هربرت سبنسر) منذ زمن بعيد الى ان الزيادة
 الظاهرية في الحرية الشخصية لا تلبث ان تتبع بنقص حقيق
 فيها ثم عاد الى هذه النظرية في كتابه الذي سماه (الفرد
 والحكومة) ومما قاله « جرى التشريع منذ ذلك الحين على
 النحو الذي أثرت اليه . فما اسرع ما كثرت اللوائح القسرية
 وكلها ترمى الى تحديد الحرية الشخصية . وذلك من طريقين .
 الاول ان كل سنة قد أريت على سابقتها في كثرة اللوائح
 التي تلزم الافراد بواجبات كانوا احراراً منها . وتفرض عليهم
 اعمالاً كانت مباحة ان شاؤوا فعلوها وان شاؤوا اهملوها . والثاني
 زيادة الضرائب العامة التي يجب على الافراد القيام بها وذلك
 يحرمهم من ثمرات كسبهم بقدر ما يزيد في المال الموكول
 صرفه الى مشيئة الموظفين العموميين »

وهذا الترقى في تحديد الحريات يظهر في جميع البلاد بصورة
 واحدة لم يذكرها (هربرت سبنسر) وهي ان احداث تلك

القوانين المقيدة ينتج حتما زيادة عدد الموظفين المكلفين بتنفيذها ثم هو يقوى نفوذهم . ومآل أولئك الموظفين بهذه الطريقة ديمورتهم سادة البلاد المتمدة الحقيقيين . لان طائفتهم هي التي لا ينالها أثر التقلبات المستمرة التي تظراً على حكومة البلاد ولذلك كانت سيطرتها شديدة على قدر ثبوت قدمها في الوظائف فهي الطائفة الوحيدة التي لا تبعة عليها من اعمالها ولا شخصية لاحد في مجموعها وهي باقية على لدوام ومن المعلوم ان اشد صور الاستبداد هي التي اجتمعت فيها تلك الصفات الثلاث

ان الاستمرار على سن هذه القوانين واللوائح المقيدة لحرية الناس والتي تحيط بكل حركة من حركاتهم وأن صغرت بسور من الاجراءات (البيزنطية) من شأنه ان يضيق دائرة العمل الذي لا قيد فيه لكن الأثم قد خدعت في خيالها فحسبت ان الاكثار من القوانين توكيد لضمان الحرية والمساواة وصارت تقبل كل يوم قيداً ثقيلاً

على انها لا مهرب لها من نتيجة هذا الرضا فان التعود على احتمال النير كل يوم يفضى بها الى تطلبه وفقدان ملكة الاقدام وقتل

العزلة فتصبح حينئذئراً بعد عين والآلات تنفعل بمجرة
غيرها لا إرادة ولا صلابة ولا قوة

وإذا فقد الانسان المقدمات في نفسه اضطر الى طلبها في
غيره وكلما ازداد عدم اهتمام الافراد وضعفهم اشتدت سلبية
الحكومة وقويت شوكتها بالضرورة . هنالك تضطر الى
ابدال اقدامهم على الاعمال باقدامها والقيام مقامهم في الاخذ
بيد المشروعات كلها والتداخل في تنظيم سير الافراد دونهم
لانهم اضاعوا ملكة ذلك كله - وتصبح الحكومة مكلفة
بان تعمل كل شيء وتدير كل شيء وتحمي كل شيء فتصير
الهاء قادراً . الا ان التجربة دلت على ان قدرة مثل هذا
الاله لم تكن قوية ولم تدم الا قليلا

والظاهر ان الترقى في تقييد الحريات عند بعض الامم التي
تظن انها متمتعة بها لما هي فيه من الاطلاق الصوري ناشئ
من هرمها كما ينشأ عن هرم أى نظام كان . وذلك نذير دور
الانحطاط التي لم تنج منه مدينة حتى الآن

وإذا قسنا الحاضر بالماضى ورجعنا الى العلامات التي تبدو
من كل صوب حكمتنا بان عدداً كبيراً من مدنياتنا الحاضرة

قد وصل الى اقصى حدود الهرم الذى هو طليعة الانحطاط
والظاهر انه لا بد لجميع الامم من عبور هذه السبيل لان التاريخ
يروى لنا انه دور كثيراً ما تجدد

ولقد يسهل بيان الادوار التى تتقلب فيها المدينيات بقول
موجز وهو الذى نريد ان نختم به هذا الكتاب فلعل فيه
توضيحاً لاسباب قوة الجماعات

اذا سبرنا المدينيات التى سبقت مدينتنا فى حالتها الرقى
والانحطاط فما الذى نثر عليه

نثر فى فجر هذه المدينيات على خليط من الناس مختلف
الاجناس جمعهم عفواً الهجرة والاغارات والفتوحات ولكونهم
اختلفوا فى المعتقدات واللغة وديناً لم يكن بينهم من الرابطة
العمومية الا سلطة الرئيس على ضعف اعترافهم بها . وفى
نلك المجامع المختلطة نشاهد صفات الجماعات بارقى صورها
فلما منها الائتلاف الوقتى . والشجاعة والضعف . والاندفاع
والقسوة . وعدم ثبات شىء من ذلك ان هم الاقوام
متوحشون

ثم دار الزمان فادى وظيفته . وأخذت جامعة البيئته وتكرار

التناسل وماجابات الغيشة الاجتماعية تؤثر اثرها شيئاً فشيئاً
وبدأت اجزاء المجموع المختلفة تمتزج بعضها ببعض وتكون
شعباً أى تركيباً ذا صفات عامة ومشاعر متشابهة تمكنها
الوراثة كل يوم هكذا صارت الجماعة أمة وآن لهذه الامة ان
تخرج من دائرة الهمجية

على انما لا تخرج منها الا اذا تكون لها مقصد عام تشخص
اليه . وذلك لا يتم الا بعد مجهودات طويلة . ومغالبات متجددة
على الدوام . وبدايات يخططها الحصر . وسواء كان المقصد العام
الوهمية روما او تعظيم ائتنا او نصرة الله فهو يكفي لتوحيد
افكار افراد الامة وهى فى دور التكوين

هنالك تتولد مدنية جديدة بما تقتضيه من المنظمات
والعقائد والفنون وينجر الشعب وراء مقصده . ويصل الى ما
ينيله الابهة والجلال والقوة والاعظام . نعم تعرض له احوال
يكون فيها جماعة الا انه يكون له خلف صفاتها المتقلبة ذلك
الموجود القوى اعني روح الشعب فهمى التى تقيد تقلباته وتحددها
وتضع للمصادفات نظاماً مسنوناً -

فاذا تم الزمان صنته الالهى يبدأ بصنعه الاعدامى الذى

لم ينج منه عابد ولا معبود فتقف المدينة عند وصولها الى حد معين من الشوك والتشعب ومتى وقفت اسرع اليها الانحطاطا. لا محالة فقد اقربت الشيخوخة ودنت ساعة الاجل علامة تلك الساعة التي لا مفر منها تكون دائماً ضعف اليقين بالمقصد الذي اتكأت عليه روح الشعب وكلما ازوى عود هذا الخيال اندكت صروح الدين والسياسة والاجتماع التي كانت تستمد منه حياتها

كلما ازوى خيال الشعب فقد هو علة امتزاجه . وداعى وحدته . وموجد قوته . وتمت شخصية الافراد . وعظم الذكاء فيهم غير ان ذلك يصطحب بحلول الاثرة الشخصية المفرطة محل الاثرة القومية . ووراءه انطباع الاخلاق . وضعف القدرة على العمل . ويصبح ذلك التركيب الذي كان يكون امة - اى وحدة وان شئت فقل كتلة - جماعاً ولغاً من افراد غير مؤتلفين . لا رابطه بينهم الا الجامعة الصناعية الآتية من التقاليد والنظمات ومتى وصل الناس الى هذه الحال من اقتراق المنافع واختلاف النزعات وعدم الاهتمام الى طريقة يحكمون بها انفسهم جدوا في طلب من يقودهم في جميع

أعمالهم وان صغرت فتأتى الحكومة بسلطانها وتبتلع كل شئ ،
 واذا تم فقدان الخيال تم فقدان روح الامة . فتعود خليطاً
 من الناس كل يعمل على شاكلته . وترجع الى ما كانت عليه
 في بدايتها جماعة لها منها جميع الصفات الوقتية . فلا شعور .
 ولا امل . هنالك تنعدم اساطين المدنية . وتسمى هدفا لحوادث
 الاتفاق . وتصير العامة سلطنة في الناس . وتبدو طلائع
 المتوحشين . وقد يلوح على المدنية انها باقية في بهائها لان مجيهاها
 لا يزال يضىء بما اكسبته الاجيال الطويلة من البهجة والرواء
 ولكن الحقيقة انه بناء اكله السوس وفقد دعائمه واستعد
 للسقوط بأى عاصفة

فمن همجية الى حضارة وراء مقصد في الخيال . ومن
 حضارة الى انزواء . فموت حين يضمحل الخيال . هذا مدار
 حياة الاعم



فهرست

صحيفة

مقدمة العرب

٢ مقدمة المؤلف

تمهيد

٩

زمن الجموع

نطور أهل الوقت الحالى - فى ان تغييرات المدنية العظيمة نتيجة
أفكار الامم - اعتقاد أهل هذا العصر بقوة الجماعات - فى ان هذا
الاعتقاد يحول الدول عن سياستها التقليدية - كيف تسود سلطة
طبقات الأمة وكيف تجري تلك السلطة - النتيجة اللازمة لسلطة
الجماعات - فى أن الجماعات لا تستطيع الا الهدم - فى انها هى التى تجهز
على المدنية التى وهن بناؤها - فى الجهل العام باحوال الجماعات
النفسية - أهمية الوقوف على تلك الاحوال عند الشارع والسباسبى

الباب الأول

روح الجماعات

الفصل الاول

المميزات العمومية للجماعات وقانون وحدتها الفكرية النفساني
 ما الجماعة عند علماء النفس - في ان مجرد اجتماع عدد كبير من
 الافراد لا يكفي لتكون جماعة - في اتحاد وجهة افكار الافراد
 الذين تتألف الجماعة منهم ومشاعرهم وانعدام شخصياتهم - في ان الجماعة
 خاضعة دائماً لحكم اللاشعور - انزواء الحياة الشعورية وظهور الحياة
 اللاشعورية - انحطاط القوة العاقلة وتغير الاحساس تغيراً شديداً - في
 ان ذلك الاحساس المتغير يكون أحسن أو أردأ منه في الاشخاص الذين
 تتألف الجماعة منهم - سهولة اندفاع الجماعة الى الشجاعة والى الشر

الفصل الثاني

مشاعر الجماعات وأخلاقيها

(١) قابلية الجماعة للاندفاع والتقلب والغضب - الجماعة العويبة

في يد المهيجات الخارجية وهي تمثل تقلباتها المستمرة .. البواعث التي تدفع الجماعة الى الفعل قوية جداً تمنح امامها المنفعة الخاصة - لاشئ من افعال الجماعة يصدر عن قصد وروية - تأثير الاخلاق القومية في الجماعة (٢) قابلية الجماعة للتأثر والتصديق - طاعة الجماعة للمؤثرات

في انها تأخذ الخيالات التي تمثل لها - عقائق ثابتة - علة اجماع افراد الجماعة على النظر الى تلك الخيالات بكيفية واحدة في التساوى بين العالم والبلد في الجماعة - بعض أمثلة للخيالات التي يتأثر بها افراد الجماعة كلهم - في استحالة الاعتقاد بصحة قول الجماعة - في ان اتفاق العدد العديد من الشهادات من اردأ الأدلة على اثبات أمر معين - ضعف قيمة الكتب التاريخية

(٣) في غلو مشاعر الجماعة وبساطتها - الجماعة لا تعرف الشك ولا التردد وتذهب دائماً الى التطرف - في ان مشاعر الجماعة زائدة على الحد دائماً

(٤) في ان الجماعة قليلة المسالمة ميالة الى التسلط والامرة والمحافظة على القديم - في علة تلك الصفات - في خنوع الجماعة أمام السلطة القوية - في ان نزوع الجماعة الى الثورة وقتاً من الاوقات لا يمنع من كونها محافظة للغاية - في ان مشاعر الجماعة تضاد التمثلات والترقي (٥) في اخلاق الجماعة - قد تكون اخلاق الجماعة احط كثيراً من اخلاق افرادها وقد تكون ارقى منها كثيراً تبعاً للمؤثرات التي تتأثر بها - علة ذلك وأمثاته - قلما تكون المنفعة باعث العمل عند الجماعة مع انها هي الداعي الوحيد للفرد في عمه - شأن الجماعة في تهذيب الاخلاق

الفصل الثالث

صفحة

٧٠ أفكار الجماعات وتقلها وتخيلاتها

(١) افكار الجماعات — الافكار الاساسية والافكار التبعية — في اجتماع الافكار المتناقضة — تغير الافكار العالية حتى تصل الجماعات الى ادراكها — اثر الافكار في الهئية الاجتماعية بمعزل عما تشتمل عليه من الحقيقة

هـ (٢) تعقل الجماعات — عدم قابلية الجماعات للتأثر بالمعقول — درجة تعقل الجماعة منحطة دائماً — لا تشابه ولا تلازم بين الافكار التي تجمع الجماعات بينها الا في الظاهر

(٣) تخيل الجماعات — شدة تخيل الجماعة — أما تخيل الجماعات بواسطة الصور وهي تتوارد عليها من غير جامعة بينها أصلاً — إنما يشتد تأثير الجماعات من الاشياء بالجهة الخلابة فيها — خلاصة الاشياء وما فيها من الاقاصيص هما اساس المدينة الحقيقية — تخيل الجماعات كان على الدوام قوة رجال السياسة في الامم — كيف تبدو الحوادث التي لها قوة التأثير في تخيل الجماعات

صفحة الفصل الرابع

٨٥ الصبغة الدينية التي تتكيف بها اعتقادات الجماعات

ما هو الشعور الدينى — الشعور الدينى مستقل عن عبادة
 الألوهية — مميزات الشعور الدينى — قوة المعتقدات التى لها صبغة
 دينية — أمثلة شتى — فى أن آلهة العامة لم تزل — فى الصور الجديدة
 التى تظهر بها تلك الآلهة — الشكل الدينى للإلحاد — أهمية هذه
 المبادئ من الجهة التاريخية — فى أن الإصلاح أو قيام البروتستانتية
 وواقعة صانت بارتلمى وزمن (الهول) وجميع الحوادث المماثلة هى أثر
 مشاعر الجماعات الدينية لا أثر إرادة فرد واحد



الباب الثاني

أفكار الجماعات ومعتقداتها

الفصل الاول

العوامل البعيدة في معتقدات الجماعات وأفكارها .

العوامل التحضيرية لمعتقدات الجماعات - في ان ظهور معتقدات الجماعة نتيجة اختبار سابق - البحث عن العوامل المختلفة في تلك المعتقدات

(١) الشعب وماله من التأثير الاول - في انه مستودع مترك الآباء

(٢) التقاليد وكونها خلاصة روح الشعب - اهمية التقاليد من الجهة الاجتماعية - في انها تصبح مضرة بعد ان كانت لازمة

في ان الجماعات تشد اختفاظاً للأفكار التقليدية .
 (٢) الزمن وكونه يهيء استقرار المعتقدات ثم زوالها - في
 انه هو الذي يولد النظام من الفوضى
 (٤) المنظمات السياسية والاجتماعية - في الخطأ في تقدير
 تأثيرها - في ان تأثيرها ضعيف جداً - في انها آثار لا مؤثرات -
 في انه لا يتيسر للأمم ان تختار منها ما تظنه الاحسن - في ان
 المنظمات عناوين يندرج تحت الواحد منها امور متخالفة بالمرّة -
 كيف توجد المنظمات - في انه لا بد لبعض الأمم من بعض نظم
 ردئة نظرياً كجمع السلطة وتوحيدها
 (٥) التعليم والتربية - خطأ الناس في افكارهم الحالية من
 حيث تأثير التعليم في الجماعات - بعض ايضاحات من الاحصاءات -
 التربية اللاتينية تضعف الاخلاق - في التأثير الذي يمكن ان يكون
 للتعليم - امثلة عن امم مختلفة

صفحة الفصل الثاني

١٢٦ العوامل القريبة في أفكار الجماعات

(١) الصورة والالفاظ والجل - فيما للالفاظ والجل من القوة

السحرية — في ان قوة الالفاظ مرتبطة بالصور التي تخيلها في الخيال
وغير متعلقة بمعناها الحقيقي — في ان تلك الصور تختلف باختلاف
الازمان والامم — كثرة الالفاظ — امثلة على كثرة اختلاف معاني
بعض الالفاظ المستعملة — الفائدة السياسية من اطلاق اسماء جديدة
لمسميات قديمة متى صارت اسماءها الاولى تحدث تأثيراً سيئاً في نفوس
الجماعات — اختلاف معاني الالفاظ الواحدة باختلاف الامم — اختلاف
معنى ديموقراطية في اوروبا وفي امريكا

(٢) في الاوهام — في اهمية الاوهام — في ان الاوهام
موجودة في اساس كل مدنية — ضرورة الاوهام في الاجتماع — في
ان الجماعات تفضل الوهم على الحقيقة

(٣) التجارب — يجوز ان تولد التجارب وحدها في نفوس
الجماعات حقائق لازمة وتهدم اوهاماً ضارة — انما تؤثر التجارب اذا
كثرت — ما تقتضيه التجارب اللازمة لاقناع الجماعات

(٤) العقل — عدم تأثيره في الجماعات — في انه لا يمكن التأثير
في الجماعات الا من طريق مشاعرها الغريزية — شأن المنطق في التاريخ
— في الاسباب الخفية للحوادث الخارجة عن المعقول



الفصل الثالث

صفحة

١٤٧ قواد الجماعات، وطرقهم في الاقتناع

(١) قواد الجماعات — حاجة الجماعات النظرية الى قائد تطيعه —
روح القواد — القواد هم الذين يمكنهم وحدهم إيجاد الاعتقاد ووضع
نظام للجماعات — استبداد القواد نتيجة لازمة — أنواع القواد — شان
الارادة

(٢) وسائل التأثير التي يستعملها القواد — التوكيد والتكرار
والعدوى — تأثير كل واحد من هذه العوامل — كيف ترتقى العدوى
في الامة من الطبقة السفلى الى الطبقة العليا — في ان الفكر يكون
للعامه فلا يلبث أن يصير عاما

(٣) النفوذ — تعريف النفوذ وانواعه — النفوذ المكتسب
والنفوذ الشخصي — امثلة متنوعة — كيف يزول النفوذ

الفصل الرابع

صفحة

١٧٩ حدود تقلب معتقدات الجماعات وأفكارها

(١) في المعتقدات الثابتة - في عدم تقلب بعض المعتقدات العامة -
في أن هذه المعتقدات هي التي تهتدى بها المدينة - في صعوبة إزالتها
- في أن التعصب أحد فضائل الأمم من بعض الوجوه - في أن بطلان
معتقد عقلا لا يؤثر في انتشاره ورسوخه

(٢) فيما للجماعات من الأفكار غير الثابتة - في أن الأفكار التي
لا ترجع إلى المعتقدات العامة كثيرة التغير - في أن تغيير المعتقدات
والأفكار يظهر في أقل من قرن واحد - في حدود هذا التغير
الحقيقية - فيما يكون فيه التغير - في أن زوال المعتقدات العامة في
العصر الحاضر وشدة انتشار المطبوعات مما يزيد في كثرة تغيير
الأفكار - في أن أفكار الجماعات تميل إلى عدم الاهتمام بكثير من
الأحوال - في ضعف الحكومات عن قيادة الأفكار كما في الزمن
السابق - في أن شعب الأفكار في الزمن الحاضر يتمتع من تسلطها
تسلط القاهر المستبد

البيانات

صفحة

١٩٩

أقسام الجماعات وبيان أنواعها

الفصل الاول

أقسام الجماعات

اقسام الجماعات العامة -- انواعها

(١) الجماعات المختلفة العناصر - اوجه اختلافها - تأثير الشعب في ان روح الجماعات تكون ضعيفة بقدر ما تكون روح الشعب قوية - في ان روح الشعب تمثل حالة الحضارة وروح الجماعات تمثل حالة الهمجية

(٢) - الجماعات المؤلفة العناصر - أنواعها - الافتاء والطوائف والطبقات

الفصل الثاني

صفحة

الجماعات الجارمة .

٢٠٦

يجوز ان تكون الجماعة جارمة شرعاً لكنها لا تعد كذلك فلسفياً - في ان افعال الجماعة لاشعورية محضة - امثلة شتى - روح جماعة

شهر ستمبر -- افكارها وشعورها وقسوتها واخلاقها

الفصل الثالث

صفحة

٢١ العدول المحامون امام محاكم الجنايات

الصفات العامة للعدول — في ان الاحصاء يدل على انه لا تلازم بين قراراتهم وكيفية تشكيلهم — كيف يتأثر العدول — ضعف تأثير الدليل العقلي — طريقة الاقتاع التي استعملها اشهر المحامين — الجرائم التي يرأف العدول بمن ارتكبها او التي يقسون من اجلها — قائمة العدول وخطر تبديلهم بالقضاة

الفصل الرابع

صفحة

٢٢٥ جماعات الانتخاب

الصفات العامة لجماعات الانتخاب — طريقة اقتاعها — الصفات التي يجب ان تكون للمرشح — ضرورة النفوذ — السبب في ان العملة والصناع قلما ينتخبون للنائب من بينهم — سلطان الالفاظ والجل على الناخب — صورة المناقشات الانتخابية — كيف يتكون رأى الناخب — سلطان اللجان — في انها تمثل أندصور الاستبداد — لجان الثورة الفرنسية — من المتعسر الاستعاضة عن الاقتراع العام كيفما

كانت قيمته ضعيفة — في بيان ان النتيجة تكون هي بناتها اذا قصر
حق الانتخاب على فريق من الاهلين — في معنى الاقتراع العام عند
كل امة

صفحة الفصل الخامس

المجالس النيابية ٢٤٠

أكثر الصفات العامة للجماعات المختلفة العناصر غير الانسية توجد
في الجماعات النيابية — بساطة الافكار — الانفعال وحدوده —
الافكار الثابتة والافكار المتقلبة — السبب في ان التردد هو الغالب —
شأن القواد — سبب نفوذهم — هم الذين لهم الكلمة في المجلس
بحيث ان رأى الجميع يرجع الى رأى عدد محدود من الاعضاء —
سلطان القواد الشامل — اركان خطابهم — الالفاظ والصور — في
ان الضرورة تقتضى ان يكون القواد مقتعين بما يلقون من الاراء
وان يكونوا من قصار النظر — في انه يستحيل ان قبل اراء الخطيب
الذى لا نفوذ له — غلو مشاعر الهيئة سواء كانت طيبة أو رديئة —
في انها تحرك أحياناً بحركة نفسية — في جلسات « المتعاهدين » —
في الاجوال التى لا يكون للهيئة فيها صفة الجماعة — تاثير الاختصاصيين
في المسائل الفنية — منافع النظام النيابى ومضاره في كل امة — في ان
النظام موافق لاحتياجات العصر ولكنه يؤدى الى تبذير الاموال
وتحديد جميع الحريات شيئاً فشيئاً — خلاصة الكتاب
.. تم الكتاب ..

﴿ تصحيح خطأ ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٥	١٤	تقيم	تقيم
٢٨	١٧	ولكن	ولكن
٣٢	١٢	قابلية	قابلية
٣٥	٨	وحصدوا	وحصد
٤٢	٨	حال	حائلي
٤٣	١٦	بها	بهن
٥٦	٢	يعبده	تعبد
٦٤	١٦	اذ	اذا
٦٨	١٢	مرزولة	مرذولة
٨٦	١٣	لاوامره	لاوامرها
٨٦	١٣	تعاليمه	تعاليمها
٨٩	٢	لقس	لقسوس
٩٦	٤	التربة	التربة
٩٨	١	مدننه	مدننه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٣	١٥	التريية	التريية
١٠٧	١٥	بداء	بدأ
١١٢	١٤	بتعليمها	بتعلمها
١١٥	١٧	يختار	يختارون
١١٨	١٧	الشباب	الشاب
١٢٠	١	يقدرُوا	يقدرُون
١٣٤	١٧	أطل	أطيل
١٤٦	١١	الذات	الذات
١٥٢	٥	يحددون	يحددون
١٥٣	١٦	تقسم	انقسم
١٧٢	١٧	السلف	الخلف
١٧٣	١	الخلف	السب
١٧٣	١	نره	نراه
١٧٤	٢	ابلع	بلغ
٢٠٢	٧	ذكرنا	ذكرناه
٢١٠	١٥	المهتمين	المهتمين
٢١٧	١٦	التي جاء بها	الذي جاء به
٢١٩	٨	بشمرته الانحراف	بشمرته بالانحراف
٢٣٥	٧	طبناً	طبناً

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الاولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادغو باتنيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقي جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كارييتيكوفا	أحمد الحضري
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إيفيتش	سعد مصطوح روفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكي
٨- مشعل الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التفيزات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد منتسم ربيع الطيلب الأزدي وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	فيسوفا شيمبورسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	نيفيد براونستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب طوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفي
١٦- أثنية السوداء (ج١)	مارتن برنال	يشارف أحمد عثمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نديم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ك. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١- خوذة وآلف خوذة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سميد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارنر	بكر عباس
٢٥- مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين فيكل	أحمد محمد حسين فيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجد	جيمس ب. كارس	پدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادغو باتنيكار	أحمد فؤاد بليغ
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار العلوجى وعبد الوهاب طوب
٣٢- الانقراض	ييفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	أحمد فؤاد بليغ
٣٤- الرواية العربية	روجر آلن	حصه إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	پول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	واحة سيرة وموسيقاها	٣٧-
أنور مغيث	ألن تورين	نقد العدائنة	٣٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الحسد والإغريق	٣٩-
محمد عيد إبراهيم	أن سكستون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم لطفى ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين بارير	عالم ماك	٤٢-
المهدي أخريف	أوكثافيو ياث	الذهب المزدوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألدوس هكسلى	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دينيا وجون فاين	الثراث المفقود	٤٥-
محمود السيد على	ياجلو نهرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاشي	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب طوب	ه . ت . نوريس	الإسلام فى البلقان	٤٩-
محمد بركة وعثمانى الميلى ويوسف الأنطكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوييا وخ. م. بينياليستى	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	٥١-
لطفي فطيم وعادل دمرداش	ب. نولافيس . ديسفيتز ودجر بيل	العلاج النفسى التدميمى	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجنون	الدراما والتعليم	٥٣-
محسن مصيلحى	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الاعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الاعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحيرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لذة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	ألان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد الطيف عبد الطيم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدي أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالتين راسيوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد لمهى	عبد الرشيد إبراهيم	العالم الإنسلافي فى القرنين العشرون	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد هشاد	أوخيفير تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	جين ب . تومكينز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أنثريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وأغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العلمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسپنسكى	سميد القاننى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم القفرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بنديكت أندرسن	محمد طارق الشراوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بين	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شبيحة
٨٥-	منصور العلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرزاق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون وألقم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنثونى جينز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	رسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وأخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	ياريرا لاسوتسكا - بشتونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	كتاب بنسطين المسرح الإسترادى المعمار	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محفلات العولمة	مايك فينرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب طوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصعبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرى بايخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إمبار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مسألة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإبريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياه (شعر)	عبد الوهاب المذهب	محمد بنيس
١٠٤-	أويرا ماهوجنى (مسرحية)	برتول بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيب
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دمردو
١٠٧-	مدرسة الفانى فى الشعر الأندلسى للتجنى للمعمار	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجميدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	هروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيستون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانت
١١٤- مسرحيات حماد كونيى وسكان المستنق رول شوينكا
١١٥- غرفة تخص المرأة وحده فرجينيا وراف
١١٦- امرأة مختلفة (مريه شفيق) سينثيا تلسون
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلى أحمد
١١٨- النهضة النسائية فى مصر بث يارون
١١٩- النساء والاسرة ولواتين الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلى أبو لغد
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢- نظام العبيبة القديم والتصورج النكاح للامان جوزيف فوجت
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقتها النولية أنيتل ألكسندرو فنادولينا
١٢٤- الشعر الكائن: إلهام الرأسمالية العالمية جون جراى
١٢٥- التعليل الموسيقى سيدرك ثوب بيقى
١٢٦- فعل القراءة فولانج يسير
١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى
١٢٨- الآب المقارن سوزان باسنيت
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريلا دواورس أسيس جاروت
١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوتنر فرانك
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين
١٣٢- ثقافة العمالة مايك فينرستون
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على
١٣٤- تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت
١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو
١٣٧- مذكرات غابيل فى الصلة الفرنسية على مصر جوزيف ماري مواريه
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان
١٣٩- باريسفيل (مسرحية) ريتشارد فاچنر
١٤٠- حيث تلقى الأنهار هيريت ميسن
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر
١٤٤- صاحبة اللكائنة (مسرحية) كارلو جولونى
١٤٥- موت أرتيميو كروت (رواية) كارلوس فوينتس
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميچيل دى ليس
١٤٧- مسرحيات تانكريد دورست
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكي أندرسون إميرت
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت ولونجيس عاطف فضول
١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليتمان
- أحمد حسان
نسليم مجلى
سمية رمضان
نهاد أحمد سالم
منى إبراهيم وهالة كمال
لميس النقاش
بإشراف: روف عياس
مجموعة من المترجمين
محمد الجندى وإيزابيل كمال
منيرة كروان
أنور محمد إبراهيم
أحمد فؤاد بلع
سمحة الخولى
عبد الوهاب علوب
بشير السباعى
أميرة حسن نويره
محمد أبو العطا وآخرون
شوقى جلال
لويس بقلر
عبد الوهاب علوب
طلعت الشايب
أحمد محمود
ماهر شفيق فريد
سحر توفيق
كاميليا حبيشى
وجيه سمعان عبد المسيح
مصطفى ماهر
أمل الجبورى
نعيم عطية
حسن بيومى
عدلى السمري
سلامة محمد سليمان
أحمد حسان
على عبدالرؤف الببى
عبدالغفار مكابى
على إبراهيم منوفى
أسامة إسبر
منيرة كروان

يشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	١٥١-
محمد محمد الخطابي	مجموعة من المؤلفين	عدالة الهند وقصص أخرى	١٥٢-
فاطمة عبدالله محمود	فيولان فانويك	غرام الزراعة	١٥٣-
خليل كلفت	فيل سليتر	مدرسة فرانكفورت	١٥٤-
أحمد مرسى	نخبة من الشعراء	الشعر الأمريكي المعاصر	١٥٥-
مى التلمساني	جى أنبال وآلان وأديت فيرمو	المدارس الجمالية الكبرى	١٥٦-
عبدالعزیز بقوش	التظامى الكتجوى	خسرو وشيرين	١٥٧-
يشير السباعي	فرنان برودل	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	١٥٨-
إبراهيم فتحي	ديفيد هوكس	الأيديولوجية	١٥٩-
حسن بيوى	بول إيرليش	آلة الطبيعة	١٦٠-
زيدان عبدالحليم زيدان	أليخاندرو كاسينا وأنطونيو جالا	مسرحيتان من المسرح الإسباني	١٦١-
صلاح عبدالعزيز محجوب	يوحنا الأسوي	تاريخ الكنيسة	١٦٢-
بإشراف: محمد الجوهري	جورجون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	١٦٣-
نبيل سعد	جان لاكوثير	شامبوليون (حياة من نور)	١٦٤-
سهير المصانفة	أ. ن. أفاناسيفا	حكايات التلمب (قصص أطفال)	١٦٥-
محمد محمود أبوغدير	يشعياهو ليفمان	العلاقات بين التتدين والطوائف في إسرائيل	١٦٦-
شكرى محمد عياد	رايندرنات طاغور	في عالم طاغور	١٦٧-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	دراسات في الأدب والثقافة	١٦٨-
شكرى محمد عياد	مجموعة من المؤلفين	إبداعات أدبية	١٦٩-
بسام ياسين رشيد	ميجيل دليبيس	الطريق (رواية)	١٧٠-
هدى حسن	فوانك بيجو	وضع حد (رواية)	١٧١-
محمد محمد الخطابي	نخبة	حجر الشمس (شعر)	١٧٢-
إمام عبد الفتاح إمام	ولتر ت. ستيس	معنى الجمال	١٧٣-
أحمد محمود	إيليس كاشمور	صفاء الثقافة السوداء	١٧٤-
وجيه سمعان عبد المسيح	لورينزو فيلشس	التليفزيون في الحياة اليومية	١٧٥-
جلال البنا	توم تيتنبرج	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	١٧٦-
حصه إبراهيم المنيف	هنرى تروايا	أنطون تشيخوف	١٧٧-
محمد حمدي إبراهيم	نخبة من الشعراء	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	١٧٨-
إمام عبد الفتاح إمام	أيسوب	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	١٧٩-
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	قصة جاويد (رواية)	١٨٠-
محمد يحيى	فلسفت. ب. ليتش	الله الأمريكي من التجنيد إلى التثبيد	١٨١-
ياسين طه حافظ	وب. بيتس	العنف والنبوة (شعر)	١٨٢-
فتحي العشري	ريتبه جيلسون	جان كوكو على شاشة السينما	١٨٣-
دسوقي سعيد	هانز ايندورفر	الفاخرة: حالة لا تنام	١٨٤-
عبد الوهاب علوب	توماس تومسن	أسفار العهد القديم في التاريخ	١٨٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ميتافيل إنزود	معجم مصطلحات هيجل	١٨٦-
محمد علاء الدين منصور	يوزف طوى	الأرض (رواية)	١٨٧-
بدر الديب	ألفين كرتان	موت الأدب	١٨٨-

سعيد القاننى	بول دى مان	١٨٩-
محسن سيد فرجاني	كونفوشيوس	١٩٠-
مصطفى حجازى السيد	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	١٩١-
محمود علوى	زين العابدين الراغى	١٩٢-
محمد عبد الواحد محمد	بيتر أبراهامز	١٩٣-
ماهر شفيق فريد	مجموعة من النقاد	١٩٤-
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	١٩٥-
أشرف الصباغ	فالتين راسپوتين	١٩٦-
جلال السعيد الحفناوى	شمس العلماء شبلى النعمانى	١٩٧-
إبراهيم سلامة إبراهيم	إدوين إمري وآخرون	١٩٨-
جمال أحمد الرافى وأحمد عبد الطيف حماد	يعقوب لانداز	١٩٩-
فخرى ليب	چيرمى سيبروك	٢٠٠-
أحمد الأنصارى	جوزايا روس	٢٠١-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	٢٠٢-
جلال السعيد الحفناوى	ألفاف حسين حالى	٢٠٣-
أحمد هويدى	زالمان شازار	٢٠٤-
أحمد مستجير	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	٢٠٥-
على يوسف على	چيمس جلايك	٢٠٦-
محمد أبو العطا	رامون خوتاسندير	٢٠٧-
محمد أحمد صالح	دان أوربان	٢٠٨-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢٠٩-
يوسف عبد الفتاح فرج	سنائى الفرنزى	٢١٠-
محمود حمدى عبد الفنى	جوناثان كلر	٢١١-
يوسف عبدالفتاح فرج	موزيان بين وستم بين شروين	٢١٢-
سيد أحمد على القانصرى	ريمون قلادر	٢١٣-
محمد محبى الدين	أنتونى جينز	٢١٤-
محمود علوى	زين العابدين الراغى	٢١٥-
أشرف الصباغ	مجموعة من المؤلفين	٢١٦-
نادية البنهاوى	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	٢١٧-
على إبراهيم متولى	خوليو كورتاثان	٢١٨-
طلعت الشايب	كاند إيشجور	٢١٩-
على يوسف على	بارى پاركر	٢٢٠-
رفعت سلام	چريجورى جوزدانيس	٢٢١-
نسيم مجلى	رونالد جواى	٢٢٢-
السيد محمد نفاذى	پاول فيرايند	٢٢٣-
منى عبدالظاهر إبراهيم	برانكا ماجاس	٢٢٤-
السيد عبدالظاهر السيد	جابريل جارتيا ماركيث	٢٢٥-
طاهر محمد على البريرى	ديفيد هريت لورانس	٢٢٦-
	امى والبيرة ملاذلى بلغة التت العاشر	
	معارفات كونفوشيوس	
	الكلام وأسماول وقصص أخرى	
	سباحة نامه إبراهيم بك (چ١)	
	عامل المنجم (رواية)	
	مختارات من النقد الانجلو-امريكى الحديث	
	شماه ٨١ (رواية)	
	المجلة الأخيرة (رواية)	
	سيرة الفاروق	
	الاتصال الجماهيرى	
	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	
	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	
	الجانب الدينى للفلسفة	
	تاريخ النقد الأدبى الحديث (چ٢)	
	الشعر والشاعرية	
	تاريخ نقد العهد القديم	
	الجينات والشعوب واللغات	
	الهيوالية تصنع علماً جديداً	
	ليل افريقى (رواية)	
	شخصية البربرى فى المسرح الإسرائيلى	
	السرد والمسرح	
	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	
	فردينان بوسوسير	
	قصص الأمير موزيان على لسان الصيول	
	سرس ستر قدم نابليون حتى رحيل مبداتاسر	
	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	
	سباحة نامه إبراهيم بك (چ٢)	
	جوانب أخرى من حياتهم	
	مسرحتان طليعيتان	
	لعبة المجلة (رواية)	
	بقايا اليوم (رواية)	
	الهيوالية فى الكون	
	شعرية كنانى	
	فوانز كافكا	
	العلم فى مجتمع حر	
	دمار يوغسلافيا	
	حكاية غريق (رواية)	
	أرض المساء وقصائد أخرى	

الاسيد عبدالظاهر عبدالله	السرحد الإنسانية في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	مأزق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	عن الذباب والفئران واليشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	الدرايفل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	ما بعد المعلومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	ديوان شمس تيريزي (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	الولاية	٢٣٦-
عنايات حسين طلعت	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعمرى مدهولي أحمد	العولة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	العربي في الأدب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محبوب إدريس	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ابتهسام عبدالله	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبري محمد حسن	سبعة أنماط من الغموض	٢٤٢-
باشرف: صلاح فضل	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	الغليان (رواية)	٢٤٤-
توفيق علي منصور	نساء مقالات	٢٤٥-
علي إبراهيم منوفي	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد طارق الشرفاوي	الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر	٢٤٧-
عبداللطيف عبدالعليم	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	لغة التمزق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
باشرف: محمد الجوهري	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
علي بدران	واندات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومي	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	أقدم لك: ديكارت	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كُحيلة	الفجر	٢٥٨-
فاروقان كازانجيان	مختارات من الشعر الأرميني غير المعصور	٢٥٩-
باشرف: محمد الجوهري	موسوعة علم الاجتماع (ج٣)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
علي يوسف علي	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-
	هوراس وشلي	
	جون جرين	
	إدوارو مندوتا	
	زكي نجيب محمود	
	جوردون مارشال	
	نخبة	
	سير أنجوس فريزند	
	وايم كلي رايت	
	ديف روينسون وجودي جروفرز	
	ديف روينسون وجودي جروفرز	
	ديف روينسون وكريس جارات	
	ج. سينسر تريمينجهام	
	مولانا جلال الدين الرومي	
	ميشيل شوفيكفيتش	
	روين فيلين	
	تقرير لمنظمة الإنكثار	
	جيلا رامواز - رايوخ	
	كاي حافظ	
	ج. م. كوتزي	
	وايام إمبسون	
	ايلى يوفنسسال	
	لاورا إسكييل	
	إليزابيتا أديس وآخرون	
	جابريل جارثيا ماركيث	
	والتر أرميرست	
	أنطونيو جالا	
	دراجو شتامبيوك	
	دومنيك فيتك	
	جوردون مارشال	
	مارجو بدران	
	ل. أ. سيمينوفا	
	ديف روينسون وجودي جروفرز	
	ديف روينسون وجودي جروفرز	
	ديف روينسون وكريس جارات	
	وايم كلي رايت	
	سير أنجوس فريزند	
	نخبة	
	جوردون مارشال	
	زكي نجيب محمود	
	إدوارو مندوتا	
	جون جرين	
	هوراس وشلي	

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبد المنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عروكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (ج٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	وليم چيفور بالجيريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (ج٢)	وليم چيفور بالجيريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. پاترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لعملة مراهى فى مصر	چوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة ياربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	مصمود على مكى
٢٧٥-	د. س. إليوت شاعرًا وثانيًا وكاتبًا مسرحيًا	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجنينات والصراع من أجل الحياة	برايين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وأخرون	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد المليم شرر	جلال المنقراوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس رولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرؤف البيعى
٢٨٤-	هرقل مجنونًا (مسرحية)	يوريبينيس	أحمد عثمان
٢٨٥-	رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحات نامه إبراهيم بك (ج٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعملة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وأخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبد المنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورج موانان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ للسرح الإسباني فى القرن العشرين (ج١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ للسرح الإسباني فى القرن العشرين (ج٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وأخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الاسطوره	چوزيف كاميل وييل موريز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	نيونيسيوس ثوكسى ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا العبيدية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	استغرابا ورويليس فى القرنين التاسع عشر والعشرين (ج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وها. چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	استغرابا ورويليس فى القرنين التاسع عشر والعشرين (ج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنششتين	چون هيتون وجوى جروافز	إمام عبد الفتاح إمام

٢٠٢- أقدم لك: بوذا	جين هوب ويون فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالايارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد باييتو وهوارد سليتا	محمود مكي
٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورين فان لو	ممنوح عبد المنعم
٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٢١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيس الدين مزيد
٢١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢- روح الشعب الأسود	وليم دييويوس	أسعد حليم
٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعدي
٢١٤- مارسيل لوشامب: الفن كعدم	چانيس مينيك	هويدا السباعي
٢١٥- جوامع في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٢١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧- بلا غد	س. شير لايمولف- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩- صور نريدا	جايتري سينفك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج. ٢، ج١)	إيليا برو تشنال	بإشراف: صلاح فضل
٢٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	ديليو يوجين كلينباور	خالد مطلق حمزة
٢٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٢٢٤- القبع بالثار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٢٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب يوسان	كرستين يوسف
٢٢٦- المعرفة والمصلحة	يوجين هارماس	حسن صقر
٢٢٧- مقترحات شعرية مترجمة (ج١)	نخبة	توفيق علي منصور
٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز يقوش
٢٢٩- رسائل عبد الميلاء (شعر)	تد ميوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامي صلاح
٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جري	سامية دياب
٢٣٢- شهر الفصل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٢٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	تيميل مطر	بكر عباس
٢٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ثالثي ساروت	فتحي العشري
٢٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولا	چوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٢٣٩- تاريخ الأدب في إيران (ج٢)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيريرجولو	فخري لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمي
٢٤٢-	سلامان وأيسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجاسي	عبد العزيز يقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	فاندين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيرو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونو نداسي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدي	جمال الجزيري
٢٤٧-	الصبيبة الطائشون (رواية)	چان كوككو	بكر الحلو
٢٤٨-	التصوف الأولون في الألب التركي (ج١)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	ليليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدمورين وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	باتوراما الحياة السباحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	چوزايا رويس	أحمد الانصاري
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامي في الألب الزخرفة الهندسية	باسيليو يابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٤-	الفن الإسلامي في الألب: الزخرفة النباتية	باسيليو يابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٢٥٥-	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مروتجي	محمود علاوي
٢٥٦-	الميراث المر	يول سالم	بدر الرفاعي
٢٥٧-	متون هرمس	نيموشي فريك وييتز غاندي	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشاروتي
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشرييني
٢٦١-	التصحّر: التهديد والمجابة	آلان جرينجر	عاطف معتقد وآمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شيدورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التصوير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبري محمد حسن
٢٦٤-	حادثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سام باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجريء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	چيرالد پرنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة في ألب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	فوزية العشماوي
٢٧٠-	الفن والحياة في مصر الفرعونية	كلير لا لويت	فاطمة عبدالاحد محمود
٢٧١-	التصوف الأولون في الألب التركي (ج٢)	محمد فؤاد كوبريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة مكتورة	أومبرتو إيكو	علي إبراهيم منوفي
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو الزيد
٢٧٦-	النفس وأحلام السنن (مسرديات)	چان أنوي وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الألب في إيران (ج١)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنيل باث .	٢٧٩- ملك في الحقيقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتنر جراس	٢٨٠- حديث عن الخضارة
رائيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادی	بهاء الدين محمد اسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابيل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشترى العشق (رواية)
روهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	جون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨- مراعات سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تفاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. في. رويرتس	٢٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى
منى الترويس	مايف بينشى	٢٩١- المحاولة الليككية (رواية)
عبداللطيف عبدالعليم	فرنانفو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	ندوة لويس ماسينيون	٢٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سيلاش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيتى شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عيد المنعم	زياولن ساردر وآخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: سنتيفن هوكنج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- رية للطرق والملايس تصنع الناس (روايتن)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الحسى
حمادة إبراهيم	أنفريه جيد	٤٠٥- إيزابيل (رواية)
جمال عيد الرحمن	مانويلا مانقاناريس	٤٠٦- المستعمرون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإنسانى المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	چوان لوتشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بغورة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	چينييفر أكرمان	٤١١- هسس من الماضى
إياشرف: صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (٦٠٠ ج٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كلزانولفا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأداب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش دورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحة)
محمد مصطفى بدوى	أ. ا. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جده)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨-	سجلات الزمر الحاكمة في مصر الشاذلية	جيم هاثواي	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبي للإسكندرية	جون مارلو	نسليم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميخاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول	روى متحدة	أشرف كيلاني
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبدالواثق إبراهيم
٤٢٣-	إسرارات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامي	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاروس إلى فرح	محمود طلومي	محمود علوي
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور زبدي الحليظ بطوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باي إنكلان	ثريا شلبي
٤٢٨-	الخرافة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافي
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سينسر وأندرجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندرجي كليوفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وفردان جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافلي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلت	حمدي الجابري
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زيريج	ناجي وشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحلة هندي في بلاد الشرق العربي	شبلو النعماني	جلال الحفناوي
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المراهبي (رواية)	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحليظ بطوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشراوي
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرون داني روي	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشيسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاني
٤٤٣-	لغة العربية: تاريخها ومسئولياتها وتأثيرها	كيس فرستينغ	محمد طارق الشراوي
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	الكسندر كوكبون وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	ملحمة السيد	تراث شعبي إسباني	الطاهر أحمد مكي
٤٤٨-	الفلاحون (ميراث الترجمة)	الاب جيروم	محي الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وودن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

محمود سيد أحمد	فريدريك كويلستون	٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)
هويدا عزت محمد	مريم جعفرى	٤٥٦- لا تتسنى (رواية)
إمام عبدالفتاح إمام	سوزان مولر أوكين	٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى
جمال عبد الرحمن	مرثيديس غارثيا أرينال	٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون
جلال البنا	توم تيتنبرج	٤٥٩- نمو مفهوم لاتصايبات الموارد الطبيعية
إمام عبدالفتاح إمام	ستوارت هود ولينزا جانستز	٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية
إمام عبدالفتاح إمام	داريان ليدر وجودى جروفز	٤٦١- أقدم لك: لكان
عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى	٤٦٢- طه حسين من الأثر إلى السوربون
كمال السيد	ويليام بلوم	٤٦٣- الدولة المارقة
حصة إبراهيم المنيف	مايكل بارنتى	٤٦٤- ديمقراطية للقلّة
جمال الرفاعى	لويس جئزيرج	٤٦٥- قصص اليهود
فاطمة عبد الله	ثيولن فانويك	٤٦٦- حكايات حب ويطولات فرعونية
ربيع وهبة	ستيفن ويلز	٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية
أحمد الأنصارى	جوزايا رويس	٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة
مجدى عبدالرازق	نصوص حبشية قديمة	٤٦٩- جلال الملوك
محمد السيد الننة	جارى م. بيرنيسكى وآخرون	٤٧٠- الأراضي والجودة البيئية
عبد الله عبد الرزاق إبراهيم	ثلاثة من الرحالة	٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)
سليمان العطار	ميغيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)
سليمان العطار	ميغيل دى ثريانتس سابيدرا	٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)
سهام عبدالسلام	بام موريس	٤٧٤- الأدب والنسوية
عادل هلال غنانى	فرجينيا دانيلسون	٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم
سحر ثوفيق	ماريلين بوث	٤٧٦- أرض العجايب بعيدة: بيرم التونسي
أشرف كيلانى	هيلدا هوخام	٤٧٧- طرح السيد منذ ما قبل الصريح حتى القرن العشرين
عبد العزيز حمدى	ليوشيه شنج و لى شى تونج	٤٧٨- الصين والولايات المتحدة
عبد العزيز حمدى	لاى شه	٤٧٩- المقهى (مسرحية)
عبد العزيز حمدى	كو مو روا	٤٨٠- تساي ون جى (مسرحية)
رضوان السيد	روى متحدة	٤٨١- بردة النبى
فاطمة عبد الله	روبير چاك تيبو	٤٨٢- موسمة الأساطير والرموز الفرعونية
أحمد الشامى	سارة چامبل	٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية
رشيد پنحدو	هانسن روبرت ياورس	٤٨٤- جمالية التلقى
سمير عبدالحميد إبراهيم	نذير أحمد الدهلوى	٤٨٥- التوبة (رواية)
عبدالحميد عبدالغنى رجب	يان أسمن	٤٨٦- الذاكرة الخضارية
سمير عبدالحميد إبراهيم	رفع الدين المراد أبابى	٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى
محمود رجب	إدموند هُسرل	٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علماً دقيقاً
عبد الوهاب علوب	محمد قادرى	٤٩٠- أسرار اليفاء
سمير عبد ربه	نخبة	٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأترىلى
محمد رفعت عواد	جى لارجيت	٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة

خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
كتاب الممتي: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصفي
اللوبس	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري
الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين
العلمانية والنوع في الشرق الأوسط	نادية الطلي	مصطفى رياض
النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريوز	أحمد علي بدوي
تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
في طوفان: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز روكي	طلعت الشايب
تاريخ النساء في الغرب (ج١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصطفى
كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصطفى
ربما كان قديساً (رواية)	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهمي
المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبد الباقي جليانزلي	عبد الله أحمد إبراهيم
الفرقوا وإنسان في مصر سلطنة المالك	أدم صيرة	قاسم عبده قاسم
الأرملة المأكدة (مسرحية)	كارلو جولوني	عبد الرزاق عيد
كوكب مرقع (رواية)	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريجان	جمال عبد الناصر
العلم الجسود	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي
مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كراي	مصطفى بيومي عبد السلام
من التقليد إلى ما بعد العداثة	فدوى مالحى لوجلاس	فدوى مالحى لوجلاس
إرادة الإنسان في علاج الإيمان	أرونوك واشنطن ودينا باوندي	صبرى محمد حسن
نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الانصاري
الواع الفرنسي بصر من الظلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبيان
قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبد الوهاب بكر
إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	علي إبراهيم منوفي
الفن اللطيف الإسلامي والمندج	باسيليو بايون مالفونانو	علي إبراهيم منوفي
الملك لير (مسرحية)	وايم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
موسم صيد في بيرويت وقصص أخرى	دنيس جونسن	نادية رفعت
أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرويل وويليم راتكين	محبي الدين مزيد
أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميوفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري
أقدم لك: تروتسكي والماركسية	طارق علي ولز إيلمانز	جمال الجزيري
بدائع العلامة إقبال في شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٢١-	ما الذي حدث في حقه ١١ سبتمبر؟	جاء دريدا	صفاء فتحي
٥٢٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٢٣-	تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشراوي
٥٢٤-	الإسلاميون الجولثريون	سيفرين لايا	حمادة إبراهيم
٥٢٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكتجوي	عبد العزيز بقوش
٥٢٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل منتجشون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٢٧-	الحب والحرية (شعر)	نخبة	عبد الغفار مكاوي
٥٢٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانييلز	محمد الحنيدى
٥٢٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥١٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رولف عباس
٥١١-	في تحليل وملاص أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة دوق
٥١٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نسيم عطية
٥١٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥١٤-	أقدم لك: ميلاني كلارين	روبرت هنتشل وآخرون	حمدي الجابري
٥١٥-	يا له من سباق محموم	فرائسيس كريك	عزت عامر
٥١٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥١٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وأن كورس	جمال الجزيري
٥١٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرين ويون فان لون	حمدي الجابري
٥١٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كويلي وليتا جانز	جمال الجزيري
٥٢٠-	أقدم لك: شكسبير	تيك جروم وينيو	حمدي الجابري
٥٢١-	الموسيقى والعزلة	سايمون مائدي	سمحة الخولي
٥٢٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	علي عبد الرزاق البمبي
٥٢٣-	مدخل لشعر القرنين الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٢٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبد السميع عمر زين الدين
٥٢٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصر الدين الجبالي
٥٢٦-	أقدم لك: جان بولرير	كريس هوروكس وزوران جييفتك	حمدي الجابري
٥٢٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٢٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زويدين ساردارويووين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٢٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالمهي أحمد سالم
٥٣٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٣١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٣٢-	بلايين ويلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٣٣-	روبه الغريب (مسرحية)	خايفنتو بينابيتي	صبري حمدي التهامي
٥٣٤-	عش الغريب (مسرحية)	خايفنتو بينابيتي	صبري حمدي التهامي
٥٣٥-	الشرق الأسط المعاصر	مبيورا ج. جيزو	أحمد عبد الحميد أحمد
٥٣٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٣٧-	الوطن المقتضب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٣٨-	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي يابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير رويرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجتانس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤-	مصر القيمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعملة	نجير وونز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كرويدي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي مينوكوشي	محمد إبراهيم ومصام عبد الرزق
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكي	جون ماغر وچوي جرونز	محیی الدين مزید
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جون فينر ديول سينرجز	بشارف: محمد فتحي عبد الهادي
٥٨١-	الحق يمتون (رواية)	ماريو بوزد	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجزيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزيث مالكموس وروى أرمن	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبد العزيز حمدي
٥٨٨-	أمنوت الثالث	أنيس كامبول	ماهر جويجاتي
٥٨٩-	تمتكت العجينة	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرزاق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من المبررات الشعبية للفنتية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١-	الشاعر والفكر	هورانتوس	علي عبدالتراب علي وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبري السورويوني	مجدي عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليري	يكر الطور
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أماني فوزي
٥٩٥-	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج ٢)	إكوانو يانولي	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية في العالم	روبرت ديجارليه وآخرين	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروياروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكثبان إسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي علي قنديل
٥٩٩-	للسفة الشرق	هرداد موهين	محمود علاوي
٦٠٠-	الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	محدث طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن يكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢-	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد المثالي	آرثر أيزنبرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسلطوي
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	پاتريك لي. أبوت	توفيق علي منصور
٦٠٥-	مخاطر كركنا المضطرب	إرنست زيبورسكي (المصغير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦-	قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدني

صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبى	٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (ج١)
صبرى محمد حسن	هارى سينت فيليبى	٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (ج٢)
شوقى جلال	أجنر فوج	٦٠٩- الانتخاب الثقافى
على إبراهيم منوفى	رفائيل لويث جوشمان	٦١٠- العمارة النجدة
نفرى صالح	تيرى إيجلتون	٦١١- النقد والأيدىولوجية
محمد محمد يونس	فضل الله بن حامد الحسينى	٦١٢- رسالة النفسية
محمد فريد حجاب	كولن مايكل هول	٦١٣- السياحة والسياسة
منى قطان	فوزية أسعد	٦١٤- بيت الأقصر الكبير (رواية)
محمد رفعت عواد	أليس يسيرينى	٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٢٧٧ إلى ١٢٩٩
أحمد محمود	روبرت ياتج	٦١٦- أساطير بيضاء
أحمد محمود	هوراس بيك	٦١٧- الفلكلور والبحر
جلال النيا	تشارلز فيليبس	٦١٨- نمو مفهوم اقتصاديات الصحة
عايدة الباجورى	ريمون استانبولى	٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس
بشير السباعى	توماس ماستاك	٦٢٠- السلام الصليبي
محمد السباعى	عمر الخيام	٦٢١- رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)
أمير نبيه وعبدالرحمن هجائى	أى تشينغ	٦٢٢- أشعار من عالم الصين
يوسف عبدالفتاح	سعيد قانعى	٦٢٣- نواصر جحا الإيرانية
غادة الطولانى	نخبة	٦٢٤- شعر المرأة الأفريقية
محمد يرادة	چان چينيه	٦٢٥- الجرح السرى
توليق على منصور	نخبة	٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (ج٢)
عبدالوهاب علوب	نخبة	٦٢٧- حكايات إيرانية
مجدى محمود الميجى	تشارلز داروين	٦٢٨- أصل الأنواع
عزة الخميسى	نيقولاى جويان	٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية
صبرى محمد حسن	أحمد بللو	٦٣٠- سيرتى الذاتية
باشرف: حسن طلب	نخبة	٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر
رانيا محمد	دولورس برامون	٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا
حمادة إبراهيم	نخبة	٦٣٣- الحب ولنونه (شعر)
مصطفى البهنساوى	روى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	٦٣٤- مكتبة الإسكندرية
سمير كريم	جودة عبد الشائق	٦٣٥- التثيت والتكيف فى مصر
سامية محمد جلال	جناب شهاب الدين	٦٣٦- حج يولدة
بدر الرفاعى	ف. روبرت هنتر	٦٣٧- مصر القديمة
فؤاد عبد المطلب	روبرت بن وارين	٦٣٨- الديمقراطية والشعر
أحمد شافعى	تشارلز سيميك	٦٣٩- فنون الأرق (شعر)
حسن جيشى	الأميرة أناكرومينثا	٦٤٠- ألكسياد
محمد قدرى عمارة	برتراند رسل	٦٤١- برتراند رسل (مختارات)
ممدوح عبد المنعم	چوناثان ميلر ويورين ثان لون	٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور
سمير عبدالحميد إبراهيم	عبد الماجد الدرايبادى	٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)
فتح الله الشيخ	هوارد ديتيرتر	٦٤٤- العلوم عند المسلمين

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية وسانهاو الفانغية	تشارلز كجلي ويوجين وينكوف	عبد الوهاب غلوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سنيهر نبيح	عبد الوهاب غلوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينهيه	فتحي العشري
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الغوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موياسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب غلوب
٦٥١-	ديليسييس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطفافة (مسرحية)	إيريش كسنتر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الضميسي
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خيز الشعب والأرض العمراء (مسرحيات)	ألفونسو ساسقري	ممدوح البستاني
٦٥٧-	محاكم التفتيش والمورسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامي
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبداللطيف
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامي
٦٦٢-	رحلة إلى الجنود	داسو سالدنيار	صبرى التهامي
٦٦٣-	أمرأة عابدة	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإانا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطوير الصورة الشعرية عند شكسبير	ولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجبار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القائمة لعلم الاجتماع الغربي	ألن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماسلو ميوشى	إيلي الجبالي
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	ويل شوينكا	نسليم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١-	قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إيتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الطفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الغميني	آية الله العظمى الغميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعني
٦٧٦-	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعني
٦٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (ج١، ج٢)	إدوارد جرانتيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨-	تاريخ الأدب في إيران (ج١، ج٢)	إدوارد جرانتيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل بيكر	محمد شفيق غريال
٦٨١-	هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستاتلى فاش	أحمد الشيمي
٦٨٢-	نجوم حطر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبرى محمد حسن

هبرى محمد حسن	تى. م. ألكر	٦٨٣- سكين واحد لكل رجل (رواية)
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	٦٨٤- الأعمال التسمية الكاملة (٣ أجزاء)
رزق أحمد بهنسى	أوراثيو كيروجا	٦٨٥- الأعمال التسمية الكاملة (السمرام) (٢)
سحر توفيق	ماكسين هونج كنجستون	٦٨٦- امرأة محاربة (رواية)
ماجدة العنانى	فتانة حاج سيد جوادى	٦٨٧- محبوبة (رواية)
فتح الله الشيخ وأحمد السماحى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	٦٨٨- الانفجارات الثلاثة العظمى
هنا عبد الفتاح	تادوش روجيفيتش	٦٨٩- الملف (مسرحية)
رمسيس عوض	(مختارات)	٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا
رمسيس عوض	(مختارات)	٦٩١- ألبرت أينشتاين: حياته وفكره
حمدي الجابرى	ريتشارد أيبجانسى وأوسكار زاريت	٦٩٢- أقدم لك: الوجوبية
جمال الجزيرى	هانيم برشيت وآخرون	٦٩٣- أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)
حمدي الجابرى	جيف كوليز وييل مايلين	٦٩٤- أقدم لك: حريدا
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وجودى جروف	٦٩٥- أقدم لك: رسل
إمام عبدالفتاح إمام	ديف روينسون وأوسكار زاريت	٦٩٦- أقدم لك: روسو
إمام عبدالفتاح إمام	روبرت ودفين وجودى جروف	٦٩٧- أقدم لك: أرسطو
إمام عبدالفتاح إمام	ليود سينسر وأندريجي كروز	٦٩٨- أقدم لك: عصر التنوير
جمال الجزيرى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	٦٩٩- أقدم لك: التحليل النفسى
بسمه عبدالرحمن	ماريو بارجاس يوسا	٧٠٠- الكاتب واللعبة
منى البرنس	وليم رود فيفيان	٧٠١- الذاكرة والحدث
عبد العزيز فهمى	جوستينيان	٧٠٢- مدية جوستيان فى الله الرومانى (ميراث الترجمة)
أمين الشواربى	إيوارد جرانفيل براون	٧٠٣- تاريخ الأدب فى إيران (٢)
محمد علاء الدين منصور وآخرون	مولانا جلال الدين الرومى	٧٠٤- فيه ما فيه
عبد الحميد منكور	الإمام الغزالى	٧٠٥- فضل الأئمة من وسائل حجة الإسلام
عزت عامر	جونسون ف. يان	٧٠٦- الشفرة الروائية وكتاب التحولات
وفاء عبدالقادر	هوارد كاليجل وآخرون	٧٠٧- أقدم لك: الفاتر بيتامين
عوفى عباس	دونالد مالكوكم ريد	٧٠٨- فراعنة من؟
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	٧٠٩- معنى الحياة
دعاء محمد الخطيب	إيان هانتشباى وجوموران - إليس	٧١٠- الأطفال والتكنولوجيا والثقافة
هنا عبد الفتاح	ميرزا محمد هادى رسوا	٧١١- درة التاج
سليمان البستاني	هوميروس	٧١٢- الإلياذة (٢) (ميراث الترجمة)
سليمان البستاني	هوميروس	٧١٣- الإلياذة (٢) (ميراث الترجمة)
حنا صاوه	لامنيه	٧١٤- حديث القلوب (ميراث الترجمة)
أحمد فتحي زغول	إسمون ليمولان	٧١٥- سر تلمذ الإنجيل الكسوثين (ميراث الترجمة)
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٦- جامعة كل المعارف (٢)
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٧- جامعة كل المعارف (٢)
نخبة من المترجمين	مجموعة من المؤلفين	٧١٨- جامعة كل المعارف (٢)
جميلة كامل	م. جولنبرج	٧١٩- مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة
على شمعان وأحمد الخطيب	دونام جونسون	٧٢٠- مداخل إلى البحث فى تعلم اللغة الثانية

مصطفى ليبب عبد الفنى	هـ. أ. ولسون	٧٢١- فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج ١)
الصفصافى أحمد القطورى	يشار كمال	٧٢٢- الصليحية وقصص أخرى
أحمد ثابت	إفرايم نيمنى	٧٢٣- تحديات ما بعد الصهيونية
عبد الريس	پول روينسون	٧٢٤- اليسار الفرويدى
مى مقلد	چون فيتكس	٧٢٥- الاضطراب النفسى
مروة محمد إبراهيم	غيرمو فوثاليس بوسنو	٧٢٦- الماركسيون فى المغرب
وحيد السعيد	ياچين	٧٢٧- حلم البحر (رواية)
أميرة جمعة	موريس اليه	٧٢٨- العملة: تنمية العمالة والنمو
هويدا عزت	صادق زيباكام	٧٢٩- الثورة الإسلامية فى إيران
عزت عامر	أن جاتى	٧٣٠- حكايات من السهول الأفريقية
محمد قدرى عمارة	مجموعة من المؤلفين	٧٣١- النزوح: الفكر والبنى بين التميز والاختلاف
سمير جريس	إنجو شولتسه	٧٣٢- قصص بسيطة (رواية)
محمد مصطفى بدوى	وايم شيكبير	٧٣٣- مناساة عطيل (مسرحية)
أمل الصبان	أحمد يوسف	٧٣٤- بونابرت فى الشرق الإسلامى
محمود محمد مكي	مايكل كوبرسون	٧٣٥- فن السيرة فى العربية
شعبان مكارى	هوارد زن	٧٣٦- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج١)
توفيق على منصور	پاتريك ل. ابوت	٧٣٧- الكوارث الطبيعية (مج ٢)
محمد عواد	چيرار دى چورج	٧٣٨- مستق من مسر ما قبل التتبع إلى ثورة المفكرة
محمد عواد	چيرار دى چورج	٧٣٩- سقوط من الإمبراطورية التشعبية حتى الثورة العنصر
مرفت ياقوت	بارى هندس	٧٤٠- خطابات السلطة
أحمد هيكل	برنارد لويس	٧٤١- الإسلام وأزمة العصر
رزق بهنسى	خوسيه لكاودرا	٧٤٢- أرض حارة
شوقى جلال	روبرت أونجر	٧٤٣- الثقافة: منظور داروينى
سمير عبد الحميد	محمد إقبال	٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز (شعر)
محمد أبو زيد	بيك الدنيلى	٧٤٥- المآثر السلطانية
حسن النعيمى	چوزيف أ. شومبيتر	٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج ١)
إيمان عبد العزيز	تريفور وايتوك	٧٤٧- الاستعمارة فى لغة السينما
سمير كريم	فرانسيس بويل	٧٤٨- تنمية النظام العالمى
پاتسى جمال الدين	ل.ج. كالفى	٧٤٩- إيكولوجيا لغات العالم
پیشراف: أحمد عثمان	هوميروس	٧٥٠- الإلياذة
علاء السباعى	نخبة	٧٥١- الأسراء والمهاجر فى تراث الشعر الفارسى
نمر عارورى	جمال قارصلى	٧٥٢- ألمانيا بين عقدة الذهب والخوف
محسن يوسف	إسماعيل سراج الدين وآخرون	٧٥٣- التنمية والقيم
عبد السلام حيدر	أنا مارى شيمل	٧٥٤- الشرق والغرب
على إبراهيم منولى	نندو ب. ديبكى	٧٥٥- تاريخ الشعر الإسباني خلال القرن العشرين
خالد محمد عباس	إتريكى خاردييل بوتشلا	٧٥٦- ذات الميرون الساحرة
أمال الرويس	پاتريشيا كرون	٧٥٧- تجارة مكة
عاطف عبد الحميد	پروس روفنز	٧٥٨- الإحساس بالعمولة

جلال الحفناوى	مولوى سيد محمد	النثر الأردى	٧٥٩-
السيد الأسود	السيد الأسود	الدين والتصور الشعبى للكون	٧٦٠-
فاطمة ناعوت	فيرجينيا وولف	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	٧٦١-
عبدالعال صالح	ماريا سوليداد	المسلم عدوًا و صديقًا	٧٦٢-
نجوى عمر	أنريكو بيا	الحياة فى مصر	٧٦٣-
حازم محفوظ	غالب الدهلوى	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	٧٦٤-
حازم محفوظ	خواجه مير درد الدهلوى	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	٧٦٥-
غازى برو و خليل أحمد خليل	تيبيرى منتش	الشرق المتخيل	٧٦٦-
غازى برو	نسيب سمير الحسنى	الغرب المتخيل	٧٦٧-
محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى	حوار الثقافات	٧٦٨-
رندا النشار وضياء زاهر	فريدريك هتمان	أبناء أحياء	٧٦٩-
صبرى التهامى	بينيتو بيريث جالدوس	السيدة بيرنيكا	٧٧٠-
صبرى التهامى	ريكاردو جويزالديس	السيد سيجوندو سومبرا	٧٧١-
محسن مصيلحى	إليزابيث رايت	بريخت ما بعد المدائة	٧٧٢-
يأشرف: محمد فتحى عبدالهادى	جون فيزد ويول ستيرجز	دائرة المعارف الدولية (ج٢)	٧٧٣-
حسن عبد ربه المصرى	مجموعة من المؤلفين	الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والتركيزات	٧٧٤-
جلال الحفناوى	نذير أحمد الدهلوى	مراة العروس	٧٧٥-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج ١)	٧٧٦-
عزت عامر	جيمس إ. لينسى	الانفجار الأعظم	٧٧٧-
حازم محفوظ	مولانا محمد أحمد ورشا اللادرى	صفوة المنيح	٧٧٨-
سمير عبدالحميد إبراهيم رسارة تاكاهاشى	نخبة	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	٧٧٩-
سمير عبد الحميد إبراهيم	غلام رسول مهر	من أب الرسائل الهندية حجاز ١٩٢٠	٧٨٠-
نبيلة بدران	هدى بدران	الطريق إلى بكين	٧٨١-
جمال عبد المقصود	ماورن كارلسون	المسرح المسكون	٧٨٢-
طلعت السروجى	ليك جورج ويول ويلنج	العولة والرعاية الإنسانية	٧٨٣-
جمعة سيد يوسف	ديفيد أ. وولف	الإساءة للطفل	٧٨٤-
سمير حنا صادق	كارل ساجان	تأملات عن تطور فكاه الإنسان	٧٨٥-
سحر توفيق	مارجريت أتورد	الخنزية (رواية)	٧٨٦-
إيناس صادق	جوزيه بوفيه	العودة من فلسطين	٧٨٧-
خالد أبو اليزيد البلقاجى	ميروسلوف قرنر	سر الأهرامات	٧٨٨-
منى القردى	هاچن	الانتظار (رواية)	٧٨٩-
جيهان الميسرى	مونيك بونتو	الفرانكفونية العربية	٧٩٠-
ماهر جورجياتى	محمد الشيمى	الطوط وممالك العطور فى مصر القديمة	٧٩١-
منى إبراهيم	منى ميخائيل	مراشات حبل القنصى القصيرة لإدريس يسلمة	٧٩٢-
رووف وصفي	جون جريغليس	ثلاث رؤى للمستقبل	٧٩٣-
شعبان مكازى	هوارد زن	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج٢)	٧٩٤-
على عبد الروف الببى	نخبة	مختارات من الشعر الإسيانى (ج١)	٧٩٥-
حمزة المزينى	نعم تشومسكى	اتفاق جديدة فى دراسة اللغة والتفهن	٧٩٦-

طلعت شاهين	نخبة	الرؤية في ليلة معتمة (شعر)	٧٩٧-
سميرة أبو الحسن	كاترين جيلدرود ودافيد جيلدرود	الإرشاد النفسي للأطفال	٧٩٨-
عبد الحميد فهمي الجمال	آن تيلر	سلم السنوات	٧٩٩-
عبد الجواد توفيق	ميشيل ماكارثي	قضايا في علم اللغة التطبيقية	٨٠٠-
بإشراف: محسن يوسف	تقرير دولي	نحو مستقبل أفضل	٨٠١-
شرين محمود الرفاعي	ماريا سوليداد	سلمو غرائطة في الآداب الأوروبية	٨٠٢-
هزة الفميسي	توماس باترسون	التغيير والتنمية في القرن العشرين	٨٠٣-
درويش الطلوجي	دانييل ميرالي-لجيه وچان بول ويلام	سوسيولوجيا الدين	٨٠٤-
طاهر البربري	كارز إيشيجورو	من لا عزاء لهم (رواية)	٨٠٥-
محمود ماجد	ماجدة بركة	الطبقة العليا المتوسطة	٨٠٦-
خيرى نومة	ميريام كوك	يحي حق: تشريح مفكر مصري	٨٠٧-
أحمد محمود	يفليد دابليو ليش	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	٨٠٨-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وچوزيف كروپسي	تاريخ الفلسفة السياسية (ج١)	٨٠٩-
محمود سيد أحمد	ليو شتراوس وچوزيف كروپسي	تاريخ الفلسفة السياسية (ج٢)	٨١٠-
حسن النعمي	جوزيف أشموبير	تاريخ التحليل الاقتصادي (مج٢)	٨١١-
فريد الزاهي	ميشيل مافيزولي	تأمل العالم الصرّة والأصوب في الحياة الاجتماعية	٨١٢-
نورا أمين	آني إرنو	لم أخرج من ليلى (رواية)	٨١٣-
أمال الربيعي	ناقثال لويس	الحياة اليومية في مصر الرومانية	٨١٤-
مصطفى ليبي عبدالغني	هـ. أ. ولفسون	فلسفة المتكلمين (مج٢)	٨١٥-
بدر الدين عرويكى	فيليب روجيه	العدو الأمريكى	٨١٦-
محمد لطفي جمعة	أفلاطون	مائدة أفلاطون: كلام في الحب	٨١٧-
ناصر أحمد رياتسى جمال الدين	أنثريه ريمون	العرفين والتجار في القرن ١٨ (ج١)	٨١٨-
ناصر أحمد رياتسى جمال الدين	أنثريه ريمون	العرفين والتجار في القرن ١٨ (ج٢)	٨١٩-
طانيوس أفندي	وليم شكسبير	هملت (مسرحية) (ميراث الترجمة)	٨٢٠-
عبد العزيز بقوش	نور الدين عبد الرحمن الجامى	هفت بيكر (شعر)	٨٢١-
محمد نور الدين عبد المنعم	نخبة	فن الرباعى (شعر)	٨٢٢-
أحمد شافعى	نخبة	وجه أمريكا الأسود (شعر)	٨٢٣-
ربيع مفتاح	دافيد برتش	لغة الدراما	٨٢٤-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	نصر النهضة في إيطاليا (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٢٥-
عبد العزيز توفيق جاويد	ياكوب يوكهارت	نصر النهضة في إيطاليا (ج٢) (ميراث الترجمة)	٨٢٦-
محمد على فرج	دومالد پ كوكول وثريا تركي	أهل مطبخ العبر والسريغين والتين بفشرين التسلط	٨٢٧-
رمسيس شحاتة	ألبرت أينشتين	النظرية النسبية (ميراث الترجمة)	٨٢٨-
مجدي عبد الحافظ	إرنست ريتان وجمال الدين الأفغاني	مناظرة حول الإسلام والعلم	٨٢٩-
محمد علاء الدين منصور	حسن كريم بور	رق العشق	٨٣٠-
محمد القاذى وعطية هاشور	ألبرت أينشتين وليوپولد إنفلد	تطور علم الطبيعة (ميراث الترجمة)	٨٣١-
حسن النعمي	چوزيف أشموبير	تاريخ التحليل الاقتصادي (ج٢)	٨٣٢-
محسن الدمرداش	فرنر شميدرس	الفلسفة الألمانية	٨٣٣-
محمد علاء الدين منصور	ذبيح الله صفا	كفن الشعر	٨٣٤-

علاء عزمى	بيتر أوربان	تشيتخوف: حياة في صور	٨٢٥-
مدوح البستاوى	مرثيدس غارثيا	بين الإسلام والغرب	٨٢٦-
على فهمى عبدالسلام	ناتاليا فيكو	عناكب في المصيدة	٨٢٧-
أبني صبرى	نعوم تشومسكى	في تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	٨٢٨-
جمال الجزيرى	ستيفارت سين ويورين فان لون	أقدم لك: النظرية النقدية	٨٢٩-
فوزية حسن	جوتنهولد ليسينج	القوائم الثلاثة	٨٤٠-
محمد مصطفى بدوى	وليم شكسبير	هملت: أمير الدانمارك	٨٤١-
محمد محمد يونس	فريد الدين العطار	منظومة مصيبت نامه (مج ٢)	٨٤٢-
محمد علاء الدين منصور	نخبة	من روايات القصيد الفارسي	٨٤٣-
سمير كريم	كريمة كريم	دراسات في الفقر والعولة	٨٤٤-
طلعت الشايب	نيكولاس جويات	غياب السلام	٨٤٥-
عادل نجيب بشرى	ألفريد أدلر	الطبيعة البشرية	٨٤٦-
أحمد محمود	مايكل ألبرت	الحياة بعد الرأسمالية	٨٤٧-
عبد الهادي أبو ريدة	يوليوس فلهاوزن	تاريخ العولة العربية (ميراث الترجمة)	٨٤٨-
بدر توفيق	وليم شكسبير	سونيات شكسبير	٨٤٩-
جابر عصفور	مقالات مختارة	الخيال، الأسلوب، المحتاج	٨٥٠-
يوسف مراد	كلود برنار	الطب التجريبي (ميراث الترجمة)	٨٥١-
مصطفى إبراهيم فهمى	ريتشارد فوكنز	العلم والحقيقة	٨٥٢-
على إبراهيم متوفى	باسيليو بابون مالفونادو	الفسادة في الوطن: عبارة للوطن والمسنون (مج ١)	٨٥٣-
على إبراهيم متوفى	باسيليو بابون مالفونادو	الفسادة في الوطن: عبارة للوطن والمسنون (مج ٢)	٨٥٤-
محمد أحمد حمد	جيرارد ستيم	فهم الاستعمارية في الأدب	٨٥٥-
عائشة سويلم	فرانثيسكو ماركيت يانو بيانويا	النسبة الوراثية من وجهة نظر أخرى	٨٥٦-
كامل عويد العامري	أندريه برتوتن	ناجيا (رواية)	٨٥٧-
بهيمى قنديل	ثيو هرمانز	جورج الترجمة: عبور الحدود الثقافية	٨٥٨-
مصطفى ماهر	إيف شيميل	السياسة في الشرق القديم	٨٥٩-
عادل صبحى تكلا	فان بلمان	مصر وأوروبا	٨٦٠-
محمد الخولى	جهن سميث	الإسلام والمسلمون في أمريكا	٨٦١-
محسن الدمرداش	أرتور شنيتسلر	بيقاء الكاكادو	٨٦٢-
محمد علاء الدين منصور	على أكبر دلفى	لقاء بالشعراء	٨٦٣-
عبد الرحيم الرفاعى	دورين إنجرامز	أوراق فلسطينية	٨٦٤-
شوقى جلال	تيرى إيجلتون	فكرة الثقافة	٨٦٥-
محمد علاء الدين منصور	مجموعة من المؤلفين	رسائل خمس في الأناق والآنفس	٨٦٦-
صبرى محمد حسن	فيفيد مايلو	المهمة الاستثنائية (رواية)	٨٦٧-
محمد علاء الدين منصور	سأعد باقرى ومحمد رضا محمدى	الشعر الفارسي المعاصر	٨٦٨-
شوقى جلال	روين تونيار وآخرون	تطور الثقافة	٨٦٩-
حمادة إبراهيم	نخبة	عشر مسرحيات (ج ١)	٨٧٠-
حمادة إبراهيم	نخبة	عشر مسرحيات (ج ٢)	٨٧١-
محسن قرجانى	لاوتسو	كتاب الطاو	٨٧٢-

بهاء شاهين	معلمون لمدارس المستقبل	٨٧٢-
ظهور أحمد	النهر الخالد (مج١)	٨٧٤-
ظهور أحمد	النهر الخالد (مج٢)	٨٧٥-
أمانى المنياوى	دراسات فى الموسيقى الشرقية (ج١)	٨٧٦-
صلاح محجوب	أدب الجدل والدفاع فى العربية	٨٧٧-
صبرى محمد حسن	ترجمت فى صحراء الجزيرة العربية (ج١ ، مج١)	٨٧٨-
صبرى محمد حسن	ترجمت فى صحراء الجزيرة العربية (ج١ ، مج٢)	٨٧٩-
عبد الرحمن حجازى وأمير نبيه	الواحات المفقودة	٨٨٠-
سلوى عباس	المستشرقون : خدمة وحيانة	٨٨١-
إبراهيم الشواربى	أغاني شيراز (ج١) (ميراث الترجمة)	٨٨٢-
إبراهيم الشواربى	أغاني شيراز (ج٢) (ميراث الترجمة)	٨٨٣-
محمد رشدى سالم	تعلم الأطفال الصغار	٨٨٤-
يدر عرويدكى	روح الإرهاب	٨٨٥-
ثائر ديب	الترجمة والإمبراطورية	٨٨٦-
محمد علاء الدين منصور	غزليات سعدى (شعر)	٨٨٧-
هويدا عزت	أزهار مسلك الليل (رواية)	٨٨٨-
ميخائيل رومان	سارترورس (ميراث الترجمة)	٨٨٩-
الصفصافى أحمد القطورى	منتقيات أشعار فراغى	٨٩٠-
عزة مازن	مفاوضات مع الموتى	٨٩١-
إسحاق عبید	تاريخ المسيحية الشرقية	٨٩٢-
محمد قدرى عمارة	عبادة الإنسان الحر	٨٩٣-
رفعت السيد على	الطريق إلى مكة	٨٩٤-
يسرى خميس	وادي الفوضى (رواية)	٨٩٥-
زين العابدين فؤاد	شعر الصفاف الأخرى	٨٩٦-
صبرى محمد حسن	اختراق الجزيرة العربية	٨٩٧-
محمود خيال	الإسلام والعلم	٨٩٨-
أحمد مختار الجمال	الدبلوماسية الفاطمة	٨٩٩-
جابر عصفور	تيارات نقدية محدثة	٩٠٠-
عبد العزيز حمدي	مختارات من شعر لى جاو شينج	٩٠١-
مروة الفقى	آلهة مصر القديمة وأساطيرها	٩٠٢-
حسين بيومى	أفلام ومناهج (مج١)	٩٠٣-
حسين بيومى	أفلام ومناهج (مج٢)	٩٠٤-
جلال السعيد الطنطاوى	تراث الهند	٩٠٥-
أحمد هويدى	أسس الحوار فى القرآن	٩٠٦-
فاطمة خليل	أثر.. متعة الحياة (رواية)	٩٠٧-
خالد حامد	الحلقة النقدية	٩٠٨-
طلعت الشايب	الفنون والآداب تحت ضغط العولمة	٩٠٩-
مى رفعت سلطان	بروميثيوس بلا قيود	٩١٠-
	دايفيد س. ليندس	

٩١١-	غبار النجوم	جون جريبين	عزت عامر
٩١٢-	ترجمات يمينى حلى (ج١) (ميراث الترجمة)	روايات مختارة	يحيى حلى
٩١٣-	ترجمات يمينى حلى (ج٢) (ميراث الترجمة)	مسرحيات مختارة	يحيى حلى
٩١٤-	ترجمات يمينى حلى (ج٣) (ميراث الترجمة)	ديزمووند ستيفوارت	يحيى حلى
٩١٥-	المرأة فى أثينا: الواقع والقانون	روجر چست	منيرة كروان
٩١٦-	الجدلية الاجتماعية	أنور عبد الملك	سامية البندى وعبدالعظيم حماد
٩١٧-	موسوعة كميريدج (ج١)	نخبة	إشراف: أحمد عثمان
٩١٨-	موسوعة كميريدج (ج٢)	نخبة	إشراف: فاطمة موسى
٩١٩-	موسوعة كميريدج (ج٣)	نخبة	إشراف: رشوى عاشور
٩٢٠-	خليل جبران: حياته وعالمه	چين جبران و خليل جبران	فاطمة قنديل
٩٢١-	له الأمر (رواية)	أحمدو كوروما	ثرثيا إقبال
٩٢٢-	الموريسكيون فى إسبانيا وفى المنفى	ميكل دي إيبالثا	جمال عبد الرحمن
٩٢٣-	ملحمة حرب الاستقلال (شعر)	ناظم حكمت	محمد حرب
٩٢٤-	حشيشة: مظلة وسحر وقموض	كريستيان دي روش نويلكرد	فاطمة عبد الله
٩٢٥-	رمسيس الثانى: فروع المعجزات	كريستيان دي روش نويلكرد	فاطمة عبد الله
٩٢٦-	فرمال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢)	تشارلز بونتي	صبرى محمد حسن
٩٢٧-	فرمال فى صحراء الجزيرة العربية (ج١، ج٢)	تشارلز بونتي	صبرى محمد حسن
٩٢٨-	سجون الضوء	كيتى فرجسون	عزت عامر
٩٢٩-	نشأة الإنسان (مج١)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٠-	نشأة الإنسان (مج٢)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣١-	نشأة الإنسان (مج٣)	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٣٢-	حناك السمرى فى فلق الشعر (ميراث الترجمة)	رشيد الدين العمري	إبراهيم الشواربي
٩٣٣-	اللاعقلانية الشعرية	كارلوس بوسونير	على منوفى
٩٣٤-	محنة الكاتب الأفريقى	تشارلز لارسون	طلعت الشايب
٩٣٥-	تاريخ الفن الألمانى	فولكر جييهارت	علا عادل
٩٣٦-	بيولوجيا الجحيم	إد ريجيس	أحمد فوزى عبد الحميد
٩٣٧-	هيا نحكى (قصص أطفال)	أحمد ندالو	عبدالحى سالم
٩٣٨-	الانثولوجيا السياسية عند مارتن ميخجر	بيير بورديو	سميد العليمى
٩٣٩-	سجن العقل	ستيفن چونسون	أحمد مستجير
٩٤٠-	اليابان الحديثة: قضايا وآراء	مجموعة مقالات	علاء على زين العابدين
٩٤١-	الجماليات لم يولدن بعد	أى كويشى أرماء	صبرى محمد حسن
٩٤٢-	القرن الجديد	إريك هويسبوم	وجيه سمعان عبد المسيح
٩٤٣-	لقاء فى الظلام	مشتات من القصص الأفريقية	محمد عبد الواحد
٩٤٤-	الكونتراياص	باتريك زوسكيند	سمير جريس
٩٤٥-	أحلام بقطة جبال منفرد (ميراث الترجمة)	جان جاك روسو	ثرثيا توفيق
٩٤٦-	الزوار ومظاهره المسرحية فى إثيوبيا	ميشيل ليريس	محمد مهدى قناوى
٩٤٧-	ما وراء المعنى والحقيقة	برتراند راسل	محمد قدرى عمارة
٩٤٨-	أفريقيا منذ عام ١٨٠٠	رونالد أوليفر وأنتونى أتمور	فريد چورچ بوى

٩٤٩-	مقبرة الصدا	أندريه فيش	ناقص معلا
٩٥٠-	فى علم الكتابة	جاك ديريدا	منى طلبة وآثور مغيث
٩٥١-	الانتهام (رواية)	فريدريش نورينجات	عماد حسن بكر
٩٥٢-	العبد ومسرحيات أخرى	أميرى بركة	تيمية عبد الجواد
٩٥٣-	مختارات من الشعر الإيباني (ج٢)	نخبة من الشعراء	على عبد الرؤوف البمبي
٩٥٤-	الأصول الاجتماعية لفسادة الترسمة فى عهد محمد طى	فرد لوسون	عنان الشهاوى
٩٥٥-	الطب والأطباء	سيلفيا شيفولو	ماجدة أبابطة
٩٥٦-	نعم، ليست لدينا نيوترونات	أ. ك. ديونى	سمير حفا صادق
٩٥٧-	الحركات الاجتماعية (١٧٦٨-٢٠٠٤)	تشارلز تلى	ربيع وهبة
٩٥٨-	أصوات على هامش الحرب	مريام كوك	صلاح حزين
٩٥٩-	المورسكيون فى الفكر التاريخى	ميفيل أنخيل بونيس	وسام محمد جزر
٩٦٠-	محمد على الكبير	الأمير مشان إبراهيم وكارولين وعلى كورخان	هدى كشرود
٩٦١-	شعر الرعاة (ميراث الترجمة)	مختارات من الأدب اليونانى	محمد صقر خفاجة
٩٦٢-	مدخل إلى الفلسفة	وليام جيمس إيرل	عادل مصطفى
٩٦٣-	متشنيات شعرية	حسن رضا خان الهندى	فاطمة سيد عبد المجيد
٩٦٤-	أصول التطرف	كيمبرلى بليكر	هبة روف وتمام عبد الوهاب
٩٦٥-	روح مصر القديمة	أنا روين	إكرام يوسف
٩٦٦-	ما رواه الطبيعة فى إيران (ميراث الترجمة)	محمد إقبال	حسين مجيب المصرى
٩٦٧-	فن الحرب (مج ١)	سون تزي	هشام المالكى
٩٦٨-	عالم الخوارق	ج. كوير	كمال الدين حسين
٩٦٩-	التليفزيون خطر على الديمقراطية	كارل بويز وچون كوندرى	مجدى عبد الحافظ
٩٧٠-	ربما فى حلب ذات يوم وقصص أخرى	نخبة	أحمد الشيمى
٩٧١-	الأدب الفارسى القديم (ميراث للترجمة)	پاول هوذن	حسين مجيب المصرى
٩٧٢-	الإسهامات الإبلانية فى عهد محمد طى باشا	مقالات مختارة	عماد البغدادى
٩٧٣-	تطور فن المعابد الإسلامى	أولكر أرغين صوى	الصفصافى أحمد القطورى
٩٧٤-	فكرة التطور عند فلاسفة الإسلام	مجدى عبد الحافظ	هدى كشرود
٩٧٥-	وقائع انتحار مولطف عمومى	ميشيل بيرس	حسن عبد ربه المصرى
٩٧٦-	تفهم ذهنية مدمن المسكرات	أرتولد لودفيج	صبرى محمد حسن
٩٧٧-	التعبير عن الانفعالات فى الإنسان والحيوانات	تشارلس داروين	مجدى المليجى
٩٧٨-	الإسلام خواطر وسوانح (ميراث الترجمة)	الكوت هنرى دى كاسترى	أحمد فتحى زغلول باشا
٩٧٩-	الأدب والانتماء من باسكال إلى سارتر	بونوا دونى	محمد برادة
٩٨٠-	الكلمات المقتبص	رايموند ويليامز	نعيمان عثمان
٩٨١-	الكلمة للبنات	فيرنانديث موراتين	السيد عبد المنعم محمود
٩٨٢-	اللغة والإنترنت	ديفيد كريستال	أحمد شفيق الضطيب
٩٨٣-	روح الاجتماع (ميراث الترجمة)	جوستاف لويون	أحمد فتحى زغلول باشا

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١٠٠٦ / ٢٠٠٥

« تم تصوير وطبع هذا الكتاب من نسخة مطبوعة »

